



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه وآله

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

شرح منج البلاغة

لابن أبي الحديد

بتحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

(٨)

دار المعارف الهندية
بيس الباني بجلي و سيشركه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح نهج البلاغه ابن ابى الحديد

كاتب:

ابن ابى الحديد معتزلى

نشرت فى الطباعة:

كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى - قم

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريرات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٨	شرح نهج البلاغه المجلد ١٦
٨	اشاره
١٠	تتمه باب الكتب و الرسائل
١٠	اشاره
١٢	٢٩ و من كتاب له ع إلى أهل البصره
١٥	٣٠ و من كتاب له ع إلى معاويه
١٨	٣١ و من وصيته ع للحسن ع كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين
١٨	اشاره
١٨	ترجمه الحسن بن على و ذكر بعض أخباره
٦٧	بعض ما قيل من الشعر فى الدهر و فعله بالإنسان
١٠٣	أقوال حكيمه فى وصف الدنيا و فناء الخلق
١٣٩	بعض ما قيل فى الغيره من الشعر
١٤٠	اعتزاز الفرزدق بقومه
١٤١	وفود الوليد بن جابر على معاويه
١٤٤	٣٢ و من كتاب له ع إلى معاويه
١٤٤	اشاره
١٤٥	ذكر بعض ما دار بين على و معاويه من الكتب
١٥٠	٣٣ و من كتاب له ع إلى قثم بن العباس و هو عامله على مكه
١٥٠	اشاره
١٥٢	قثم بن عباس و بعض أخباره
١٥٤	٣٤ و من كتاب له ع إلى محمد بن أبى بكر
١٥٤	اشاره
١٥٤	محمد بن أبى بكر و بعض أخباره

- ١٥٧ ٣٥ و من كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر
- ١٦٠ ٣٦ و من كتاب له ع إلى أخيه عقيل بن أبي طالب في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء
- ١٦٥ ٣٧ و من كتاب له ع إلى معاوية
- ١٦٨ ٣٨ و من كتاب له ع إلى أهل مصر لما ولي عليهم الأشر
- ١٧٢ ٣٩ و من كتاب له ع إلى عمرو بن العاص
- ١٧٦ ٤٠ و من كتاب له ع إلى بعض عماله
- ١٧٩ ٤١ و من كتاب له ع إلى بعض عماله
- ١٧٩ اشاره
- ١٨١ اختلاف الرأي فيمن كتب له هذا الكتاب
- ١٨٥ ٤٢ و من كتاب له ع إلى عمر بن أبي سلمه المخزومي
- ١٨٥ اشاره
- ١٨٥ عمر بن أبي سلمه و نسبه و بعض أخباره
- ١٨٦ النعمان بن عجلان و نسبه و بعض أخباره
- ١٨٧ ٤٣ و من كتاب له ع إلى مصقله بن هبيرة الشيباني و كان عامله على أردشير خره
- ١٨٩ ٤٤ و من كتاب له ع إلى زياد ابن أبيه
- ١٨٩ اشاره
- ١٩١ نسب زياد ابن أبيه و ذكر بعض أخباره و كتبه و خطبه
- ٢١٧ ٤٥ و من كتاب له ع إلى عثمان بن حنيف الأنصاري و كان عامله على البصره
- ٢١٧ اشاره
- ٢١٧ عثمان بن حنيف و نسبه
- ٢٢١ ذكر ما ورد من السير و الأخبار في أمر فدك
- ٢٢١ اشاره
- ٢٢٢ الفصل الأول فيما ورد من الأخبار و السير المنقوله من أفواه أهل الحديث و كتبهم لا من كتب الشيعة و رجالهم
- ٢٤٩ الفصل الثاني في النظر في أن النبي ص هل يورث أم لا
- ٢٨٠ الفصل الثالث في أن فدك هل صح كونها نحل رسول الله ص لفاطمه ع أم لا
- ٣٠٩ فهرس الخطب

٣١١ ----- فهرس الموضوعات

٣١٣ ----- تعريف مركز

شرح نهج البلاغه

شارح: ابن ابى الحديد، عبد الحميد بن هبه الله

گرداورنده: شريف الرضى، محمد بن حسين

نويسنده: على بن ابى طالب (عليه السلام)، امام اول

شماره بازيابى : ۵-۷۶۹۲

پديد آور : ابن ابى الحديد، عبد الحميد بن هبه الله، ۵۸۶ - ۶۵۵ ق.

عنوان قراردادى : نهج البلاغه. شرح

Nhjol-Balaghah. Commantries

عنوان و نام پديد آور : شرح نهج البلاغه [نسخه خطى] / ابن ابى الحديد

وضيقت كتابت : محمد طاهر ابن شيخ حسن على ۱۰۸۳-۱۰۸۴ ق.

مشخصات ظاهرى : ۳۴۵ گك [عكس ص ۶-۶۸۹]، ۳۰ سطر، اندازه سطرها: ۱۲۰×۲۴۰؛ راده گذارى؛ قطع: ۲۰۰×۳۴۰

آغاز ، انجام ، انجامه : آغاز: الجزء الرابع عشر من شرح ابن ابى الحديد على نهج البلاغه. بسملة. و منه الاستعانه و توفيق التتميم.

باب المختار من كتب امير المومنين على عليه السلم و رسائله الى ...

انجام:.... و من دخل ظفار حمر و النسخه التى بنى هذا الشرح على قصها اتم نسخه وجدتها بنهج البلاغه فانها مشتمله على

زيادات تخلو عنها اكثر النسخ... و يكف عنى عاديه الظالمين انه سميع مجيب و حسبنا الله وحده و صلواته على سيدنا محمد

النبي و اله و سلامه. اخر الجزء العشرين و تم به الكتاب و لله الحمد حمدا دائما لا انقضاء له و لا نفاذ.

انجامه: قد فرغ من تسويده فى ظهر يوم الثلاثاء غره شهر جمدى الاول سنه اربع و ثمانين و الف كتبه الفقير الحقيير ... ابن شيخ

حسن على محمد طاهر غفرالله تعالى له و لوالديه تمت.

يادداشت كللى : زبان: عربى

تاريخ تاليف: اول رجب ۶۴۴- صفر ۶۴۹ ق.

یادداشت مشخصات ظاهری: نوع و درجه خط: نسخ

نوع کاغذ: فرنگی نخودی

تزیینات متن: کتیبه منقوش به زر، سیاه، آبی، قرمز با عناوین زرین در آغاز هر جلد و خطوط اسلیمی به زر در کتیبه و بالای متن در ص: نخست، ۱۱۶، ۲۲۲، ۳۱۶، ۴۰۴، ۵۰۲، ۶۰۰. عناوین، علائم و خطوط بالای برخی عبارات به سرخی. جدول دور سطرها به زر و تحریر.

نوع و تزیینات جلد: کاغذ گل دار رنگی، مقوایی، اندرون کاغذ

خصوصیات سند موجود: توضیحات صحافی: صحافی مرمت شده است.

حواشی اوراق: اندکی حاشیه با نشان "صح، ق" دارد.

یادداشت تملک و سجع مهر: شکل و سجع مهر: مهر بیضی با نشان "محمدباقر"، دو مهر چهار گوش ناخوانا در بسیاری از اوراق در میان متن زده شده است.

توضیحات سند: نسخه بررسی شده. جداشدگی شیرازه، رطوبت، لکه، آفت زدگی، وصالی. بین فرازهای متفاوت، برگ های نانوشته و عناوین نانوشته دارد.

منابع، نمایه ها، چکیده ها: ملی ۸: ۷۵، ۱۵: ۱۱۱، ۴: ۳۶۰؛ الذریعه ۱۰: ۲۱۰، ۱۴: ۲۵۵؛ دایره المعارف بزرگ اسلامی ۲: ۶۲۰.

معرفی سند: شرح ابن ابی الحدید به دلایل متعددی اهمیت دارد اول تبصر شارح بر ادبیات عرب، تاریخ فقه و کلام؛ دیگر این که وی نخستین شارح غیر شیعی نهج البلاغه است. اهمیت دیگر این شرح در گزارش های مفصل تاریخی است شارح در تدوین این گزارش ها علاوه منابع مشهوری چون اغانی ابی الفرج اصفهانی، سیره ابن هشام و تاریخ طبری، از برخی منابع نادر استفاده کرده که امروزه از میان رفته یا در دسترس قرار ندارند. شارح در نقل حوادث تاریخی به گونه ای مبسوط عمل می کند که می توان تاریخ ابن ابی الحدید را از شرح نهج البلاغه وی به عنوان کتابی مستقل استخراج نمود هر چند در پاره ای موارد هم اشاره ای به حوادث تاریخی نمی کند. این شرح مورد نقد دانشمندان شیعی قرار گرفته از جمله نقد احمد بن طاوس با نام "الروح فی نقض ما برمه ابن ابی الحدید"، شیخ یوسف بحرانی با نام "سلاسل الحدید لتقید ابن ابی الحدید"، مصطفی بن محمد امین با نام "سلاسل الحدید فی رد ابن ابی الحدید"، شیخ علی بن حسن بلاذی بحرانی با نام "الرد علی ابن ابی الحدید"، شیخ عبدالنبی عراقی با نام "الشهاب العتید علی شرح ابن ابی الحدید"، شیخ طالب حیدر با نام "الرد علی ابن ابی الحدید". ابن ابی الحدید این اثر را در بیست جزء و به نام ابن علقمی وزیری تألیف کرد. او در پایان کتاب خود می نویسد تدوین این اثر چهار سال و هشت ماه طول کشید که برابر است با مدت خلافت حضرت علی علیه السلام. ترجمه های فارسی این شرح از جمله عبارتند از شمس الدین محمد بن مراد از دانشمندان عصر صفوی، ترجمه ای دیگر با نام "مظهر البینات؛ اثر نصرالله تراب بن فتح الله دزفولی؛ نسخه حاضر شامل: جلد: ۱۴: صفحه (۶-۱۰۹)، جلد ۱۵: (۱۱۶-۲۱۸)، جلد ۱۶: (۲۲۲-۳۱۳)،

جلد ۱۷: (۳۱۶-۴۰۰)، جلد ۱۸: (۴۰۴-۵۰۰)، جلد ۱۹: (۵۰۲-۵۹۷)، جلد ۲۰: (۶۰۰-۶۸۹). مطالب باعناوین الشرح ، الاصل بیان شده است. برای توضیح بیشتر به شماره بازایی ۴۸۳۶-۵ در فهرست همین کتابخانه بنگرید.

شناسه افزوده : محمدطاهر بن حسن علی، قرن ۱۱ق.، کاتب

شناسه افزوده : عاطفی، فروشنده

دسترسی و محمول الکترونیکی : <http://dl.nlai.ir/UI/c۴۱۲c۵۱b-c۴b۸-۴e۰۹-۹۴۲b-۸cb۶۴۴۸۲۴۲e۲/Catalogue.aspx>

ص : ۱

تمه باب الکتب و الرسائل

اشاره

٢٩ و من كتاب له ع إلى أهل البصره

وَقَدْ كَانَ مِنْ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَ شِقَاقِكُمْ مَا لَمْ تَعْبُوا عَنْهُ فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ وَ رَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ وَ قَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ فَإِنْ
خَطَّتْ بِكُمْ الْأُمُورُ الْمُرْدِيَّةُ وَ سَدَفَهُ الْأَرَاءُ الْجَائِرَةُ إِلَى مُنَابَذَتِي وَ خِلَافِي فَهَآنَذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي وَ رَحَلْتُ رِكَابِي وَ لَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي
إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَمَأْوَعَنَّ بِكُمْ وَقَعَهُ لَا يَكُونُ يَوْمَ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلَعَقَهُ لَاعِقٍ مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِتَمْدِي الطَّاعَةَ مِنْكُمْ فَضَلَّمَهُ وَ لِتَمْدِي
النَّصِيحَةَ حَقَّهُ غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَمًا إِلَى بَرِيٍّ وَ لَا نَاكِثًا إِلَى وَفِيٍّ .

ما لم تغبوا عنه

أى لم تسهوا عنه و لم تغفلوا يقال غبيت عن الشيء أغبى غباوه إذا لم يفتن و غبى الشيء على كذا إذا لم تعرفه و فلان غبى
على فعيل أى قليل الفطنه و قد تغابى أى تغافل يقول لهم قد كان من خروجكم يوم الجمل عن الطاعه

ص: ٣

و نشركم جبل الجماعه و شقاقكم لى ما لستم أغبياء عنه فغفرت و رفعت السيف و قبلت التوبه و الإنابه.

و المدبر هاهنا الهارب و المقبل الذى لم يفر لكن جاءنا فاعتذر و تنصل .

ثم قال فإن خطت بكم الأمور خطأ فلان خطوه يخطو و هو مقدار ما بين القدمين فهذا لازم فإن عديته قلت أخطيت بفلان و خطوت به و هاهنا قد عداه بالباء.

و المرديه المهلكه و الجائره العادله عن الصواب و المنابذه مفاعله من نبذت إليه عهده أى ألقيته و عدلت عن السلم إلى الحرب أو من نبذت زيدا أى أطرحته و لم أحفل به.

قوله قربت جيادى أى أمرت بتقريب خيلى إلى لأركب و أسير إليكم.

و رحلت ركابى

الركاب الإبل و رحلتها شددت على ظهورها الرحل قال رحلت سميته غدوه أجمالها غضبى عليك فما تقول بدا لها (1) كلعه لاعق مثل يضرب للشىء الحقير التافه و يروى بضم اللام و هى ما تأخذه الملعقه.

ثم عاد فقال مازجا الخشونه باللين مع أنى عارف فضل ذى الطاعه منكم و حق ذى النصيحه و لو عاقبت لما عاقبت البرىء بالسقيم و لا أخذت الوفى بالناكث.

خطب زياد بالبصره الخطبه الغراء المشهوره و قال فيها و الله لآخذن البرىء بالسقيم و البر باللئيم و الوالد بالولد و الجار بالجار أو تستقيم إلى قناتكم فقام أبو بلال مرداس

ص: ٤

بن أديه يهمس و هو حينئذ شيخ كبير فقال أيها الأمير أنبأنا الله بخلاف ما قلت و حكم بغير ما حكمت قال سبحانه وَ لَا تَرُؤْ
وَ أزرَّ و زَرَ أُخْرَى (١) فقال زياد يا أبا بلال إني لم أجهل ما علمت و لكننا لا نخلص إلى الحق منكم حتى نخوض إليه الباطل
خوضاً.

و فى روايه الرياشى لآخذن الولى بالولى و المقيم بالظاعن و المقبل بالمدبر و الصحيح بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه
فيقول انج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم لى قناتكم

ص: ٥

فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ وَ انْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ وَ ارْجِعْ إِلَى مَعْرِفِهِ مَا لَا تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَامًا وَاضِحَةً وَ سُبُلًا نَيِّرَةً وَ مَحَجَّةً نَهْجَةً وَ غَايَةً مُطَلَّبَةً يَرُدُّهَا الْأَكْيَاسُ وَ يُخَالِفُهَا الْأُنْكَاسُ مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ وَ خَبِطَ فِي التَّبِيِّهِ وَ غَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ وَ أَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ فَانْفَسَكَ نَفْسَكَ فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ وَ حَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورَكَ فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ وَ مَحَلِّهِ كُفْرٍ فَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرًّا وَ أَقْحَمَتْكَ غَيًّا وَ أَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكَ وَ أَوْعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ .

قوله و غايه مطلبه أى مساعفه لطالبها بما يطلبه تقول طلب فلان منى كذا فأطلبته أى أسعفت به قال الراوندى مطلبه بمعنى متطلبه يقال طلبت كذا و تطلبته و هذا ليس بشيء و يخرج الكلام عن أن يكون له معنى.

و الأكياس العقلاء و الأنكاس جمع نكس و هو الدنيا من الرجال و نكب عنها عدل .

قوله و حيث تناهت بك أمورك الأولى ألا يكون هذا معطوفا و لا متصلا

بقوله فقد بين الله لك سبيلك بل يكون كقولهم لمن يأمرونه بالوقوف حيث أنت أي قف حيث أنت فلا يذكرون الفعل و مثله قولهم مكانك أي قف مكانك.

قوله فقد أجريت يقال فلان قد أجرى بكلامه إلى كذا أي الغايه التي يقصدها هي كذا مأخوذ من إجراء الخيل للمسابقه و كذلك قد أجرى بفعله إلى كذا أي انتهى به إلى كذا و يروى قد أوحلتك شرا أو أورطتك في الوحل و الغى ضد الرشاد.

و أقحمتك غيا

جعلتك مقتحما له.

و أوعرت عليك المسالك

جعلتها وعره.

و

٤٢٠٤

١- أول هذا الكتاب أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر مشاغبتى و تستقبح موازرتى و تزعمنى متحيرا و عن الحق مقصرا فسبحان الله كيف تستجيز الغيبه و تستحسن العضيئه أى لم أشاغب إلا- فى أمر بمعروف أو نهى عن منكر و لم أتجبر (١) إلا على باغ مارق أو ملحد منافق و لم آخذ فى ذلك إلا- بقول الله سبحانه لا تجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر يؤادون من حاد الله و رسوله و لو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم (٢) و أما التقصير فى حق الله تعالى فمعاذ الله و إنما المقصر فى حق الله جل ثناؤه من عطل الحقوق المؤكده و ركن إلى الأهواء المبتدعه و أخلد إلى الضلاله المحيره و من العجب أن تصف يا معاويه الإحسان و تخالف البرهان و تنكث الوثائق التى هى لله عز و جل طلبه و على عباده حجه مع نبذ الإسلام و تضييع الأحكام و طمس الأعلام

ص: ٧

١- ١) اب، «و لم أضجر» و ما أثبتته عن «د».

٢- ٢) سورة المجادله ٢٢.

و الجرى فى الهوى و التهوس (١) فى الردى فاتق الله فيما لديك و انظر فى حقه عليك .

الفصل المذكور فى الكتاب.

و فى الخطبه زيادات يسيره لم يذكرها الرضى رحمه الله منها

٤٢٠٥

١- و إن للناس جماعه يد الله عليها و غضب الله على من خالفها ففسك نفسك قبل حلول رمسك فإنك إلى الله راجع و إلى حشره مهطع (٢) و سيهظك كربه و يحل بك غمه فى يوم لا يغنى النادم ندمه و لا يبيل من المعتذر عذره يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ

(٣)

ص: ٨

١-١) النهوس فى الردى:الوقوع فيه.

٢-٢) المهطع:الذى ينظر فى ذل و خشوع.

٣-٣) سوره الدخان ٤١.

إشاره

مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ الْمُقَرَّرِ لِلزَّمَانِ الْمُدْبِرِ الْعُمَرِ الْمُسْتَسْلِمِ [لِلدَّهْرِ الدَّامِ]

لِلدُّنْيَا السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى الطَّاعِنِ عَنْهَا غَدَاً إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمَّلِ مَا لَا يُدْرِكُ السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ غَرَضِ الْأَسْقَامِ وَ
رَهِينَةِ الْأَيَّامِ وَ رَمِيَةِ الْمَصَائِبِ وَ عَبْدِ الدُّنْيَا وَ تَاجِرِ الْغُرُورِ وَ غَرِيمِ الْمَنَايَا وَ أَسِيرِ الْمَوْتِ وَ حَلِيفِ الْهُمُومِ وَ قَرِينِ الْأَحْزَانِ وَ نُصَيْبِ
الْأَفَاتِ وَ صَرِيحِ الشَّهَوَاتِ وَ خَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ.

ترجمه الحسن بن على و ذكر بعض أخباره

قال الزبير بن بكار فى كتاب أنساب قريش ولد الحسن بن على ع للنصف من شهر رمضان سنه ثلاث من الهجره و سماه رسول
الله ص حسنا و توفى ليلال خلون من شهر ربيع الأول سنه خمسين .

٤٢٠٦

١٤,٢,٣- قال و المروى أن رسول الله ص سمى حسنا و حسيناً رضى الله عنهما يوم سابعهما و اشتق اسم حسين من اسم حسن .

ص: ٩

١٥- قال و روى جعفر بن محمد ع أن فاطمه ع حلفت حسنا و حسينا يوم سابعهما و وزنت شعرهما فتصدقت بوزنه فضه .

١٤,١٥,٢,٣- قال الزبير و روت زينب بنت أبى رافع قالت أتت فاطمه ع بابنيها إلى رسول الله ص فى شكوه (١) الذى توفى فيه فقالت يا رسول الله هذان ابناك فورثهما شيئا فقال أما حسن فإن له هيبتي و سوددى و أما حسين فإن له جرأتى و جودى

٢- و روى محمد بن حبيب فى أماليه أن الحسن ع حج خمس عشرة حجه ماشيا تقاد الجنائب معه و خرج من ماله مرتين و قاسم الله عز و جل ثلاث مرات ماله حتى أنه كان يعطى نعلا و يمسك نعلا و يعطى خفا و يمسك خفا- .

و

٢- روى أبو جعفر محمد بن حبيب أيضا أن الحسن ع أعطى شاعرا فقال له رجل من جلسائه سبحان الله أ تعطى شاعرا يعصى الرحمن و يقول البهتان فقال يا عبد الله إن خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك و إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر

و روى أبو جعفر قال قال ابن عباس رحمه الله أول ذل دخل على العرب موت الحسن ع .

و

٢,٣- روى أبو الحسن المدائنى قال سقى الحسن ع السم أربع مرات فقال لقد سقيته مرارا فما شق على مثل مشقته هذه المره فقال له الحسين ع أخبرنى من سقاك قال لتقتله قال نعم قال ما أنا بمخبرك إن يكن صاحبى الذى أظن فالله أشد نقمه و إلا فما أحب أن يقتل بى برىء

٢- و روى أبو الحسن قال قال معاوية لابن عباس و لقيه بمكة يا عجباً من وفاه الحسن شرب عليه بماء رومه (١) ففضى نجبه فوجم ابن عباس فقال معاوية لا يحزنك الله و لا يسوءك فقال لا يسوءنى ما أبقاك الله فأمر له بمائه ألف درهم

و روى أبو الحسن قال أول من نعى الحسن ع بالبصرة عبد الله بن سلمه نعاه لزياد فخرج الحكم بن أبى العاص الثقفى فنعاه فبكى الناس و أبو بكره يومئذ مريض فسمع الضججه فقال ما هذا فقالت امرأته ميسه بنت سخام الثقفيه مات الحسن بن على فالحمد لله الذى أراح الناس منه فقال اسكتى ويحك فقد أراحه الله من شر كثير و فقد الناس بموته خيراً كثيراً يرحم الله حسنا .

٢- قال أبو الحسن المدائنى و كانت وفاته فى سنه تسع و أربعين و كان مرضه أربعين يوماً و كانت سنه سبعا و أربعين سنه دس إليه معاوية سما على يد جعده بنت الأشعث بن قيس زوجه الحسن و قال لها إن قتلته (٢) بالسم فللك مائه ألف و أزوجك يزيد ابنى فلما مات وفى لها بالمال و لم يزوجها من يزيد قال أخشى أن تصنع بابنى كما صنعت بابن رسول الله ص .

و

روى أبو جعفر محمد بن حبيب عن المسيب بن نجبه قال سمعت أمير المؤمنين ع يقول أنا أحدثكم عنى و عن أهل بيتى أما عبد الله ابن أخى فصاحب لهو و سماح و أما الحسن فصاحب جفنه و خوان فتى من فتیان قريش و لو قد التقت حلقتا البطان (٣) لم يغن عنكم شيئاً فى الحرب و أما أنا و حسين فنحن منكم و أنتم منا.

ص: ١١

١- (١) د: «بماء برومه».

٢- (٢) د: «قتلته».

٣- (٣) مثل يضرب للأمر إذا اشتد و جاوز الحد.

١- قال أبو جعفر و روى ابن عباس قال دخل الحسن بن على ع على معاوية بعد عام الجماعة و هو جالس فى مجلس ضيق فجلس عند رجله فتحدث معاوية بما شاء أن يتحدث ثم قال عجباً لعائشه تزعم أنى فى غير ما أنا أهله و أن الذى أصبحت فيه ليس لى بحق ما لها و لهذا يغفر الله لها إنما كان ينازعى فى هذا الأمر أبو هذا الجالس و قد استأثر الله به فقال الحسن أ و عجب ذلك يا معاوية قال إى و الله قال أ فلا- أخبرك بما هو أعجب من هذا قال ما هو قال جلوسك فى صدر المجلس و أنا عند رجلتك فضحك معاوية و قال يا ابن أخى بلغنى أن عليك ديناً قال إن لعلى ديناً قال كم هو قال مائة ألف فقال قد أمرنا لك بثلاثمائة ألف منها لدينك و مائة تقسمها فى أهل بيتك و مائة لخاصه نفسك فقم مكرماً و اقبض صلتك فلما خرج الحسن ع قال يزيد بن معاوية لأبيه تالله ما رأيت رجلاً استقبلك بما استقبلك به ثم أمرت له بثلاثمائة ألف قال يا بنى إن الحق حقهم فمن أتاك منهم فاحث له

٢- و روى أبو جعفر محمد بن حبيب قال قال على ع لقد تزوج الحسن و طلق حتى خفت أن يثير عداوه قال أبو جعفر و كان الحسن إذا أراد أن يطلق امرأه جلس إليها فقال أ يسرك أن أهب لك كذا و كذا فتقول له ما شاءت أو نعم فيقول هو لك فإذا قام أرسل إليها بالطلاق و بما سمي لها

٢- و روى أبو الحسن المدائنى قال تزوج الحسن بن على ع هنداً بنت سهيل بن عمرو و كانت عند عبد الله بن عامر بن كريز فطلقها فكتب معاوية إلى أبى هريره أن يخطبها على يزيد بن معاوية فلقية الحسن ع فقال أين تريد قال أخطب هنداً بنت سهيل بن عمرو على يزيد بن معاوية قال الحسن ع

فاذكرني لها فأتاها أبو هريره فأخبرها الخبر فقالت اختر لي فقال أختار لك الحسن فتزوجته فقدم عبد الله بن عامر المدينة فقال للحسن إن لي عند هند وديعه فدخل إليها و الحسن معه فخرجت حتى جلست بين يدي عبد الله بن عامر فرق لها رقه عظيمه (١) فقال الحسن ألا- أنزل لك عنها فلا أراك تجد محللا خيرا لكما منى قال لا ثم قال لها وديعتي فأخرجت سفتين فيهما جوهر ففتحهما و أخذ من أحدهما قبضه و ترك الآخر (٢) عليها و كانت قبل ابن عامر عند عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد فكانت تقول سيدهم جميعا الحسن و أسخاهم ابن عامر و أحبهم إلى عبد الرحمن بن عتاب

٤٢٢٠

١- و روى أبو الحسن المدائني قال تزوج الحسن حفصه بنت عبد الرحمن بن أبي بكر و كان المنذر بن الزبير يهواها فأبلغ الحسن عنها شيئا فطلقها فخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه و قالت شهر بي فخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجها فأبلغه المنذر عنها شيئا فطلقها فخطبها المنذر فقبل لها تزوجه فقالت لا و الله ما أفعل و قد فعل بي ما قد فعل مرتين لا و الله لا يراني في منزله أبدا

٤٢٢١

٢,٣- و روى المدائني عن جويريه بن أسماء قال لما مات الحسن ع أخرجوا جنازته فحمل مروان بن الحكم سريره فقال له الحسين ع تحمل اليوم جنازته و كنت بالأمس تجرعه الغيظ قال مروان نعم كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال

٤٢٢٢

٢,٣- روى المدائني عن يحيى بن زكريا عن هشام بن عروه قال قال الحسن عند وفاته ادفنوني عند قبر رسول الله ص إلا أن تخافوا أن يكون في ذلك شر فلما أرادوا دفنه قال مروان بن الحكم لا يدفن عثمان في حش كوكب (٣) و يدفن الحسن هاهنا

ص: ١٣

(١-١) د: «شديده».

(٢-٢) د: «الباقى».

(٣-٣) حش كوكب، بفتح أوله و تشديد ثانيه: موضع عند بقيع الغرقد، اشتراه عثمان رضى الله عنه، و زاده في البقيع، و لما قتل

فاجتمع بنو هاشم و بنو أميه و أعان هؤلاء قوم و هؤلاء قوم و جاءوا بالسلاح فقال أبو هريره لمروان أ تمنع الحسن أن يدفن في هذا الموضع و قد سمعت رسول الله ص يقول الحسن و الحسين سيذا شباب أهل الجنه قال مروان دعنا منك لقد ضاع حديث رسول الله ص إذ كان لا يحفظه غيرك و غير أبي سعيد الخدرى و إنما أسلمت أيام خبير قال أبو هريره صدقت أسلمت أيام خبير و لكننى لزمتم رسول الله ص و لم أكن أفارقه و كنت أسأله و عنيت بذلك حتى علمت من أحب و من أبغض و من قرب و من أبعد و من أقر و من نفى و من لعن و من دعا له فلما رأته عائشه السلاح و الرجال و خافت أن يعظم الشر بينهم و تسفك الدماء قالت البيت بيتى و لا آذن لأحد أن يدفن فيه و أبى الحسين ع أن يدفنه إلا مع جده فقال له محمد بن الحنفية يا أخى إنه لو أوصى أن ندفنه لدفناه أو نموت قبل ذلك و لكنه قد استثنى و قال إلا أن تخافوا الشر فأى شر يرى أشد مما نحن فيه فدفنوه (١) فى البقيع

٤٢٢٣

قال أبو الحسن المدائنى وصل نعى الحسن ع إلى البصره فى يومين و ليلتين فقال الجارود بن أبى سبره (٢) إذا كان شر سار يوما و ليله

٤٢٢٤

٢- و روى أبو الحسن المدائنى قال خرج على معاويه قوم من الخوارج بعد دخوله الكوفه و صلح الحسن ع له فأرسل معاويه إلى الحسن ع يسأله أن يخرج فيقاتل الخوارج فقال الحسن سبحان الله تركت قتالك و هو لى حلال لصلاح الأمه و ألفتهم أ فترانى أقاتل معك فخطب معاويه أهل الكوفه فقال يا أهل الكوفه

ص: ١٤

١- (١) د: «دفن».

٢- (٢) د هبيره: (٠).

أ ترونى قاتلتكم على الصلاه و الزكاه و الحج و قد علمت أنكم تصلون و تزكون و تحجون و لكننى قاتلتكم لأتأمر عليكم و على رقابكم و قد آتانى الله ذلك و أنتم كارهون ألا إن كل مال أو دم أصيب فى هذه الفتنة فمطلول و كل شرط شرطته فتحت قدمى هاتين و لا يصلح الناس إلا ثلاث إخراج العطاء عند محله و إقبال الجنود لوقتها و غزو العدو فى داره فإنهم إن لم تغزوهم غزوكم ثم نزل.

قال المدائنى فقال المسيب بن نجبه للحسن ع ما ينقضى عجبى منك بايعة معاويه و معك أربعون ألفا و لم تأخذ لنفسك وثيقه و عقدا ظاهرا أعطاك أمرا فيما بينك و بينه ثم قال ما قد سمعت و الله ما أراد (١) بها غيرك قال فما ترى قال أرى أن ترجع إلى ما كنت عليه فقد نقض ما كان بينه و بينك فقال يا مسيب إنى لو أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاويه بأصبر عند اللقاء و لا أثبت عند الحرب منى و لكنى أردت صلاحكم و كف بعضكم عن بعض فارضوا بقدر الله و قضائه حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر

٤٢٢٥

٢,٣- قال المدائنى و دخل عبيده بن عمرو الكندى على الحسن ع و كان ضرب على وجهه ضربه و هو مع قيس بن سعد بن عباده فقال ما الذى أرى بوجهك قال أصابنى مع قيس فالتفت حجر بن عدى إلى الحسن فقال لوددت أنك كنت مت قبل هذا اليوم و لم يكن ما كان إنا رجعنا راغمين بما كرهنا و رجعوا مسرورين بما أحبوا فتغير وجه الحسن و غمز الحسين ع حجرا فسكت فقال الحسن ع يا حجر ليس كل الناس يحب ما تحب و لا رأيه كراييك و ما فعلت إلا إبقاء عليك و الله كل يوم فى شأن

ص: ١٥

(١-١) عبارته د: «ما أراد بما قال غيرك».

٢،١٤،١- قال المدائني و دخل عليه سفيان بن أبي ليلي النهدي فقال له السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال الحسن اجلس يرحمك الله إن رسول الله ص رفع له ملك بنى أميه فنظر إليهم يعلون منبره واحدا فواحدا فشق ذلك عليه فأنزل الله تعالى في ذلك قرآنا قال له وَمَجَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ (١) و سمعت عليا أبي رحمه الله يقول سيلى أمر هذه الأمه رجل واسع البلعوم كبير البطن فسألته من هو فقال معاويه و قال لى إن القرآن قد نطق بملك بنى أميه و مدتهم قال تعالى لَيْلَهُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٢) قال أبى هذه ملك بنى أميه

٢،٣،١٤- قال المدائني فلما كان عام الصلح أقام الحسن ع بالكوفه أياما ثم تجهز للشخصى إلى المدينه فدخل عليه المسيب بن نجبه الفزارى و ظبيان بن عماره التيمى ليودعاه فقال الحسن الحمد لله الغالب على أمره لو أجمع الخلق جميعا على ألا يكون ما هو كائن ما استطاعوا فقال أخوه الحسين ع لقد كنت كارها لما كان طيب النفس على سبيل أبى حتى عزم على أخى فأطعته و كأنما يجذ أنفى بالمواسى فقال المسيب إنه و الله ما يكبر علينا هذا الأمر إلا أن تضاموا و تنتقصوا فأما نحن فإنهم سيطلبون مودتنا بكل ما قدروا عليه فقال الحسين يا مسيب نحن نعلم أنك تحبنا فقال الحسن ع سمعت أبى يقول سمعت رسول الله ص يقول من أحب قوما كان معهم فعرض له المسيب و ظبيان بالرجوع فقال ليس [لى]

(٣) إلى ذلك سبيل فلما كان من غد خرج فلما صار بدير هند نظر إلى الكوفه و قال و لا عن قلى فارقت دار معاشرى هم المانعون حوزتى و ذمارى

(١-١) سورة الإسراء: ٦٠.

(٢-٢) سورة القدر: ٣.

(٣-٣) من «د».

ثم سار إلى المدينة .

قال المدائني فقال معاوية يومئذ للوليد بن عقبه بن أبي معيط بعد شخوص الحسن ع يا أبا وهب هل رمت قال نعم و سموت

قال المدائني أراد معاوية قول الوليد بن عقبه يحرضه على الطلب بدم عثمان ألا أبلغ معاوية بن حرب

٤٢٢٨

٢- و روى المدائني عن إبراهيم بن محمد عن زيد بن أسلم قال دخل رجل على الحسن ع بالمدينة و في يده صحيفة فقال له الرجل ما هذه قال هذا كتاب معاوية يتوعد فيه علي أمر كذا فقال الرجل لقد كنت على النصف فما فعلت فقال له الحسن ع أجل و لكني خشيت أن يأتي يوم القيامة سبعون ألفا أو ثمانون ألفا تشخب أوداجهم دما كلهم يستعدى الله فيم هريق دمه

٤٢٢٩

قال أبو الحسن و كان الحصين (١) بن المنذر الرقاشي يقول و الله ما وفي معاوية للحسن بشيء مما أعطاه قتل حجرا و أصحاب حجر (٢) و بايع لابنه يزيد و سم الحسن .

ص: ١٧

١-١) المليم: من أتى من الأمر ما يلام عليه.

٢-٢) في اللسان: «السدوم: الذي يرغب عن فحلته فيحال بينه و بين ألافه و يقيد إذا هاج فيرعى حوالى الدار، و إن صال جعل له حجام يمنعه عن فتح فمه، و منه قول الوليد بن عقبه... و استشهد بالبيت.

٢- قال المدائني و روى أبو الطفيل قال قال الحسن ع لمولى له أ تعرف معاوية بن خديج قال نعم قال إذا رأيته فأعلمني فرآه خارجا من دار عمرو بن حريث فقال هو هذا فدعاه فقال له أنت الشاتم عليا عند ابن آكله الأكباد أما والله لئن وردت الحوض و لم ترده لترينه مشمرا عن ساقيه حاسرا عن ذراعيه يذود عنه المنافقين

قال أبو الحسن و روى هذا الخبر أيضا قيس بن الربيع عن بدر (١) بن الخليل عن مولى الحسن ع .

٢- قال أبو الحسن و حدثنا سليمان بن أيوب عن الأسود (٢) بن قيس العبدى إن الحسن ع لقي يوما حبيب بن مسلمة فقال له يا حبيب رب مسير لك في غير طاعة الله فقال أما مسيرى إلى أيك فليس من ذلك قال بلى و الله و لكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة زائلة فلئن قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك و لو كنت إذ فعلت شرا قلت خيرا كان ذلك كما قال عز و جل خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّئًا (٣) و لكنك كما قال سبحانه كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٤) .

٢- قال أبو الحسن طلب زياد رجلا- من أصحاب الحسن ممن كان في كتاب الأمان فكتب إليه الحسن من الحسن بن علي إلى زياد أما بعد فقد علمت ما كنا أخذنا من الأمان لأصحابنا و قد ذكر لي فلان أنك تعرضت له فأحب ألا تعرض له إلا بخير و السلام.

١- (١) في د: «زيد».

٢- (٢) د: «أبي الأسود».

٣- (٣) سورة التوبة ١٠٢.

٤- (٤) سورة المطففين ١٤.

فلما أتاه الكتاب و ذلك بعد ادعاء معاويه إياه غضب حيث لم ينسبه إلى أبي سفيان فكتب إليه من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن أما بعد فإنه أتاني كتابك في فاسق تؤويه الفساق من شيعتك و شيعه أبيك و ايم الله لأطلبه بين جلدك و لحمك و إن أحب الناس إلى لحما أن آكله للحم أنت منه و [السلام]

(١).

فلما قرأ الحسن ع الكتاب بعث به إلى معاويه فلما قرأه غضب و كتب من معاويه بن أبي سفيان إلى زياد أما بعد فإن لك رأيين رأيا من أبي سفيان و رأيا من سمييه فأما رأيك من أبي سفيان فحلّم و حزم و أما رأيك من سمييه فما يكون من مثلها إن الحسن بن علي ع كتب إلى بأنك عرضت لصاحبه فلا تعرض له فإني لم أجعل [لك]

(٢) عليه سيلا- و إن الحسن ليس ممن يرمى به الرجوان (٣) و العجب من كتابك إليه لا تنسبه إلى أبيه أو إلى أمه فالآن حين اخترت له و السلام

قلت جرى في مجلس بعض الأكابر و أنا حاضر القول في أن عليا ع شرف بفاطمه ع فقال إنسان كان حاضر المجلس بل فاطمه ع شرفت به و خاض الحاضرون في ذلك بعد إنكارهم تلك اللفظه و سألتني صاحب المجلس أن أذكر ما عندي في المعنى و أن أوضح أيما أفضل على أم فاطمه فقلت أما أيهما أفضل فإن أريد بالأفضل الأجمع للمناقب التي تتفاضل بها الناس نحو العلم و الشجاعه و نحو ذلك فعلى أفضل و إن أريد بالأفضل الأرفع منزله عند الله فالذي

ص: ١٩

١-١ (١) عن «د».

١-٢ (١) عن «د».

-٣

استقر عليه رأى المتأخرين من أصحابنا أن عليا أرفع المسلمين كافة عند الله تعالى بعد رسول الله ص من الذكور والإناث و فاطمه امرأه من المسلمين و إن كانت سيده نساء العالمين و يدل على ذلك أنه قد ثبت أنه أحب الخلق إلى الله تعالى بحديث الطائر و فاطمه من الخلق و أحب الخلق إليه سبحانه أعظمهم ثوابا يوم القيامة على ما فسره المحققون من أهل الكلام و إن أريد بالأفضل الأشرف نسبيا ففاطمه أفضل لأن أباهما سيد ولد آدم من الأولين و الآخرين فليس فى آباء على ع مثله و لا مقارنه و إن أريد بالأفضل من كان رسول الله ص أشد عليه حنوا و أمس به رحما ففاطمه أفضل لأنها ابنته و كان شديد الحب لها و الحنو عليها جدا و هى أقرب إليه نسبا من ابن العم لا شبهه فى ذلك.

فأما القول فى أن عليا شرف بها أو شرفت به فإن عليا ع كانت أسباب شرفه و تميزه على الناس متنوعه فمنها ما هو متعلق بفاطمه ع و منها ما هو متعلق بأبيها ص و منها ما هو مستقل بنفسه.

فأما الذى هو مستقل بنفسه فنحو شجاعته و عفته و حلمه و قناعته و سجاحه أخلاقه و سماحه نفسه و أما الذى هو متعلق برسول الله ص فنحو علمه و دينه و زهده و عبادته و سبقه إلى الإسلام و إخباره بالغيوب.

و أما الذى يتعلق بفاطمه ع فنكاحه لها حتى صار بينه و بين رسول الله ص الصهر المضاف إلى النسب و السبب و حتى إن ذريته منها صارت ذريه لرسول الله ص و أجزاء من ذاته ع و ذلك لأن الولد إنما يكون من منى الرجل و دم المرأة و هما جزءان من ذاتى الأب و الأم ثم هكذا أبدا فى ولد الولد و من بعده من البطون دائما فهذا هو القول فى شرف على ع بفاطمه .

فأما شرفها به فإنها و إن كانت ابنه سيد العالمين إلا أن كونها زوجه على أفادها نوعا من شرف آخر زائدا على ذلك الشرف الأول ألا ترى أن أباه لو زوجها أبا هريره أو أنس بن مالك لم يكن حالها فى العظمه و الجلاله كحالها الآن و كذلك لو كان بنوها و ذريتها من أبى هريره و أنس بن مالك لم يكن حالهم فى أنفسهم كحالهم الآن.

٤٢٣٣

٢- قال أبو الحسن المدائنى و كان الحسن كثير التزوج تزوج خوله بنت منظور بن زيان الفزاريه و أمها مليكه بنت خارجه بن سنان فولدت له الحسن بن الحسن و تزوج أم إسحاق بنت طلحه بن عبيد الله فولدت له ابنا سماه طلحه و تزوج أم بشر بنت أبى مسعود الأنصارى و اسم أبى مسعود عقبه بن عمر فولدت له زيد بن الحسن و تزوج جعده بنت الأشعث بن قيس و هى التى سقته السم و تزوج هند ابنه [سهيل بن عمرو و حفصه]

(١) ابنه عبد الرحمن بن أبى بكر و تزوج امرأه من كلب و تزوج امرأه من بنات عمرو بن أهتم المنقرى و امرأه من ثقيف فولدت له عمرا و تزوج امرأه من بنات علقمه ابن زراره و امرأه من بنى شيبان من آل همام بن مره فقيل له إنها ترى رأى الخوارج فطلقها و قال إنى أكره أن أضم إلى نحري جمره من جمر جهنم .

٤٢٣٤

٢- و قال المدائنى و خطب إلى رجل فوجه و قال له إنى مزوجك و أعلم أنك ملق طلق غلق (٢) و لكنك خير الناس نسبا و أرفعهم جدا و أبا .

قلت أما قوله ملق فقد صدق و أما قوله غلق فلا فإن الغلق الكثير الضجر و كان الحسن ع أوسع الناس صدرا و أسجحهم خلقا.

ص: ٢١

١- (١) من «د».

٢- (٢) الملق: الفقير.

١،٣،٢- قال المدائني و لما توفي علي ع خرج عبد الله بن العباس بن عبد المطلب إلى الناس فقال إن أمير المؤمنين ع توفي و قد ترك خلفا فإن أحببتم خرج إليكم و إن كرهتم فلا أحد على أحد فبكى الناس و قالوا بل يخرج إلينا فخرج الحسن ع فخطبهم فقال أيها الناس اتقوا الله فإننا أمراؤكم و أولياؤكم و إنا أهل البيت الذين قال الله تعالى فينا **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** (١) فبايعه الناس.

و كان خرج إليهم و عليه ثياب سود ثم وجه عبد الله بن عباس و معه قيس بن سعد بن عباده مقدمه له في اثني عشر ألفا إلى الشام و خرج و هو يريد المدائن فطعن بسابط و انتهب متاعه و دخل المدائن و بلغ ذلك معاويه فأشاعه و جعل أصحاب الحسن الذين وجههم مع عبد الله يتسللون إلى معاويه الوجوه و أهل البيوتات فكتب عبد الله بن العباس بذلك إلى الحسن ع فخطب الناس و وبخهم و قال خالفتم أبي حتى حكم و هو كاره ثم دعاكم إلى قتال أهل الشام بعد التحكيم فأبيتهم حتى صار إلى كرامه الله ثم بايعتموني على أن تسالموا من سالمى و تحاربوا من حاربني و قد أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاويه و بايعوه فحسبى منكم لا تغرونى من دينى و نفسى.

و أرسل عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب و أمه هند بنت أبي سفيان بن حرب إلى معاويه يسأله المسالمة و اشترط عليه العمل بكتاب الله و سنه نبيه و ألا يبايع لأحد من بعده و أن يكون الأمر شورى و أن يكون الناس أجمعون آمنين.

و كتب بذلك كتابا فأبى الحسين ع و امتنع فكلمه الحسن حتى رضى و قدم معاويه إلى الكوفه

٤٢٣٦

٢١- قال أبو الحسن و حدثنا أبو بكر بن الأسود قال كتب ابن العباس إلى الحسن أما بعد فإن المسلمين ولو كك أمرهم (١) بعد على ع فشمم للحرب و جاهد عدوك و قارب أصحابك و اشتر (٢) من الظنين (٣) دينه بما لا يثلم (٤) لك دينا (٥) و وال أهل (٦) البيوتات و الشرف تستصلح به عشائهم حتى يكون الناس جماعه فإن بعض ما يكره الناس ما لم يتعد الحق و كانت عواقبه تؤدي إلى ظهور العدل و عز الدين خير من كثير مما يحبه الناس إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور و ذل المؤمنين و عز الفاجرين و اقتد بما جاء عن أئمة العدل فقد جاء عنهم أنه لا يصلح الكذب إلا في حرب أو إصلاح بين الناس فإن الحرب خدعه و لك في ذلك سعه إذا كنت محاربا ما لم تبطل حقا.

و اعلم أن عليا أباك إنما رغب الناس عنه إلى معاويه أنه أساء بينهم في الفء و سوى بينهم في العطاء فتقل عليهم و اعلم أنك تحارب من حارب الله و رسوله في ابتداء الإسلام حتى ظهر أمر الله فلما وحد الرب و محق الشرك و عز الدين أظهروا الإيمان و قرءوا القرآن مستهزئين بآياته و قاموا إلى الصلاة و هم كسالى و أدوا الفرائض

ص: ٢٣

١- (١) في د: «أمورهم».

٢- (٢) د: «و استر».

٣- (٣) الظنين: «المتهم».

٤- (٤) يثلم: يعيب.

٥- (٥) العقد ٣٠:١، و عيون الأخبار ١٤:١ «يفك».

٦- (٦) العقد و عيون الأخبار: «و ول».

و هم لها كارهون فلما رأوا أنه لا يعز في الدين إلا الأتقياء الأبرار توسموا بسيما الصالحين ليظن المسلمون بهم خيرا فما زالوا بذلك حتى شركوهم في أماناتهم و قالوا حسابهم على الله فإن كانوا صادقين فأخواننا في الدين و إن كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الأخسرين و قد منيت بأولئك و بأبنائهم و أشباههم و الله ما زادهم طول العمر إلا غيا و لا زادهم ذلك لأهل الدين إلا مقتا فجاهدهم و لا ترض دنيه و لا تقبل خسفا (١) فإن عليا لم يجب إلى الحكومه حتى غلب على أمره فأجاب و إنهم يعلمون أنه أولى بالأمر إن حكموا بالعدل فلما حكموا بالهوى رجع إلى ما كان عليه حتى أتى عليه أجله و لا تخرجن من حق أنت أولى به حتى يحول الموت دون ذلك و السلام .

٤٢٣٧

٢- قال المدائني و كتب الحسن ع إلى معاوية من عبد الله الحسن بن علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فإن الله بعث محمدا ص رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ فأظهر به الحق و قمع به الشرك و أعز به العرب عامه و شرف به قريشا خاصة فقال وَ إِنَّهُ لَعِزُّكَ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ (٢) فلما توفاه الله تنازعت العرب في الأمر بعده فقالت قريش نحن عشيرته و أولياؤه فلا تنازعونا سلطانه فعرفت العرب لقريش ذلك و جاحدتنا قريش ما عرفت لها العرب فبهيات ما أنصفتنا قريش و قد كانوا ذوى فضيله في الدين و سابقه في الإسلام و لا غرو (٣) إلا منازعته إيانا الأمر بغير حق في الدنيا معروف و لا أثر في الإسلام محمود فالله الموعود نسأل الله ألا يؤتينا في هذه الدنيا شيئا ينقصنا عنده في الآخرة إن عليا لما توفاه الله ولانى المسلمون الأمر بعده فاتق الله يا معاوية و انظر لأمه محمد ص

ص: ٢٤

١- (١) خسفا، أى ذلا.

٢- (٢) سورة الزخرف ٤٤.

٣- (٣) لا غرو؛ أى لا عجب.

ما تحقن به دماءها و تصلح به أمرها و السلام.

و بعث بالكتاب مع الحارث بن سويد التيمي تيم الرباب و جندب الأزدى فقدا على معاويه فدعواه إلى بيعه الحسن ع فلم يجبهما و كتب جوابه أما بعد فقد فهمت ما ذكرت به رسول الله و هو أحق الأولين و الآخريين بالفضل كله و ذكرت تنازع المسلمين الأمر بعده فصرحت بتهمه أبي بكر الصديق و عمر و أبي عبيده الأمين و صلحاء المهاجرين فكرهت لك ذلك إن الأمة لما تنازعت الأمر بينها رأت قريشا أخلقها (١) به فرأت قريش و الأنصار و ذوو الفضل و الدين من المسلمين أن يولوا من قريش أعلمها بالله و أخشاهها له و أقواها على الأمر فاختروا أبا بكر و لم يألوا و لو علموا مكان رجل غير أبي بكر يقوم مقامه و يذب عن حرم الإسلام ذبه ما عدلوا بالأمر إلى أبي بكر و الحال اليوم بينى و بينك على ما كانوا عليه فلو علمت أنك أضبط لأمر الرعيه و أحوط على هذه الأمة و أحسن سياسه و أكيد للعدو و أقوى على جمع الفىء لسلمت لك الأمر بعد أبيك فإن أباك سعى على عثمان حتى قتل مظلوما فطالب الله بدمه و من يطلبه الله فلن يفوته ثم ابتز الأمة أمرها و فرق جماعتها فخالفه نظراؤه من أهل السابقه و الجهاد و القدم فى الإسلام و ادعى أنهم نكثوا بيعته فقاتلهم فسفكت الدماء و استحلّت الحرم ثم أقبل إلينا لا يدعى علينا بيعه و لكنه يريد أن يملكنا اغترارا فحاربناه و حاربنا ثم صارت الحرب إلى أن اختار رجلا و اخترنا رجلا ليحكم بما تصلح عليه الأمة و تعود به الجماعه و الألفه و أخذنا بذلك عليهما ميثاقا و عليه مثله و علينا مثله على الرضا بما حكما فأمضى الحكمان عليه الحكم بما علمت و خلعا فو الله ما رضى بالحكم و لا صبر لأمر الله فكيف تدعونى إلى أمر إنما تطلبه بحق أبيك و قد خرج منه فانظر لنفسك و لدينك و السلام.

ص: ٢٥

١- ١) فى د«أحقها».

قال ثم قال للحارث و جندب ارجعا فليس بينى و بينكم إلا السيف فرجعا و أقبل إلى العراق فى ستين ألفا و استخلف على الشام الضحاك بن قيس الفهرى و الحسن مقيم بالكوفة لم يشخص حتى بلغه أن معاويه قد عبر جسر منبج فوجه حجر بن عدى يأمر العمال بالاحتراس و يذب الناس فسارعوا فعقد لقيس بن سعد بن عباده على اثنى عشر ألفا فنزل دير عبد الرحمن و استخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب و أمر قيس بن سعد بالمسير و ودعه و أوصاه فأخذ على الفرات و قرى الفلوجه ثم إلى مسكن و ارتحل الحسن ع متوجها نحو المدائن فأتى ساباط فأقام بها أياما فلما أراد أن يرحل إلى المدائن قام فخطب الناس فقال أيها الناس إنكم بايعتمونى على أن تسالموا من سالمت و تحاربوا من حاربت و إنى و الله ما أصبحت محتملا على أحد من هذه الأممه ضغينه فى شرق و لا غرب و لما تكروهون فى الجماعه و الألفه و الأمن و صلاح ذات البين خير مما تجبون فى الفرقة و الخوف و التباغض و العداوه و إن عليا أبى كان يقول لا تكروهوا إماره معاويه فإنكم لو فارقتموه لرأيتم الرءوس تندر (١) عن كواهلها كالحنظل ثم نزل.

فقال الناس ما قال هذا القول إلا و هو خالع نفسه و مسلم الأمر لمعاويه فثاروا به فقطعوا كلامه و انتهبوا متاعه و انتزعوا مطرفا كان عليه و أخذوا جاريه كانت معه و اختلف الناس فصارت طائفه معه و أكثرهم عليه فقال اللهم أنت المستعان و أمر بالرحيل فارتحل الناس و أتاه رجل بفرس فركبه و أطاف به بعض أصحابه فمنعوا الناس عنه و ساروا فقدمه سنان بن الجراح الأسدى إلى مظلم ساباط فأقام به فلما دنا منه تقدم إليه يكلمه و طعنه فى فخذه بالمعول (٢) طعنه كادت تصل إلى العظم فغشى عليه و ابتدره أصحابه فسبق إليه عبيد الله الطائى فصرع سنانا و أخذ ظبيان بن عماره المعول

ص: ٢٦

١-١) تندر: تقطع.

٢-٢) المعول: حديده ينقر بها الصخر.

من يده فضربه به فقطع أنفه ثم ضربه بصخره على رأسه فقتله و أفاق الحسن ع من غشيته فعصبوا جرحه و قد نزف و ضعف
فقدموا به المدائن و عليها سعد بن مسعود عم المختار بن أبي عبيد و أقام بالمدائن حتى برأ من جرحه

٤٢٣٨

٢,١٤,٣- قال المدائني و كان الحسن ع أكبر ولد على و كان سيديا سخيا حلما خطيبا و كان رسول الله ص يحبه سابق يوما بين
الحسين و بينه فسبق الحسن فأجلسه على فخذه اليمنى ثم أجلس الحسين على الفخذ اليسرى فقبل له يا رسول الله أيهما أحب
إليك فقال أقول كما قال إبراهيم أبونا و قيل له أي ابنيك أحب إليك قال أكبرهما و هو الذي يلد ابني محمدا ص

٤٢٣٩

٢,١٤- و روى المدائني عن زيد بن أرقم قال خرج الحسن ع و هو صغير و عليه برده و رسول الله ص يخطب فعثر فسقط فقطع
رسول الله ص الخطبه و نزل مسرعا إليه و قد حمله الناس فتسلمه و أخذه على كتفه و قال إن الولد لفتنه لقد نزلت إليه و ما
أدرى ثم صعد فأتى الخطبه

٤٢٤٠

٢,١- و روى المدائني قال لقي عمرو بن العاص الحسن ع فى الطواف فقال له يا حسن زعمت أن الدين لا- يقوم إلا- بك و
بأيك فقد رأيت الله أقامه بمعاوليه فجعله راسيا بعد ميله و بينا بعد خفائه أ فرضى الله بقتل عثمان أ و من الحق أن تطوف بالبيت
كما يدور الجمل بالطحين عليك ثياب كغرقى (١) البيض و أنت قاتل عثمان و الله إنه لألم للشعث و أسهل للوعث أن يوردك
معاوليه حياض أبيك فقال الحسن ع إن لأهل النار علامات يعرفون بها إلحادا لأولياء الله و موالا لأعداء الله و الله إنك

ص: ٢٧

تتعلم أن عليا لم يرتب في الدين ولا يشك في الله ساعه ولا طرفه عين قط و ايم الله لتنتهين يا ابن أم عمرو أو لأنفذن حزنك بنوافذ أشد من القعصيه (١) فإياك و التهجم على فإني من قد عرفت لست بضعيف الغمزه و لا هس المشاشه (٢) و لا مرىء المأكله و إني من قريش كواسطه القلاده يعرف حسبي و لا أدعى لغير أبي و أنت من تعلم و يعلم الناس تحاكت فيك رجال قريش فغلب عليك جزاروها الأهمهم حسبا و أعظمهم لؤما فإياك عنى فإنك رجس و نحن أهل بيت الطهاره أذهب الله عنا الرجس و طهرنا تطهيرا فأفحم عمرو و انصرف كئيبا

و .

٤٢٤١

٢- روى أبو الحسن المدائنى قال سأل معاويه الحسن بن على بعد الصلح أن يخطب الناس فامتنع فناشده أن يفعل فوضع له كرسي فجلس عليه ثم قال الحمد لله الذى توحد فى ملكه و تفرد فى ربوبيته يؤتى الملك من يشاء و ينزعه عن من يشاء و الحمد لله الذى أكرم بنا مؤمنكم و أخرج من الشرك أولكم و حقن دماء آخركم فبلاؤنا عندكم قديما و حديثا أحسن البلاء إن شكرتم أو كفرتم أيها الناس إن رب على كان أعلم بعلى حين قبضه إليه و لقد اختصه بفضل لم تعتادوا مثله و لم تجدوا مثل سابقته فهيهات هيهات طالما قلبتم له الأمور حتى أعلاه الله عليكم و هو صاحبكم و عدوكم فى بدر و أخواتها جرعكم رنقا و سقاكم علقا و أذل رقابكم و أشرقكم بريقكم فليستم بملومين على بغضه و ايم الله لا ترى أمه محمد خفضا ما كانت سادتهم و قادتهم فى بنى أميه و لقد وجه الله إليكم فتنه لن تصدروا عنها حتى تهلكوا لطاعتكم طواغيتكم و انضوائكم إلى شياطينكم فعند الله أحسب ما مضى و ما ينتظر من سوء دعتكم و حيف حكمكم ثم قال يا أهل الكوفه لقد فارقكم بالأمس سهم من مرامى الله صائب

ص: ٢٨

١- (١) القعصيه: الأسنه، منسوبه إلى قعصب اسم رجل كان يعمل الأسنه فى الجاهليه.

٢- (٢) المشاش فى الأصل: رءوس العظام.

على أعداء الله نكال على فجار قريش لم يزل آخذاً بحناجرها جاثماً على أنفاسها ليس بالملومه في أمر الله ولا بالسروقه لمال الله ولا بالفروقه في حرب أعداء الله أعطى الكتاب خواتمه و عزائمه دعاه فأجابه وقاده فاتبعه لا تأخذه في الله لومه لائم فصلوات الله عليه و رحمته ثم نزل فقال معاويه أخطأ عجل أو كاد و أصاب مثبت أو كاد ما ذا أردت من خطبه الحسن

٤٢٤٢

٢- فأما أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني فإنه قال كان في لسان أبي محمد الحسن ع ثقل كالفأفأه حدثني بذلك محمد بن الحسين الأشناني قال حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي عن مفضل بن صالح عن جابر قال كان في لسان الحسن ع رته فكان (١) سلمان الفارسي رحمه الله يقول أته من قبل عمه موسى بن عمران ع (٢).

قال أبو الفرج و مات شهيدا مسموما دس معاويه إليه و إلى سعد بن أبي وقاص حين أراد أن يعهد إلى يزيد ابنه بالأمر بعده سما فماتا منه في أيام متقاربه و كان الذي تولى ذلك من الحسن ع زوجته جعده بنت الأشعث بن قيس بمال بذله لها معاويه .

و يقال إن اسمها سكينه و يقال عائشه و يقال شعشاء (٣) و الصحيح أن اسمها جعده .

٤٢٤٣

٢- قال أبو الفرج فروى عمرو بن ثابت قال كنت أختلف إلى أبي إسحاق

ص: ٢٩

١- (١) أ،ب: «رته»، تصحيف، و الصواب ما أثبتته من د و مقاتل الطالبيين، و الرته: عجله الكلام مع قله المبالاه.

٢- (٢) مقاتل الطالبيين ٥٠.

٣- (٣) ب: «شيئا».

(١) أسأله عن الخطبه التي خطب بها الحسن بن علي ع عقب وفاه أبيه و لا (٢) يحدثني بها فدخلت إليه في يوم شات و هو في الشمس و عليه برنسه فكأنه غول فقال لي من أنت فأخبرته فبكي و قال كيف أبوك و كيف أهلك قلت صالحون قال في أى شيء تتردد منذ سنه قلت في خطبه الحسن بن علي بعد وفاه أبيه (٣) .

حدثني هبيرة ابن مريم (٤) قال -خطب الحسن ع بعد وفاه أمير المؤمنين ع فقال قد قبض في هذه الليله رجل لم يسبقه الأولون و لا يدركه الآخرون [بعمل]

(٥) لقد كان يجاهد مع رسول الله ص فيسبقه بنفسه و لقد كان يوجهه برايته فيكنفه جبرائيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه و لقد توفي في الليله التي عرج فيها بعيسى بن مريم و التي توفي فيها يوشع بن نوح و ما خلف صفراء و لا بيضاء إلا سبعمائه درهم من عطائه أراد أن يتاع بها خادما لأهله ثم خنقته العبره فبكي و بكى الناس معه ثم قال أيها الناس من عرفني فقد عرفني و من لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رسول الله ص أنا ابن البشير أنا ابن النذير أنا ابن الداعي إلى الله يا ذنه و السراج المنير أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا و الذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا (٦) فاقتراف الحسنه مودتنا أهل البيت .

قال أبو الفرج فلما انتهى إلى هذا الموضع من الخطبه قام عبد الله بن العباس بين

ص : ٣٠

١-١) من د و مقاتل الطالبيين.

٢-٢) د: «فلا».

٣-٣) مقاتل الطالبيين ٥١.

٤-٤) كذا في مقاتل الطالبيين.

٥-٥) من مقاتل الطالبيين.

٦-٦) سورة الشورى ٢٣.

يديه فدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا وقالوا ما أحبه إلينا و أحقه بالخلافه فيايعوه ثم نزل من المنبر

(١)

٤٢٤٤

٢- قال أبو الفرج و دس معاويه رجلا- من حمير إلى الكوفه و رجلا- من بنى القين إلى البصره يكتبان إليه بالأخبار فدل على الحميرى (٢) و على القينى فأخذا و قتلا (٣) .

وكتب الحسن ع إلى معاويه أما بعد فإنك دسست إلى الرجال كأنك تحب اللقاء لا أشك في ذلك فتوقعه إن شاء الله و بلغنى أنك شمت بما لم يشمت به ذو الحجى و إنما مثلك فى ذلك كما قال الأول فإننا و من قد مات منا لكالذى فأجابه معاويه أما بعد فقد وصل كتابك و فهمت ما ذكرت فيه و لقد علمت بما حدث فلم أفرح و لم أحزن و لم أشمت و لم آس و إن عليا أباك لكما قال أعشى بنى قيس بن ثعلبه فأنت الجواد و أنت الذى

(٤)

ص: ٣١

١-١) مقاتل الطالبين ٥٢.

٢-٢) مقاتل الطالبين: «فدل على الحميرى عند لحام».

٣-٣) مقاتل الطالبين ٥٢.

٤-٤) فى مقاتل الطالبين، البيت الثانى قبل الأول.

قال أبو الفرج و كتب عبد الله بن العباس من البصره إلى معاويه أما بعد فإنك و دسك أخوا بني القين إلى البصره تلتمس من غفلات قريش بمثل ما ظفرت به من يمانيتك لكما قال أميه بن أبي الأسكر (١) لعمر ك إنى و الخزاعى طارقا

فأجابه معاويه أما بعد فإن الحسن بن على قد كتب إلى بنحو مما كتبت به و أنبأنى بما لم يحقق سوء ظن (٢) و رأى فى و إنك لم تصب مثلى و مثلكم و إنما مثلنا كما قال طارق الخزاعى يجب أميه عن هذا الشعر فو الله ما أدرى و إنى لصادق

ص: ٣٢

١-١) كذا فى الأغانى و مقاتل الطالبين و هو الصواب، و فى ب: «أميه بن أبى الصلت».

٢-٢) فى الأغانى: «أعسر».

٢,١- قال أبو الفرج و كان أول شىء أحدثه الحسن ع أنه زاد المقاتله مائه مائه و قد كان على ع فعل ذلك يوم الجمل و فعله الحسن حال الاستخلاف فتبعه الخلفاء من بعده فى ذلك

(١)

٤٢٤٦

٢,١٤- قال و كتب الحسن ع إلى معاوية مع حرب بن عبد الله الأزدي (٢) من الحسن (٣) بن على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فإن الله جل جلاله بعث محمدا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ و منه للمؤمنين و كَافَّةً لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَ يَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٤) فبلغ رسالات الله و قام بأمر الله حتى توفاه الله غير مقصر و لا- وان و بعد أن أظهر الله به الحق و محق به الشرك و خص به قريشا خاصة فقال له- وَ إِنَّهُ لَمَذْكُرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ (٥) فلما توفى تنازعت سلطانه العرب فقالت قريش نحن قبيلته و أسرته و أولياؤه و لا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد و حقه فرأت العرب أن القول ما قالت قريش و أن الحجة فى ذلك لهم على من نازعهم أمر محمد فأنعمت (٦) لهم و سلمت إليهم ثم حاجبنا نحن قريشا بمثل ما حاججت به العرب فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانصاف و الاحتجاج فلما صرنا أهل بيت محمد و أولياؤه إلى محاجتهم و طلب النصف (٧) منهم باعدونا و استولوا بالإجماع على ظلمنا و مراغمتنا (٨) و العنت (٩) منهم لنا فالموعد الله و هو الولي النصير

ص: ٣٣

١-١) مقاتل الطالبين ٥٥.

٢-٢) مقاتل الطالبين: «مع جندب بن عبد الله الأزدي».

٣-٣) مقاتل الطالبين: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسن...».

٤-٤) سورة يس ٧.

٥-٥) سورة الزخرف ٤٤.

٦-٦) أنعمت لهم؛ أى قالت لهم: «نعم».

٧-٧) النصف: الإنصاف.

٨-٨) راغمهم: نابذهم و عاداهم.

٩-٩) العنت: المشقة و فى د «و العيث».

و لقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا فى حقنا و سلطان نبينا و إن كانوا ذوى فضيله و سابقه فى الإسلام و أمسكنا عن منازعتهم مخافه على الدين أن يجد المنافقون و الأحزاب (١) فى ذلك مغزاً يثلمونه به أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده فالיום فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاويه على أمر لست من أهله لا بفضل فى الدين معروف و لا أثر فى الإسلام محمود و أنت ابن حزب من الأحزاب و ابن أعدى قريش لرسول الله ص و لكتابه و الله حسيبك فسترد فتعلم لمن عقيبى الدار و بالله لتلقين عن قليل ربك ثم ليجزينك بما قدمت يداك و ما الله بظلام للعبيد إن علياً لما مضى لسبيله رحمه الله عليه يوم قبض و يوم من الله عليه بالإسلام و يوم يبعث حيا و لاني المسلمون الأمر بعده فأسال الله ألا يؤتينا فى الدنيا الزائله شيئاً ينقصنا به فى الآخره مما عنده من كرامه و إنما حملنى على الكتاب إليك الإعذار فيما بينى و بين الله عز و جل فى أمرك و لك فى ذلك إن فعلته الحظ الجسيم و الصلاح للمسلمين فدع التمدادى فى الباطل و ادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى فإنك تعلم أنى أحق بهذا الأمر منك عند الله و عند كل أواب حفيظ و من له قلب منيب و اتق الله و دع البغى و احقن دماء المسلمين فو الله ما لك خير فى أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به و ادخل فى السلم و الطاعه و لا تنازع الأمر أهله و من هو أحق به منك ليطفى الله النائر (٢) بذلك و يجمع الكلمه و يصلح ذات البين و إن أنت أبيت إلا التمدادى فى غيبيك سرت (٣) إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين .

فكتب معاويه إليه (٤)

ص: ٣٤

- ١ - ١) الأحزاب: هم الذين تحزبوا و تظاهروا على قتال رسول الله صلى الله عليه و سلم من قريش و غطفان و بنى مره و بنى أشجع و بنى سليم و بنى أسد فى غزوه الخندق.
- ٢ - ٢) النائر: العداوه و الشحناء.
- ٣ - ٣) مقاتل الطالبين: «نهدت».
- ٤ - ٤) فى مقاتل الطالبين «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله...».

من عبد الله معاويه أمير المؤمنين إلى الحسن بن علي سلام الله عليك فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فقد بلغني كتابك و فهمت ما ذكرت به محمدا رسول الله من الفضل و هو أحق الأولين و الآخرين بالفضل كله قديمه و حديثه و صغيره و كبيره و قد و الله بلغ و أدى و نصح و هدى حتى أنقذ الله به من الهلكه و أنار به من العمى و هدى به من الجهاله و الضلاله فجزاه الله أفضل ما جزى نبيا عن أمته و صلوات الله عليه يوم ولد و يوم بعث و يوم قبض و يوم يبعث حيا.

و ذكرت وفاه النبي ص و تنازع المسلمين الأمر بعده و تغلبهم على أبيك فصرحت بتهمه أبي بكر الصديق و عمر الفاروق و أبي عبيده الأمين و حوارى (١) رسول الله ص و صلحاء المهاجرين و الأنصار فكرهت ذلك لك إنك امرؤ عندنا و عند الناس غير الظنين (٢) و لا المسيء و لا اللثيم و أنا أحب لك القول السديد و الذكر الجميل إن هذه الأمة لما اختلفت بعد نبيا لم تجهل فضلكم و لا سابقتكم و لا قرابتكم من نبيكم و لا مكانكم فى الإسلام و أهله فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيا و رأى صلحاء الناس من قريش و الأنصار و غيرهم من سائر الناس و عوامهم أن يولوا هذا الأمر من قريش أقدمها إسلاما و أعلمها بالله و أحبها له و أقواها على أمر الله فاختروا أبا بكر و كان ذلك رأى ذوى الدين و الفضل و الناظرين للأمة فأوقع ذلك فى صدوركم لهم التهمه و لم يكونوا متهمين و لا فيما أتوا بالمخطئين و لو رأى المسلمون أن فيكم من يغنى غناه و يقوم مقامه و يذب عن حريم الإسلام ذبه

ص: ٣٥

١-١) هو الزبير بن العوام.

٢-٢) ب: «ظنين».

ما عدلوا بالأمر إلى غيره رغبة عنه و لكنهم علموا فى ذلك بما رأوه صلاحا للإسلام و أهله و الله يجزيهم عن الإسلام و أهله خيرا.

و قد فهمت الذى دعوتنى إليه من الصلح و الحال فيما بينى و بينك اليوم مثل الحال التى كنتم عليها أنتم و أبو بكر بعد وفاه النبى ص فلو علمت أنك أضبط منى للرعيه و أحوط على هذه الأمه و أحسن سياسه و أقوى على جمع الأموال و أكيد للعدو لأجبتك إلى ما دعوتنى إليه و رأيتك لذلك أهلا و لكن قد علمت أنى أطول منك و لايه و أقدم منك بهذه الأمه تجربيه و أكبر منك سنا فانت أحق أن تجيبنى إلى هذه المنزله التى سألتنى فادخل فى طاعتى و لك الأمر من بعدى و لك ما فى بيت مال العراق من مال بالغما ما يبلغ تحمله إلى حيث أحببت و لك خراج أى كور العراق شئت معونه لك على نفقتك يجيها أمينك و يحملها إليك فى كل سنه و لك ألا نستولى عليك بالإساءه و لا نقضى دونك الأمور و لا نعصى فى أمر أردت به طاعه الله أعاننا الله و إياك على طاعته إنه سميع مجيب الدعاء و السلام.

قال جندب فلما أتيت الحسن بكتاب معاويه قلت له إن الرجل سائر إليك فابدأه بالمسير حتى تقاتله فى أرضه و بلاده و عمله فإما أن تقدر أنه يتقاد (١) لك فلا و الله حتى يرى منا أعظم من يوم صفين فقال افعل ثم قعد عن مشورتى و تناسى قولى

(٢)

٤٢٤٧

٢- قالوا و كتب معاويه إلى الحسن

ص: ٣٦

١- ١) د و مقاتل الطالبين: «تيمنا لك».

٢- ٢) مقاتل الطالبين ٥٥-٥٩.

أما بعد (١) فإن الله يفعل في عباده ما يشاء لا معقب لحكمه و هو سريع الحساب فاحذر أن تكون منيتك على أيدي رعا من الناس و ائس (٢) من أن تجد فينا (٣) غموزه (٤) و إن أنت أعرضت عما أنت فيه و بايعتني وفيت لك بما وعدت و أجريت لك ما شرطت و أكون في ذلك كما قال أعشى بنى قيس بن ثعلبه و إن أحد أسدى إليك أمانه ثم الخلافه لك من بعدى فأنت أولى الناس بها و السلام.

فأجابه الحسن أما بعد (٥) فقد وصل إلى كتابك تذكر فيه ما ذكرت فتركت جوابك خشيه البغى [منى]

(٦) عليك و بالله أعوذ من ذلك فاتبع الحق تعلم أنى من أهله و على إثم أن أقول فأكذب و السلام.

فلما وصل كتاب الحسن إلى معاويه قرأه ثم كتب إلى عماله على النواحي بنسخه واحده من (٧) عبد الله معاويه أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان (٨) و من قبله من المسلمين سلام عليكم فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فالحمد لله الذى كفاكم مؤنه عدوكم و قتل خليفتم إن الله بلطفه و حسن صنعه أتاح لعلى بن أبى طالب رجلا من عباده

ص: ٣٧

١-١) مقاتل الطالبيين: «بسم الله الرحمن الرحيم...أما بعد».

٢-٢) ب، أيس، و أثبت ما فى ا، د و مقاتل الطالبيين.

٣-٣) ا، د و مقاتل الطالبيين.

٤-٤) الغموزه: المطعن.

٥-٥) فى مقاتل الطالبيين: بسم الله الرحمن الرحيم...أما بعد...».

٦-٦) من د.

٧-٧-٧) مقاتل الطالبيين: «بسم الله الرحمن الرحيم من معاويه أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان».

٨-٧-٧) مقاتل الطالبيين: «بسم الله الرحمن الرحيم من معاويه أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان».

فاغتاله فقتله فترك أصحابه متفرقين مختلفين و قد جاءتنا كتب أشرفهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم و عشائرهم فاقبلوا إلى حين يأتيكم كتابي هذا بجهدكم و جندكم و حسن عدتكم فقد أصبتم بحمد الله الثأر و بلغت الأمل و أهلك الله أهل البغي و العدوان و السلام عليكم و رحمه الله و بركاته (١).

قال فاجتمعت العساكر إلى معاوية فسار بها قاصدا إلى العراق و بلغ الحسن خبره و مسيره نحوه و إنه قد بلغ جسر منبج فتحرك عند ذلك و بعث حجر بن عدى فأمر العمال و الناس بالتهيؤ للمسير و نادى المنادى الصلاة جامعة فأقبل الناس يثوبون و يجتمعون و قال الحسن إذا رضيت جماعة الناس فأعلمنى و جاءه سعيد بن قيس الهمداني فقال له اخرج فخرج الحسن ع و صعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أما بعد فإن الله كتب الجهاد على خلقه و سماه كرها (٢) ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين اصبروا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون بلغنى أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك لذلك اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر و تنظروا و نرى و تروا.

قال و إنه فى كلامه ليتخوف خذلان الناس له قال فسكتوا فما تكلم منهم أحد و لا أجابه بحرف فلما رأى ذلك عدى بن حاتم قام فقال أنا ابن حاتم سبحان الله ما أقبح هذا المقام ألا تجيبون إمامكم و ابن بنت نبيكم أين خطباء مضر [أين المسلمون أين

ص: ٣٨

١-١) مقاتل الطالبين ٥٩،٦٠.

٢-٢) هو من قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُرْهُ لَكُمْ..

(١) الذين ألسنتهم كالمخاريق (٢) في الدعاه فإذا جد الجد فرواغون كالثعالب أ ما تخافون مقت الله و لا عيبها و عارها.

ثم استقبال الحسن بوجهه فقال أصاب الله بك المرأشد و جنبك المكاره و وفقك لما يحمد ورده و صدره (٣) قد سمعنا مقاتلك و انتهينا إلى أمرك و سمعنا لك و أطعناك فيما قلت و ما رأيت و هذا وجهى إلى معسكرى فمن أحب أن يوافينى فليواف.

ثم مضى لوجهه فخرج من المسجد و دابته بالباب فركبها و مضى إلى النخيله و أمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه و كان عدى بن حاتم أول الناس عسكرا (٤). و قام قيس بن سعد بن عباده الأنصارى و معقل بن قيس الرياحى و زياد بن صعصعه (٥) التيمى فأنبوا الناس و لاموهم و حرضوهم و كلموا الحسن ع بمثل كلام عدى بن حاتم فى الإجابة و القبول فقال لهم الحسن ع صدقتم رحمكم الله ما زلت أعرفكم بصدق النيه و الوفاء و القبول و الموده الصحيحه فجزاكم الله خيرا ثم نزل.

و خرج الناس فعسكروا و نشطوا للخروج و خرج الحسن إلى العسكر و استخلف على الكوفه المغيره بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب و أمره باستحثاث الناس و أشخاصهم إليه فجعل يستحثهم و يستخرجهم حتى يلتئم العسكر.

و سار (٦) الحسن ع فى عسكر عظيم و عده حسنه حتى نزل دير عبد الرحمن

ص: ٣٩

١-١) من مقاتل الطالبين.

٢-٢) المخاريق: جمع مخراق؛ و هو المنديل أو نحوه يلوى فيضرب به.

٣-٣) كذا فى مقاتل الطالبين، د.

٤-٤) ١: «عسكرا».

٥-٥) فى ١، د «حفصه».

٦-٦) مقاتل الطالبين: «ثم إن الحسن...».

فأقام به ثلاثا حتى اجتمع الناس ثم دعا عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب فقال له يا ابن عم إني باعث إليك اثني عشر ألفا من فرسان العرب و قراء المصر الرجل منهم يزيد (١) الكتيبه فسر بهم و ألن لهم جانبك و ابسط لهم وجهك و افرش لهم جناحك و أدنهم من مجلسك فإنهم بقيه ثقات أمير المؤمنين و سر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات ثم تصير إلى مسكن ثم امض حتى تستقبل بهم معاويه فإن أنت لقيته فاحبسه حتى آتيك فإني على أثرك و شيكا و ليكن خبيرك عندى كل يوم و شاور هذين يعنى قيس بن سعد و سعيد بن قيس و إذا لقيت معاويه فلا تقاتله حتى يقاتلك فإن فعل فقاتله و إن أصبت فقيس بن سعد على الناس و إن أصيب قيس بن سعد فسعيد بن قيس على الناس (٢).

فسار عبيد الله حتى انتهى إلى شينور (٣) حتى خرج إلى شاهى (٤) ثم لزم الفرات و الفلوجه (٥) حتى أتى مسكن (٦) و أخذ الحسن على حمام عمر حتى أتى دير كعب ثم بكر فنتزل ساباط دون القنطره فلما أصبح نادى فى الناس الصلاه جامعه فاجتمعوا فصعد المنبر فخطبهم فقال الحمد لله كلما حمده حامد و أشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد و أشهد أن محمدا رسول الله أرسله بالحق و ائتمنه على الوحى ص أما بعد فو الله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله و منه و أنا أنصح خلقه لخلقه و ما أصبحت محتملا- على مسلم ضغينه و لا- مريد له بسوء و لا غائله ألا و إن ما تكرهون فى الجماعه خير لكم مما تحبون فى الفرقة ألا و إني ناظر لكم خيرا

ص: ٤٠

١- ١) ا: «يزن».

٢- ٢) بعدها فى مقاتل الطالبين: «ثم أمره بما أراد».

٣- ٣) شينور: صقع بالعراق، و فى ب «سينور» تحريف.

٤- ٤) شاهى: موضع قرب القادسيه.

٥- ٥) ياقوت: «فلاييج السواد: قراها، واحدها الفلوجه، و الفلوجه الكبرى، و الفلوجه الصغرى: قريتان كبيرتان من سواد بغداد و الكوفه قرب عين التمر».

٦- ٦) مسكن: موضع على نهر دجيل.

من نظرکم لأنفسکم فلا تخالفوا أمری و لا تردوا علی رأیی غفر الله لی و لکم و أرشدنی و إیاکم لما فیہ محبته (١) و رضاه إن شاء الله ثم نزل.

قال فنظر الناس بعضهم إلى بعض و قالوا ما ترونه يريد بما قال قالوا نظنه يريد أن یصالح معاویه و یكل الأمر إلیه كفر و الله الرجل ثم شدوا علی فسطاطه فانتهبوه حتی أخذوا مصلاه من تحته ثم شد علیه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي فترع مطرفه عن عاتقه فبقی جالسا متقلدا سیفا بغير رداء فدعا بفرسه فركبه و أحدق به طوائف من خاصته و شيعته و منعوا منه من أرادہ و لاموه و ضعفوه لما تكلم به فقال ادعوا إلی ربیعه و همدان فدعوا له فأطافوا به و دفعوا الناس عنه و معهم شوب (٢) من غیرهم فلما مر فی مظلم سابط (٣) قام إلیه رجل من بنی أسد ثم من بنی نصر بن قعین یقال له جراح بن سنان و ییده معول فأخذ بلبام فرسه (٤) و قال الله أكبر یا حسن (٥) أشرك أبوک ثم أشركت أنت (٦) و طعنه بالمعول فوقعت فی فخذه فشقتہ حتی بلغت أربیتہ (٧) و سقط الحسن ع إلی الأرض بعد أن ضرب الذی طعنه بسیف كان ییده و اعتنقه فخرا جمیعا إلی الأرض فوثب عبد الله بن الأخطل (٨) الطائی و نزع المعول من ید جراح بن سنان فحضضه (٩) به و أكب ظبیان بن عماره علیه فقطع أنفه ثم أخذاه لہ الأجر فشدخا رأسه و وجهه حتی قتلوه.

ص: ٤١

١- ١) مقاتل الطالبیین: «لما فیہ المحبه و الرضا».

٢- ٢) الشوب: الأخلاط من الناس.

٣- ٣) مظلم سابط: مضاف إلی سابط التي قرب المدائن: موضع هناك، قال یاقوت: «و لا أدری لم سمی بذلك».

٤- ٤) مقاتل الطالبیین: «فرسه».

٥- ٥- ٥) مقاتل الطالبیین: «یا حسن، أشركت كما أشرك أبوک من قبل».

٦- ٥- ٥) مقاتل الطالبیین: «یا حسن، أشركت كما أشرك أبوک من قبل».

٧- ٧) مقاتل الطالبیین: «الأخطل».

٨- ٨) ا: «فحضضه».

-٩

و حمل الحسن ع على سرير إلى المدائن و بها سعيد (١) بن مسعود الثقفي واليا عليها من قبله و قد كان على ع و لاه المدائن فأقره الحسن ع عليها فأقام عنده يعالج نفسه فأما معاوية فإنه وافى حتى نزل قريه يقال لها الحلويه (٢) بمسكن و أقبل عبيد الله بن عباس حتى نزل بإزائه فلما كان من غد وجه معاوية بخيله إليه فخرج إليهم عبيد الله فيمن معه فضر بهم حتى ردهم إلى معسكرهم فلما كان الليل أرسل معاوية إلى عبيد الله بن عباس أن الحسن قد راسلني في الصلح و هو مسلم الأمر إلى فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعا و إلا دخلت و أنت تابع و لك إن أجبتي الآن أن أعطيك ألف درهم أعجل لك في هذا الوقت نصفها و إذا دخلت الكوفه النصف الآخر فانسل عبيد الله إليه ليلا فدخل عسكر معاوية فوفى له بما وعده و أصبح الناس ينتظرون عبيد الله أن يخرج فيصلى بهم فلم يخرج حتى أصبحوا فطلبوه فلم يجدوه فصلى بهم قيس بن سعد بن عباده ثم خطبهم فثبتهم (٣) و ذكر عبيد الله فنال منه ثم أمرهم بالصبر و النهوض إلى العدو فأجابوه بالطاعة و قالوا له انهض بنا إلى عدونا على اسم الله فنزل فنهض بهم.

و خرج إليه بسر بن أرطاه فصاح إلى أهل العراق و يحكم هذا أميركم عندنا قد بايع و إمامكم الحسن قد صالح فعلام تقتلون أنفسكم.

ص: ٤٢

١- ١) مقاتل الطالبين: «سعد».

٢- ٢) ب: «الحيوضه».

٣- ٣) في مقاتل الطالبين: «أيها الناس، لا يهولنكم و لا يعظمن عليكم ما صنع هذا الرجل الوله الورع» أي الجبان. إن هذا و أباه و أخاه لم يأتوا بيوم خير قط؛ إن أباه عم رسول الله صلى الله عليه و سلم خرج يقاتل ببدر، فأسره أبو الميسر كعب بن عمرو الأنصاري، فأتى به رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأخذ فداءه فقسمه بين المسلمين، و إن أخاه و لاه على أمير المؤمنين على البصره، فسرق مال الله و مال المسلمين، فاشترى به الجوارى؛ و زعم أن ذلك له حلال؛ و أن هذا و لاه على اليمن. فهرب من بسر ابن أرطاه، و ترك ولده حتى قتلوا، و صنع الآن هذا الذي صنع. قال: فتنادى الناس: الحمد لله الذي أخرجنا من بيننا، فانهض بنا إلى عدونا، فنهض بهم».

فقال لهم قيس بن سعد اختاروا إحدى اثنتين إما القتال مع غير إمام و إما أن تبايعوا بيعة ضلال فقالوا بل نقاتل بلا إمام فخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردوهم إلى مصافهم.

فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه و يمينه فكتب إليه قيس لا و الله لا تلقاني أبدا إلا بيني و بينك الرمح فكتب إليه معاوية حينئذ لما يئس منه أما بعد فإنك يهودى ابن يهودى تشقى نفسك و تقتلها فيما ليس لك فإن ظهر أحب الفريقين إليك نبذك و غدرك و إن ظهر أبغضهم إليك نكل بك و قتلك و قد كان أبوك أوتر غير قوسه و رمى غير غرضه فأكثر الحز و أخطأ المفصل فخذله قومه و أدركه يومه فمات بحوران طريدا غريبا و السلام.

فكتب إليه قيس بن سعد أما بعد فإنما أنت وثن ابن وثن دخلت فى الإسلام كرها و أقمت فيه فرقا و خرجت منه طوعا و لم يجعل الله لك فيه نصيبا لم يقدم إسلامك و لم يحدث نفاقك و لم تنزل حربا لله و لرسوله و حزبا من أحزاب المشركين و عدوا لله و لنيبه و للمؤمنين من عباده و ذكرت أبى فلعمري ما أوتر إلا قوسه و لا رمى إلا غرضه فشغب عليه من لا يشق غباره و لا يبلغ كعبه و زعمت أنى يهودى ابن يهودى و قد علمت و علم الناس أنى و أبى أعداء الدين الذى خرجت منه و أنصار الدين الذى دخلت فيه و صرت إليه و السلام.

فلما قرأ معاوية كتابه غاظه و أراد إجابته فقال له عمرو مهلا فإنك إن كاتبته أجابك بأشد من هذا و إن تركته دخل فيما دخل فيه الناس فأمسك عنه.

قال و بعث معاوية عبد الله بن عامر و عبد الرحمن بن سمره إلى الحسن للصالح فدعوا

إليه فزهده في الأمر و أعطياه ما شرط له معاويه و ألا يتبع أحد بما مضى و لا ينال أحد من شيعه علي بمكروه و لا يذكر علي إلا بخير و أشياء شرطها الحسن فأجاب إلى ذلك و انصرف قيس بن سعد فيمن معه إلى الكوفه و انصرف الحسن أيضا إليها و أقبل معاويه قاصدا نحو الكوفه و اجتمع إلى الحسن ع وجوه الشيعة و أكابر أصحاب أمير المؤمنين ع يلومونه و يبكون إليه جزعا مما فعله

(١)

٤٢٤٨

٢,١- قال أبو الفرج فحدثني محمد بن أحمد بن عبيد قال حدثنا الفضل بن الحسن البصرى قال حدثنا ابن عمرو قال حدثنا مكى بن إبراهيم قال حدثنا السرى بن إسماعيل عن الشعبي عن سفيان بن أبي ليلى قال أبو الفرج و حدثني به أيضا محمد بن الحسين الأشنادانى و علي بن العباس المقانعى (٢) عن عباد بن يعقوب عن عمرو بن ثابت عن الحسن بن الحكم عن عدى بن ثابت عن سفيان بن أبي ليلى قال أتيت الحسن بن علي حين بايع معاويه فوجدته بفناء داره و عنده رهط فقلت السلام عليك يا منزل المؤمنين قال و عليك السلام يا سفيان و نزلت فعقلت راحلتى ثم أتيته فجلست إليه فقال كيف قلت يا سفيان قلت السلام عليك يا منزل المؤمنين فقال لم جرى هذا منك إلينا قلت أنت و الله بأبى و أمى أذلت رقابنا حيث أعطيت هذا الطاغية البيعه و سلمت الأمر إلى اللعين ابن آكله الأكباد و معك مائه ألف كلهم يموت دونك فقد جمع الله عليك أمر الناس فقال يا سفيان إنا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسكنا به و إنى سمعت عليا يقول سمعت رسول الله ص يقول لا تذهب الليالى و الأيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرم (٣)

ص: ٤٤

١-١) مقاتل الطالبين ٦٤-٦٧.

٢-٢) ب: «المفانعى» تحريف.

٣-٣) فى ب «السر».

ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع لا ينظر الله إليه ولا يموت حتى لا يكون له في السماء عاذر ولا في الأرض ناصر وإنه لمعاويه و
إني عرفت أن الله بالغ أمره ثم أذن المؤذن فقمنا على حالب نحلب ناقته فتناول الإناء فشرب قائما ثم سقاني و خرجنا نمشي إلى
المسجد فقال لي ما جاء بك يا سفيان قلت حبكم و الذي بعث محمدا بالهدى و دين الحق قال فأبشر يا سفيان فإني سمعت عليا
يقول سمعت رسول الله ص يقول يرد على الحوض أهل بيتي و من أحبهم من أمتي كهاتين يعني السبابتين أو كهاتين يعني
السبابة و الوسطى إحداهما تفضل على الأخرى أبشر يا سفيان فإن الدنيا تسع البر و الفاجر حتى يبعث الله إمام الحق من آل
محمد ص

(١)

قلت قوله و لا في الأرض ناصر أى ناصر دينى أى لا يمكن أحدا أن ينتصر له بتأويل دينى يتكلف به عذرا لأفعاله القبيحه.

فإن قلت قوله و إنه لمعاويه من الحديث المرفوع أو من كلام على ع أو من كلام الحسن ع قلت الظاهر أنه من كلام الحسن ع
فإنه قد غلب على ظنه أن معاويه صاحب هذه الصفات و إن كان القسم الأولان غير ممتنعين.

فإن قلت فمن هو إمام الحق من آل محمد قلت أما الإماميه فتزعم أنه صاحبهم الذى يعتقدون أنه الآن حى فى الأرض و أما
أصحابنا فيزعمون أنه فاطمى يخلقه الله فى آخر الزمان.

ص: ٤٥

(١ - ١) مقاتل الطالبيين ٦٧-٦٨.

قال أبو الفرج و سار معاويه حتى نزل النخيله و جمع الناس بها فخطبهم قبل أن يدخل الكوفه خطبه طويله لم ينقلها أحد من الرواه تامه و جاءت منقطعه فى الحديث و سند كرم ما انتهى إلينا منها (١) .

فأما الشعبى فإنه روى أنه قال فى الخطبه ما اختلف (٢) أمر أمه بعد نبىها إلا و ظهر أهل باطلها على أهل حقها ثم انتبه فندم فقال إلا- هذه الأسمه فإنها و إنها و أما أبو إسحاق السبىعى فقال إن معاويه قال فى خطبته بالنخيله ألا إن كل شىء أعطيته الحسن بن على تحت قدمى هاتين لا أفى به.

قال أبو إسحاق و كان و الله غدارا.

و روى الأعمش عن عمرو بن مره عن سعيد بن سويد قال صلى بنا معاويه بالنخيله الجمعه ثم خطبنا فقال و الله إنى ما قاتلتكم لتصلوا و لا- لتصوموا و لا- لتحجوا و لا- لتزكوا إنكم لتفعلون ذلك و إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم و قد أعطانى الله ذلك و أنتم كارهون.

قال و كان عبد الرحمن بن شريك إذا حدث بذلك يقول هذا و الله هو التهتك.

٤٢٤٩

٢,٣- قال أبو الفرج و حدثنى أبو عبيد محمد بن أحمد قال حدثنى الفضل بن الحسن البصرى قال حدثنى يحيى بن معين قال حدثنى أبو حفص اللبان (٣) عن عبد الرحمن بن شريك عن إسماعيل بن أبى خالد عن حبيب بن أبى ثابت قال خطب معاويه بالكوفه حين دخلها و الحسن و الحسين ع جالسان تحت المنبر فذكر عليا ع

ص: ٤٦

١- ١) مقاتل الطالبين: «من ذلك».

٢- ٢) مقاتل الطالبين: «ما اختلفت أمه».

٣- ٣) فى «الأبار».

فنال منه ثم نال من الحسن فقام الحسين ع ليرد عليه فأخذه الحسن بيده فأجلسه ثم قام فقال أيها الذاكِر عليا أنا الحسن و أبي علي و أنت معاويه و أبوك صخر و أمى فاطمه و أمك هند و جدى رسول الله و جدك عتبه بن ربيعه و جدتى خديجه و جدتك قتيله فلعن الله أحمِلنا ذكرا و الأَمنا حسبا و شرنا قديما و حديثا و أقدمنا كفرا و نفاقا فقال طوائف من أهل المسجد آمين قال الفضل قال يحيى بن معين و أنا أقول آمين.

قال أبو الفرج قال أبو عبيد قال الفضل و أنا أقول آمين

. و يقول علي بن الحسين الأصفهاني (١) آمين.

قلت و يقول عبد الحميد بن أبى الحديد مصنف هذا الكتاب آمين.

قال أبو الفرج و دخل معاويه الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيله و بين يديه خالد بن عرفطه و معه حبيب بن حماد يحمل رأيته فلما صار بالكوفة دخل المسجد من باب الفيل و اجتمع الناس إليه.

٤٢٥٠

١- قال أبو الفرج فحدثني أبو عبيد الصيرفي و أحمد بن عبيد الله بن عمار عن محمد بن علي بن خلف عن محمد بن عمرو الرازى عن مالك بن سعيد عن محمد بن عبد الله الليثى عن عطاء بن السائب عن أبيه قال بينما علي بن أبى طالب ع على منبر الكوفة إذ دخل رجل فقال يا أمير المؤمنين مات خالد بن عرفطه فقال لا و الله [ما]

(٢) مات و لا يموت حتى يدخل من باب المسجد و أشار إلى باب الفيل و معه رايه ضلاله يحملها حبيب بن حماد قال فوثب رجل فقال يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن حماد و أنا لك شيعه فقال

ص: ٤٧

١- (١) مقاتل الطالبين ٧٠.

٢- (٢) تكمله من «د».

فإنه كما أقول فو الله لقد قدم خالد بن عرفطه على مقدمه معاويه يحمل رايته حبيب بن حماد

(١)

٤٢٥١

قال أبو الفرج و قال مالك بن سعيد و حدثني الأعمش بهذا الحديث قال حدثني صاحب هذه الدار و أشار إلى دار السائب أبي عطاء إنه سمع عليا ع يقول هذا (٢) .

٤٢٥٢

٢- قال أبو الفرج فلما تم الصلح بين الحسن و معاويه أرسل إلى قيس بن سعد يدعوه إلى البيعه فجاءه و كان رجلا طوالا يركب الفرس المشرف و رجلاه تخطان في الأرض و ما في وجهه طاقه شعر و كان يسمى خصى الأنصار فلما أرادوا إدخاله إليه قال إنني حلفت ألا ألقاه إلا و بيني و بينه الرمح أو السيف فأمر معاويه برمحه و سيف فوضعا بينه و بينه ليبر يمينه

(٣)

٤٢٥٣

٢- قال أبو الفرج و قد روى أن الحسن لما صالح معاويه اعتزل قيس بن سعد في أربعة آلاف فارس فأبى (٤) أن يبايع فلما بايع الحسن أدخل قيس ليبايع فأقبل على الحسن فقال أ في حل أنا من بيعتك فقال نعم فألقى له كرسي و جلس معاويه على سرير و الحسن معه فقال له معاويه أ تباع يا قيس قال نعم و وضع يده على فخذه و لم يمد لها إلى معاويه فجاء معاويه من سريره (٥) و أكب على قيس حتى مسح يده على يده و ما رفع إليه قيس يده (٦) .

ص: ٤٨

١-١) مقاتل الطالبين: «حبيب بن عمار».

٢-٢) مقاتل الطالبين ٧١، ٧٠، و هناك: «يقول هذه المقالة».

٣-٣) ابن أبي الحديد ٧٢، ٧١.

٤-٤) د: «و أبي».

٥-٥) في «د»: «فجثا معاويه على سريره»، و كذا في مقاتل الطالبين.

٦-٦) مقاتل الطالبين ٧٢.

قال أبو الفرج ثم إن معاوية أمر الحسن أن يخطب فظن أنه سيحصر فقام فخطب فقال في خطبته (١) إنما الخليفة من سار بكتاب الله و سنه نبيه و ليس الخليفة من سار بالجور ذاك رجل ملك ملكا تمتع به قليلا ثم تنخمه تنقطع لذته و تبقى تبعته و إن أدرى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَ مَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢) قال و انصرف الحسن إلى المدينة فأقام بها و أراد معاوية البيعه لابنه يزيد فلم يكن عليه شيء أثقل من أمر الحسن بن علي و سعد بن أبي وقاص ففسد إليهما سما فماتا منه

٤٢٥٤

قال أبو الفرج فحدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن عيسى بن مهران عن عبيد بن الصباح الخراز عن جرير عن مغيرة قال أرسل معاوية إلى بنت الأشعث بن قيس و هي تحت الحسن فقال لها إنني مزوجك يزيد ابني علي أن تسمى الحسن (٣) و بعث إليها بمائه ألف درهم ففعلت و سمت الحسن فسوغها المال و لم يزوجها منه فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها فكان إذا وقع بينهم و بين بطون قريش كلام عيروهم و قالوا يا بني مسمه الأزوا (٤) ج.

٤٢٥٥

قال حدثني أحمد قال حدثني يحيى بن بكير عن شعبه عن أبي بكر بن حفص قال توفي الحسن بن علي و سعد بن أبي وقاص في أيام متقاربه و ذلك بعد ما مضى من ولايه إماره معاوية عشر سنين و كانوا يروون أنه سقاها السم (٥).

٤٢٥٦

٢,٣- قال أبو الفرج و حدثني أحمد بن عون عن عمران بن إسحاق قال كنت مع الحسن و الحسين ع في الدار فدخل الحسن المخرج ثم خرج فقال لقد سقيت السم مرارا ما سقيت مثل هذه المره لقد لفظت قطعه من كبدي فجعلت

ص: ٤٩

١- (١) ب: «الخطبه»، و أثبت ما في ا، د.

٢- (٢) سورة الأنبياء ١١١.

٣- (٣) مقاتل الطالبيين «ابن علي».

٤- (٤) مقاتل الطالبيين ٧٣.

٥- (٥) مقاتل الطالبيين ٧٣: «سقاها سما».

أقبلها يعود معي فقال الحسين و من سقاك قال و ما تريد منه أ تريد أن تقتله إن يكن هو هو فالله أشد نومه منك و إن لم يكن هو فما أحب أن يؤخذ بي برىء

(١)

٤٢٥٧

٢,٣- قال أبو الفرج دفن الحسن ع فى قبر فاطمه بنت رسول الله ص فى البقيع و قد كان أوصى أن يدفن مع النبى ص فممنع مروان بن الحكم من ذلك و ركبت بنو أميه فى السلاح و جعل مروان يقول يا رب هيجا هي خير من دعه (٢) يدفن عثمان فى البقيع و يدفن الحسن فى بيت النبى ص و الله لا- يكون ذلك أبدا و أنا أحمل السيف و كادت الفتنة تقع و أبى الحسين ع أن يدفنه إلا مع النبى ص فقال له عبد الله بن جعفر عزمت عليك يا أبا عبد الله بحقى ألا تكلم بكلمه فمضوا به إلى البقيع و انصرف مروان

(٣)

٤٢٥٨

١- قال أبو الفرج و قد روى الزبير بن بكار أن الحسن ع أرسل إلى عائشه أن تأذن له أن يدفن مع النبى ص فقالت نعم فلما سمعت بنو أميه بذلك استلأموا فى السلاح و تنادوا هم و بنو هاشم فى القتال فبلغ ذلك الحسن فأرسل إلى بنى هاشم أما إذا كان هذا فلا حاجه لى فيه ادفنوني إلى جنب أمى فدفن إلى جنب فاطمه ع

(٤)

قال أبو الفرج فأما يحيى بن الحسن صاحب كتاب النسب فإنه روى أن عائشه

ص: ٥٠

١- (١) مقاتل الطالبين ٧٤.

٢- (٢) مطلع أرجوزه للبيد، الأغاني ١٦:٢٢-ساسى.

٣- (٣) مقاتل الطالبين ٧٤.

ركبت ذلك اليوم بغلا- واستنفرت بنو أميه مروان بن الحكم و من كان هناك منهم و من حشمهم و هو قول القائل فيوما على بغل و يوما على جمل (١).

قلت و ليس فى روايه يحيى بن الحسن ما يؤخذ على عائشه لأنه لم يرو أنها استنفرت الناس لما ركبت البغل و إنما المستنفرون هم بنو أميه و يجوز أن تكون عائشه ركبت لتسكين الفتنه لا سيما و قد روى عنها أنه لما طلب منها الدفن قالت نعم فهذه الحال و القصه منقبه من مناقب عائشه .

٤٢٥٩

٢,٣- قال أبو الفرج و قال جويزيه بن أسماء لما مات الحسن و أخرجوا جنازته جاء مروان حتى دخل تحته فحمل سريره فقال له الحسين ع أ تحمل اليوم سريره و بالأمس كنت تجرعه الغيظ قال مروان كنت أفعل ذلك بمن يوازن (٢) حلمه الجبال

(٣)

٤٢٦٠

٣- قال و قدم الحسين ع للصلاه عليه سعيد بن العاص و هو يومئذ أمير المدينه و قال تقدم فلو لا أنها سنه لما قدمتك

(٤)

قال قيل لأبى إسحاق السبيعي متى ذل الناس فقال حين مات الحسن و ادعى زياد و قتل حجر بن عدى .

قال اختلف الناس فى سن الحسن ع وقت وفاته فقيل ابن ثمان و أربعين و هو المروى عن جعفر بن محمد ع فى روايه هشام بن سالم و قيل ابن ست و أربعين و هو المروى أيضا عن جعفر بن محمد ع فى روايه أبى بصير .

ص: ٥١

١-١ (١) مقاتل الطالبين ٧٤.

٢-٢ (٢) د: «يوازى»؛ و هو وجه أيضا.

٣-٣ (٣) مقاتل الطالبين ٧٦.

٣-٤ (٣) مقاتل الطالبين ٧٦.

قال و فى الحسن ع يقول سليمان بن قتة يرثيه و كان محبا له يا كذب الله من نعى حسنا

ثم نرجع إلى تفسير ألفاظ الفصل أما قوله كتبها إليه بحاضرين فالذى كنا نقرؤه قديما كتبها إليه بالحاضرين على صيغه التشبيه يعنى حاضر حلب و حاضر قنسرين و هى الأرباض و الضواحي المحيطه بهذه البلاد ثم قرأناه بعد ذلك على جماعه من الشيوخ بغير لام و لم يفسروه و منهم من يذكره بصيغه الجمع لا بصيغه التشبيه و منهم من يقول بخناصرين يظنونه تشبيه خناصره أو جمعها و قد طلبت هذه الكلمه فى الكتب المصنفه سيما فى البلاد و [الأرضين (١)]

فلم أجدها و لعلى أظفر بها فيما بعد فألحقها فى هذا الموضوع .

قوله من الوالد الفان حذف الياء ها هنا للاندواج بين الفان و الزمان و لأنه وقف و فى الوقف على المنقوص يجوز مع اللام حذف الياء و إثباتها و الإثبات هو الوجه و مع عدم اللام يجوز الأمران و إسقاط الياء هو الوجه.

قوله المقر للزمان أى المقر له بالغلبه كأنه جعل نفسه فيما مضى خصما للزمان بالقهر.

قوله المدبر العمر لأنه كان قد جاوز الستين و لم يبق بعد مجاوزه الستين إلا إدبار العمر لأنها نصف العمر الطبيعى الذى قل أن يبلغه أحد فعلى تقدير أنه

ص: ٥٢

يبلغه فكل ما بعد الستين أقل مما مضى فلا جرم يكون العمر قد أدبر.

قوله المستسلم للدهر هذا أكد من قوله المقر للزمان لأنه قد يقر الإنسان لخصمه ولا يستسلم.

قوله الدمام للدنيا هذا وصف لم يستحدثه عند الكبير بل لم يزل عليه و لكن يجوز أن يزيد ذمه لها لأن الشيخ تنقص قواه التي يستعين بها على الدنيا والدين جميعا ولا يزال يتأفف من الدنيا.

قوله الساكن مساكن الموتى إشعار بأنه سيموت وهذا من قوله تعالى وَ سَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ (١).

قوله الظاعن عنها غدا لا يريد الغد بعينه بل يريد قرب الرحيل والظعن.

وهذا الكلام من أمير المؤمنين ع كلام من قد أيقن بالفراق ولا ريب في ظهور الاستكانه والخضوع عليه ويدل أيضا على كرب و ضيق عطن لكونه لم يبلغ أربه من حرب أهل الشام و انعكس ما قدره بتخاذل أصحابه عنه و نفوذ حكم عمرو بن العاص فيه لحق أبي موسى و غباوته و انحرافه أيضا.

قوله إلى المولود هذه اللفظه بإزاء الوالد.

قوله المؤمل ما لا يدرك لو قال قائل إنه كنى بذلك عن أنه لا ينال الخلافة بعد موتى و إن كان مؤملا لها لم يبعد و يكون ذلك إخبارا عن غيب و لكن الأظهر أنه لم يرد ذلك-إنما أراد جنس البشر لا خصوص الحسن و كذلك سائر الأوصاف التي تلى هذه اللفظه لا تخص الحسن ع بعينه بل هي و إن كانت له في الظاهر بل هي للناس كلهم في الحقيقة ألا ترى إلى قوله بعدها السالك سبيل من قد هلك فإن كل واحد من الناس يؤمل أمورا لا يدركها و كل واحد من الناس سأللك سبيل من هلك قبله.

ص: ٥٣

قوله ع غرض الأسقام لأن الإنسان كالهدف لآفات الدنيا و أعراضها.

قوله ع و رهينه الأيام رهينه هاهنا المهزول يقال إنه لرهن و إنه لرهينه إذا كان مهزولا بالياء قال الراجز أما ترى جسمي خلاء قد رهن هزلا و ما مجد الرجال في السمن (١) و يجوز أن يريد بالرهينه واحده الرهائن يقال للأسير أو للزمن أو للعاجز عند الرحيل أنه لرهينه و ذلك لأن الرهائن محتبسه عند مرتتها.

قوله و رميه المصائب الرمي ما يرمى.

قوله و عبد الدنيا و تاجر الغرور و غريم المنايا لأن الإنسان طوع شهواته فهو عبد الدنيا و حركاته فيها مبنيه على غرور لا أصل له فهو تاجر الغرور لا محاله و لما كانت المنايا تطالبه بالرحيل عن هذه الدار كانت غريما له يقتضيه ما لا بد له من أدائه.

قوله و أسير الموت و حليف الهموم و قرين الأحزان و نصب الآفات و سريع الشهوات لما كان الإنسان مع الموت كما قال طرفه لعمر ك إن الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المرخى و ثنيه باليد (٢) كان أسيرا له لا محاله و لما كان لا بد لكل إنسان من الهم كان حليف الهموم و كذلك لا يخلو و لا ينفك من الحزن فكان قرينا له و لما كان معرضا للآفات كان نصبا لها و لما كان إنما يهلك بشهواته كان صريعا لها (٣).

قوله و خليفه الأموات قد أخذه من قال إن أمرا ليس بينه و بين آدم إلا أب ميت لمعرق في الموت.

و اعلم أنه عد من صفات نفسه سبعا و عد من صفات ولده أربع عشره صفه فجعل

ص: ٥٤

١-١) الصحاح ٢١٢٨ من غير نسبه.

٢-٢) من المعلقه بشرح التبريزي ٨٦.الطول:الجبلى، و ثنيه: ما ثنى منه.

٣-٣) ١: «صريعا».

بإزاء كل واحده مما له اثنتين فليلمح ذلك

بعض ما قيل من الشعر فى الدهر و فعله بالإنسان

و من جيد ما نعى به شاعر نفسه و وصف ما نقص الدهر من قواه قول عوف بن محلم الشيبانى فى عبد الله بن طاهر أمير خراسان
يا ابن الذى دان له المشرقان

ص: ٥٥

و من الشعر القديم الجيد فى هذا المعنى قول سالم بن عونہ الضبى لا يبعدن عصر الشباب و لا أنا أستفصح قوله ما اقتات من سنه
و من شهر جعل الزمان كالقوت له و من اقتات الشىء فقد أكله و الأكل سبب المرض و المرض سبب الهلاك

ص: ٥٦

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنَتْ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي وَجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ وَإِقْبَالِ الآخِرَةِ إِلَيَّ مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ وَالِاهْتِمَامِ بِمَا
وَرَأَيْتُ غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هُمْ نَفْسِي [فَصَدَّقَنِي]

فَصَدَّقَنِي رَأْيِي وَصَيَّرَفَنِي عَنْ هَوَايَ وَصَيَّرَحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي فَأَفْضَى بِي إِلَى حَيْدٍ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ وَصِدْقٍ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ
وَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئًا لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي
مِنْ أَمْرِ نَفْسِي فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا مُسْتَظْهِرًا بِهِ إِنْ أَنَا بَقَيْتُ لَكَ أَوْ فَنَيْتُ .

يزعني

يكفني و يصدني وزعت فلانا و لا بد للناس من وزعه.

و سوى لفظه تقصر إذا كسرت سينها و تمد إذا فتحتها و هي هاهنا بمعنى غير و من قبلها بمعنى شيء منكر كقوله رب من
أنضجت غيظا قلبه (١) .

و التقدير غير ذكر إنسان سوى و يجوز أن تكون من موصوله و قد حذف أحد جزأى الصلة و التقدير عن ذكر الذى هو غيرى
كما قالوا فى لَنْزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أَهْلَهُمْ أَشَدُّ أَى هُوَ أَشَدُّ يَقُولُ عَ إِنْ فِيمَا قَدْ بَانَ لِي مِنْ تَنْكَرِ الْوَقْتِ وَ إِدْبَارِ الدُّنْيَا وَ إِقْبَالِ الآخِرَةِ
شَاغِلًا لِي عَنْ الْإِهْتِمَامِ بِأَحَدٍ غَيْرِي وَ الْإِهْتِمَامِ وَ الْفِكْرِ فِي أَمْرِ الْوَلَدِ وَ غَيْرِهِ مِمَّنْ أَخْلَفَهُ وَرَائِي .

ص: ٥٧

١-١) بقيته: *تمنى لى موتا لم يطع* و البيت لسويد بن أبى كاهل اليشكرى. المفضليات ١٩٨.

ثم عاد فقال ألا إن همى بنفسى يقتضى اهتمامى بك لأنك بعضى بل كلى فإن كان اهتمامى بنفسى يصرفنى عن غيرى لم تكن أنت داخلا فى جملة من يصرفنى همى بنفسى عنهم لأنك لست غيرى.

فإن قلت أ فهذا الهم حدث لأمير المؤمنين ع الآن أو من قبل لم يكن عالما بأن الدنيا مدبره و الآخره مقبله.

قلت كلا بل لم يزل عالما عارفا بذلك و لكنه الآن تأكد و قوى بطريق علو السن و ضعف القوى و هذا أمر يحصل للإنسان على سبيل الإيجاب لا بد من حصوله لكل أحد و إن كان عالما بالحال من قبل و لكن ليس العيان كالخبر.

و من مستحسن ما قيل فى هذا المعنى قول أبى إسحاق الصابئ أقيك الردى إنى تنبهت من كرى

و أول هذه القصيده و هو داخل له فى هذا المعنى أيضا إذا ما تعدت بى و سارت محفه

كما حمل المهد الصبي و قبلها

قوله تفرد بي دون هموم الناس هم نفسى أى دون الهموم التى قد كانت تعترينى لأجل أحوال الناس .

فصدقنى رأى يقال صدقته كذا أى عن كذا و فى المثل صدقنى سن بكره لأنه لما نفر قال له هدى (1) و هى كلمه تسكن بها صغار الإبل إذا نفرت و المعنى أن هذا الهم صدقنى عن الصفه التى يجب أن يكون رأى عليها و تلك الصفه هى ألا يفكر فى

ص: ٥٩

١-١) الغيل: الشجر الكثير الملتف.

أمر شىء من الموجودات أصلا إلا الله تعالى و نفسه و فوق هذه الطبقة طبقه أخرى جدا و هى ألا تفكر فى شىء قط إلا فى الله وحده و فوق هذه الطبقة طبقه أخرى تجل عن الذكر و التفسير و لا تصلح لأحد من المخلوقين إلا النادر الشاذ و قد ذكرها هو فيما سبق و هو ألا يفكر فى شىء أصلا لا فى المخلوق و لا فى الخالق لأنه قد قارب أن يتحد بالخالق و يستغنى عن الفكر فيه.

قوله و صرفنى عن هواى أى عن هواى و فكرى فى تدبير الخلافة و سياسه الرعيه و القيام بما يقوم به الأئمه.

قوله ع و صرح لى محض أمرى يروى بنصب محض و رفعه فمن نصب فتقديره عن محض أمرى فلما حذف الجار نصب و من رفع جعله فاعلا و صرح كشف أو انكشف.

قوله فأفضى بى إلى كذا ليس بمعنى أنه قد كان من قبل يمازج جده باللعب بل المعنى أن همومه الأولى قد كانت بحيث يمكن أن يتخللها وقت راحه أو دعابه لا يخرج بها عن الحق كما كان رسول الله ص يمزح و لا يقول إلا حقا فالآن قد حدث عنده هم لا يمكن أن يتخلله من ذلك شىء أصلا و مدار الفرق بين الحاليتين أعنى الأولى و الثانية على إمكان اللعب لا نفس اللعب و ما يلزم من قوله أفضى لك بى هذا الهم إلى انتفاء إمكان اللعب أن تكون همومه الأولى قد كان يمازجها اللعب و لكن يلزم من ذلك أنها قد كانت يمكن ذلك فيها إمكانا محضا على أن اللعب غير منكر إذا لم يكن باطلا أ لا ترى إلى

٤٢٤١

قول النبى ص المؤمن دعب لعب.

و كذلك القول فى قوله و صدق لا يشوبه كذب أى لا يمكن أن يشوبه كذب و ليس المراد بالصدق و الكذب هاهنا مفهوما المشهورين بل هو من قولهم صدقونا اللقاء و من قولهم حمل عليهم فما كذب قال زهير

ص : ٦٠

ليث بعثر يصطاد الليوث إذا

ما كذب الليث عن أقرانه صدقا (١)

أى أفضى بى هذا الهم إلى أن صدقتنى الدنيا حربها كأنه جعل نفسه محاربا للدنيا أى صدقتنى الدنيا حربها و لم تكذب أى لم تجبن و لم تخن.

أخبر عن شدة اتحاد ولده به فقال وجدتك بعضى قال الشاعر و إنما أولادنا بيننا

و غضب معاويه على ابنه يزيد فهجره فاستعطفه له الأحنف قال له يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا و عماد ظهورنا و نحن لهم سماء ظليلة و أرض ذليلة فإن غضبوا فأرضهم و إن سألوا فأعطهم فلا تكن عليهم قفلا فيملوا حياتك و يتمنوا موتك.

و قيل لابنه الخس (٢) أى ولديك أحب إليك قالت الصغير حتى يكبر و المريض حتى يبرأ و الغائب حتى يقدم.

غضب الطرماح على امرأته فشفع فيها ولده منها صمصام و هو غلام لم يبلغ عشا فقال الطرماح أ صمصام إن تشفع لأمك تلقها

٤٢٦٢

و فى الحديث المرفوع إن ريح الولد من ريح الجنه .

ص: ٦١

١- (١) ديوانه ٥٤: و كذب، أى لم يصدق الحمله. و عثر: قبل تباله.

٢- (٢) ب: «الحسن» تحريف، صوابه من ا، د.

و فى الحديث الصحيح أنه قال لحسن و حسين ع إنكم لتجنون و إنكم لتبخلون و إنكم لمن ريحان الله.

و من ترقيص الأعراب قول أعرابيه لولدها يا حبذا ريح الولد

و فى الحديث المرفوع من كان له صبي فليستصب له.

و أنشد الرياشى من سره الدهر أن يرى الكبدا يمشى على الأرض فلير الولدا فَإِنِّى أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ أَيْ بُنَى وَ لُزُومِ أَمْرِهِ وَ عَمَارِهِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ وَ الإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ وَ أَيْ سَبَبِ أَوْثُقِ مِنْ سَبَبِ بَيْنِكَ وَ بَيْنَ اللَّهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَ أَمْتَهُ بِالزَّهَادَةِ وَ قُوَّةِ بِالْيَقِينِ وَ نَوْرَهُ بِالْحِكْمَةِ وَ ذَلَّلَهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَ قَرَّرَهُ بِالْفَنَاءِ وَ بَصَّرَهُ فَجَائِعِ الدُّنْيَا وَ حَذَّرَهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَ فُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَ الْأَيَّامِ وَ اغْرَضَ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِيَةِ وَ ذَكَرَهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ سِرِّ فِي دِيَارِهِمْ وَ آثَارِهِمْ فَانظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَ عَمَّا انْتَقَلُوا وَ أَيْنَ حَلُّوا وَ نَزَلُوا فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحْبَبِ وَ حَلُّوا [دَارًا]

دِيَارَ الْغُرَبَةِ وَ كَأَنَّكَ عَن قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ

فَأَصْرِحْ مَثْوَاكَ وَلَا تَبِعْ آخِرَتِكَ بِعُدُنِيَاكَ وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلِّفْ وَأَمْسِكْ عَنِ طَرِيقِ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرِهِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ .

قوله ع و أى سبب أوثق إشاره إلى القرآن لأنه هو المعبر عنه بقوله تعالى وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا (١) .

ثم أتى بلفظتين متقابلتين و ذلك من لطيف الصنعه فقال أحى قلبك بالموعظه و أمته بالزهاده و المراد إحياء دواعيه إلى الطاعة و إماته الشهوات عنه .

قوله ع و اعرض عليه أخبار الماضين معنى قد تداوله الناس قال الشاعر سل عن الماضين إن نطقت

قوله ع و دع القول فيما لا تعرف

٤٢٤٥

١٤- من قول رسول الله ص لعبد الله بن عمرو بن العاص يا عبد الله كيف بك إذا بقيت في حثاله من الناس مرجت عهودهم و أماناتهم و صار الناس هكذا و شبك بين أصابعه قال عبد الله فقلت مرني يا رسول الله فقال خذ ما تعرف و دع ما لا تعرف و عليك بخويصه نفسك

ص: ٦٣

١- (١) سورة آل عمران ١٠٣ .

من قول رسول الله ص من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

وقال معاوية في عبد الملك بن مروان و هو حينئذ غلام إن لهذا الغلام لهمه و إنه مع ذلك تارك لثلاث آخذ بثلاث تارك مساهة الصديق جدا و هزلا تارك ما لا يعنيه تارك ما لا يعتذر منه آخذ بأحسن الحديث إذا حدث و بأحسن الاستماع إذا حدث و بأهون الأمرين إذا خولف.

قوله ع و أمسك عن طريق إذا خفت ضلالته مأخوذ من

قول النبي ص دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

و في خبر آخر إذا رابك أمر فدعه.

وَ أَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ تُكْنُ مِنْ أَهْلِهِ وَ أَنْكَرِ الْمُنْكَرِ بِيَدِكَ وَ لِسَانِكَ وَ بَيِّنِ مَيْنَ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ وَ جَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَ لَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ وَ حُضِّ الْعِمْرَاتِ [إِلَى الْحَقِّ]

لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ وَ تَفَقَّهُ فِي الدِّينِ وَ عَوِّذْ نَفْسَكَ [الصَّبْر]

التَّصَبُّرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ وَ نِعَمُ الْخُلُقِ التَّصَبُّرُ فِي الْحَقِّ وَ الْجِيءَ نَفْسِكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفِ حَرِيزٍ وَ مَانِعٍ عَزِيزٍ وَ أَخْلَصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ يَدَهُ الْعَطَاءَ وَ الْحِزْمَانَ وَ أَكْثَرَ الْأَشْيَاءِ تَخَارَةً وَ تَفَهُمًا وَ صَبِيئَةً وَ لَا تَذْهَبَنَّ عَنْكَ صَفْحًا فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ وَ اعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَ لَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ .

أمره يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و هما واجبان عندنا و أحد الأصول الخمسه التي هي أصول الدين.

و معنى قوله تكن من أهله لأن أهل المعروف هم الأبرار الصالحون و يجب إنكار المنكر باللسان فإن لم ينجع فباليد و تفصيل ذلك و ترتيبه المذكور فى كتبى الكلاميه.

قوله و خض الغمرات إلى الحق لا شبهه أن الحسن ع لو تمكن لخاضها إلا أن من فقد الأنصار لا حيله له.

و هل ينهض البازى بغير جناح

و الذى خاضها مع عدم الأنصار هو الحسين ع و لهذا عظم عند الناس قدره فقدمه قوم كثير على الحسن ع فإن قلت فما قول أصحابكم فى ذلك قلت هما عندنا فى الفضيله سيان أما الحسن فلو قوفه مع قوله تعالى إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا و أما الحسين فلا عزاز الدين .

قوله فنعم التصبر قد تقدم منا كلام شاف فى الصبر .

و قوله و أكثر الاستخاره ليس يعنى بها ما يفعله اليوم قوم من الناس من سطر رقاع و جعلها فى بنادق و إنما المراد أمره إياه بأن يطلب الخيره من الله فيما يأتى و يذر .

قوله لا خير فى علم لا ينفع قول حق لأنه إذا لم ينفع كان عبثا.

قوله و لا- ينتفع بعلم لا يحق تعلمه أى لا يجب و لا يندب إليه و ذلك لأن النفع إنما هو نفع الآخرة فما لم يكن من العلوم مرغبا فيه إما بإيجاب أو ندب فلا انتفاع به فى الآخرة و ذلك كعلم الهندسه و الأرثماطيقى و نحوهما أى بُنى إنى لَمَا رَأَيْتَنِى قَدْ بَلَغْتُ سِنًا وَ رَأَيْتَنِى أَرْدَادًا وَهْنَا بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ وَ أَوْرَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي أَوْ أَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَ فِتَنِ الدُّنْيَا فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ وَ إِنَّمَا قَلْبُ الْحَيْدِ كَالْمَارِضِ الْخَالِيَةِ مِمَّا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَهُ فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُو قَلْبُكَ وَ يَشْتَغَلَ لُبُّكَ لِتَسْتَقْبَلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَ تَجْرِبَتُهُ فَتَكُونَ قَدْ كَفَيْتَ مَثْوَاهُ الطَّلَبِ وَ عُوْفِيَتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ فَاتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ وَ اسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ .

هذه الوصيه كتبها ع للحسن بعد أن تجاوز الستين

٤٢٦٩

و روى أنه ذكر عند رسول الله ص ما بين الستين و السبعين فقال معترك المنايا .

قوله ع أو أن أنقص فى رأى هذا يدل على بطلان قول من قال إنه لا- يجوز أن ينقص فى رأيه و أن الإمام معصوم عن أمثال ذلك و كذلك قوله

ص: ٦٦

أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى و فتن الدنيا

يدل على أن الإمام لا يجب أن يعصم عن غلبات الهوى و لا عن فتن الدنيا.

قوله فتكون كالصعب النفور أى كالبعير الصعب الذى لا يمكن راكبا و هو مع ذلك نفور عن الأنس.

ثم ذكر أن التعلم إنما هو فى الصبا و فى المثل الغلام كالطين يقبل الختم ما دام رطبا.

و قال الشاعر اختم و طينك رطب إن قدرت فكم قد أمكن الختم أقواما فما ختموا.

و مثل هوع قلب الحدث بالأرض الخاليه ما ألقى فيها من شىء قبلته و كان يقال التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر و التعلم (١) فى الكبر كالخط على الماء .

قوله فأتاك من ذلك ما كنا نأثيه أى الذى كنا نحن نتجشم المشقه فى اكتسابه و نتكلف طلبه يأتيك أنت الآن صفوا عفوا أى بُئى إنى و إن لم أكن عمّرتُ عمّر من كان قبلى فقد نظرتُ فى أعمالهم و فكّرتُ فى أخبارهم و سبّرتُ فى آثارهم حتى عيّدتُ كأخيدهم يبل كأننى بما انتهى إلى من أمورهم قد عمّرتُ مع (٢) أوليهم إلى آخرهم فعرفتُ صِفوق ذلتك من كادره و نفعه من ضرره فاستخلصتُ لك من كل أمر [جليله]

نخيله و توخيتُ لك

ص: ٦٧

١ - ١) د: «العلم».

٢ - ٢) د: «من».

جَمِيلُهُ وَصَرَفَتْ عَنْكَ مَجْهُولُهُ وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ وَ أَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدْبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ
وَ أَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمْرِ وَ مُقْتَبِلُ الدَّهْرِ ذُو نَبِيٍّ سَلِيمِهِ وَ نَفْسٍ صَافِيَةٍ وَ أَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ تَأْوِيلِهِ وَ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَ
أَحْكَامِهِ وَ حَلَالِهِ وَ حَرَامِهِ لَا أَجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبَسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَ آرَائِهِمْ
مِثْلَ الَّذِي التَّبَسَّ عَلَيْهِمْ فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَيَّ مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَيَّ أَمْرٌ لَا آمَنُ عَلَيْكَ [فِيهِ]

(١) بِهِ الْهَلَكَةُ وَ رَجَوْتُ أَنْ يُوفِّقَكَ اللَّهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ وَ أَنْ يَهْدِيكَ لِقَصْدِكَ فَعَهَدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَذِهِ.

هذا الفصل و ما بعده يشعر بالنهي عن علم الكلام حسب ما يقتضيه ظاهر لفظه ألا تراه قال له كنت عازما على أن أعلمك القرآن و تفسيره و الفقه و هو المعرفه بأحكام الشريعة و لا- أجاوز ذلك بك إلى غيره ثم خفت أن تدخل عليك شبهه في أصول الدين فيلتبس عليك في عقيدتك الأصلية ما التبس على غيرك من الناس فعدلت عن العزم الأول إلى أن أوصيك بوصايا تتعلق بأصول الدين .

و معنى قوله ع و كان (٢) إحكام ذلك إلى قوله لا- آمن عليك به الهلكه أى فكان إحكامى الأمور الأصلية عندك و تقرير الوصيه التى أوصيك بها فى ذهنك فيما رجع إلى النظر فى العلوم (٣) الإلهيه و إن كنت كارها للخوض [معك]

(٤)

ص: ٤٨

١-١ (١) د«فيه من».

٢-٢ (٢) ا:«فكان».

٣-٣ (٣) د«الأمور».

٤-٤ (٤) من ا.

فيه و تنبيهك عليه أحب إلى من أن أتركك سدى مهملاً- تتلاعب بك الشبه و تعتورك الشكوك فى أصول دينك فربما أفضى ذلك بك إلى الهلكه.

فإن قلت فلما ذا كان كارها تنبيه ولده على ذلك و أنتم تقولون إن معرفه الله واجبه على المكلفين و ليس يليق بأمر المؤمنين أن يكره ما أوجبه الله تعالى قلت لعله علم إما من طريق وصيه رسول الله ص أو من طريق معرفته بما يصلح أن يكون لطفاً لولده و معرفته بما يكون مفسده له لكثرة تجربته له و طول الممارسه لأخلاقه و طباعه أن الأصلح له ألا يخوض فى علم الكلام الخوض الكلى و أن يقتنع بالمبادئ و الجمل فمصالح البشر تختلف فرب إنسان مصلحته فى أمر ذلك الأمر بعينه مفسده لغيره و نحن و إن أوجبنا معرفه فلم نوجب منها إلا الأمور المجمله و أما التفصيلات الدقيقه الغامضه فلا تجب إلا عند ورود الشبهه فإذا لم تقع الشبهه فى نفس المكلف لم يجب عليه الخوض فى التفصيلات .

قوله ع قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم العين مفتوحه و الميم مكسوره مخففه تقول عمر الرجل يعمر عمرا و عمرا على غير قياس لأن قياس مصدره التحريك أى عاش زمانا طويلا و استعمل فى القسم أحدهما فقط و هو المفتوح .

قوله ع حيث عنانى من أمرك أى أهمنى قال عنانى من صدودك ما عنا قوله و أجمعت عليه أى عزمت .

و مقتبل الدهر

يقال اقتبل الغلام فهو مقتبل بالفتح و هو من الشواذ و مثله أحسن الرجل إذا تزوج فهو محصن و إذا عفا فمحصن أيضا و أسهب إذا أطال الحديث فهو مسهب و ألفتج إذا افتقر فهو ملفج و ينبغى أن يكون له من قوله تنبيهك له بمعنى

ص: ٦٩

عليه أو تكون على أصلها أى ما كرهت تنبيهك لأجله.

فإن قلت إلى الآن ما فسرت لما ذا كره تنبيهه على هذا الفن قلت بلى قد أشرت إليه و هو أنه كره أن يعدل به عن تفسير القرآن و علم الفقه إلى الخوض فى الأمور الأصوليه فنبهه على أمور يجره النظر و تأمل الأدله و الشبهات إليها دقيقه يخاف على الإنسان من الخوض فيها أن تضطرب عقيدته إلا أنه لم يجد به بدا من تنبيهه على أصول الديانه و إن كان كارها لتعريضه لخطر الشبهه فنبهه على أمور جمليه غير مفصله و أمره أن يلزم ذلك و لا يتجاوزه إلى غيره و أن يمسك عما يشبهه عليه و سيأتى ذكر ذلك و اعلم يا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللَّهِ وَ الْاِقْتِصَادُ عَلَيَّ مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَ الْاِخْتِذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْمَأُولُونَ مِنْ آبَائِكَ وَ الصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَمَا نَهَيْتَهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ نَنْظُرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ وَ فَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْاِخْتِذِ بِمَا عَرَفُوا وَ الْاِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلْبُكَ ذَلِكَ بِتَفْهَمٍ وَ تَعْلُمَ لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ وَ عُلُقِ الْخُصُومَاتِ وَ اِبْدَأْ قَبْلَ نَظْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالِاسْتِغْنَاءِ بِإِلَهِكَ وَ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ وَ تَزَكِ كُلِّ شَيْئِهِ أَوْلَجْتِكَ فِي شُبُهَةٍ أَوْ اِسْلَمْتِكَ إِلَى ضَلَالَةٍ فَإِنْ ائْتَقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعْ وَ تَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ وَ كَانَ هُمُكَ فِي ذَلِكَ هَمًّا وَاحِدًا فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ وَ اِنْ [أَنْتَ]

لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ وَ فَرَاحَ نَظْرِكَ وَ فِكْرِكَ

فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخِطُّ الْعُشْوَاءَ وَتَتَوَرَّطُ الظُّلْمَاءَ وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَن خَبَطَ أَوْ خَلَطَ وَ الْإِمْسَاكُ عَن ذَلِكِ أَمْتَلُ .

أمره أن يقتصر على القيام بالفرائض و أن يأخذ بسنه السلف الصالح من آبائه و أهل بيته فإنهم لم يقتصروا على التقليد بل نظروا لأنفسهم و تأملوا الأدله ثم رجعوا آخر الأمر إلى الأخذ بما عرفوا و الإمساك عما لم يكلفوا.

فإن قلت من سلفه هؤلاء الذين أشار إليهم قلت المهاجرون الأولون من بنى هاشم و بنى المطلب كحمزه و جعفر و العباس و عبيده بن الحارث و كأبي طالب في قول الشيعة و كثير من أصحابنا و كعبد المطلب في قول الشيعة خاصة.

فإن قلت فهل يكون أمير المؤمنين ع نفسه معدودا من جملة هؤلاء قلت لا فإنه لم يكن من أهل المبادئ و الجمل المقتصر بهم في تكليفهم العقليات على أوائل الأدله بل كان سيد أهل النظر كافة و إمامهم.

فإن قلت ما معنى قوله لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم قلت لأنهم إذا تأملوا الأدله و فكروا فيها فقد نظروا لأنفسهم كما ينظر الإنسان لنفسه ليخلصها من مضره عظيمه سبيلها أن تقع به إن لم ينظر في الخلاص منها و هذا هو الوجه في وجوب النظر في طريق معرفه الله و الخوف من إهمال النظر.

فإن قلت ما معنى قوله إلى الأخذ بما عرفوا و الإمساك عما لم يكلفوا

قلت الأخذ بما عرفوا مثل أدله (١) حدوث الأجسام و توحيد الباري و عدله و الإمساك عما لم يكلفوا مثل النظر في إثبات الجزء الذى لا يتجزأ و نفيه و مثل الكلام فى الخلا و الملا و الكلام فى أن هل بين كل حركتين مستقيمتين سكون أم لا و أمثال ذلك مما لا يتوقف أصول التوحيد و العدل عليه فإنه لا يلزم أصحاب الجمل و المبادئ أن يخوضوا فى ذلك لأنهم لم يكلفوا الخوض فيه و هو من وظيفه قوم آخرين .

قوله ع فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا هذا الموضوع فيه نظر لأننا قد قلنا إنهم لم يعلموا التفاصيل الدقيقة فكيف يجعلهم عالمين بها و يقول أن تعلم كما علموا و ينبغى أن يقال إن الكاف و ما عملت فيه فى موضع نصب لأنه صفة مصدر محذوف و تقديره فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك كما علموا دون أن تعلم التفاصيل الدقيقة و جاز انتصاب علما و العامل فيه تقبل لأن القبول من جنس العلم لأن القبول اعتقاد و العلم اعتقاد و ليس لقائل أن يقول فإذن يكون قد فصل بين الصفة و الموصوف بأجنبى لأن الفصل بينهما قد جاء كثيرا قال الشاعر جزى الله كفا ملئها من سعادته سرت فى هلاك المال و المال نائم و يجوز أن يقال كما علموا الآن بعد موتهم فإنهم بعد الموت يكونون عالمين بجميع ما يشته علمه على الناس فى الحياه الدنيا لأن المعارف ضروريه بعد الموت و النفوس باقيه على قول كثير من المسلمين و غيرهم .

و اعلم أن الذى يدعو إلى تكلف هذه التأويلات أن ظاهر الكلام كونه يأمر بتقليد النبى ص و الأخذ بما فى القرآن و ترك النظر العقلى هذا هو ظاهر الكلام أ لا تراه كيف يقول له الاقتصار على ما فرضه الله عليك و الأخذ بما مضى عليه أهل

ص: ٧٢

بيتك و سلفك فإنهم لما حاولوا النظر رجعوا بأخره إلى السمعيات و تركوا العقليات لأنها أفضت بهم إلى ما لا يعرفونه و لا هو من تكليفهم.

ثم قال له فإن كرهت التقليد المحض و أحببت أن تسلك مسلكهم فى النظر و إن أفضى بك الأمر بأخره إلى تركه و العود إلى المعروف من الشرعيات و ما ورد به الكتاب و السنه فينبغى أن تنظر و أنت مجتمع الهم خال من الشبهه و تكون طالبا للحق غير قاصد إلى الجدل و المراء فلما وجدنا ظاهر اللفظ يقتضى هذه المعانى و لم يجوز عندنا أن يأمر أمير المؤمنين ع ولده مع حكيمته و أهليه ولده (١) بالتقليد و ترك النظر رجعنا إلى تأويل كلامه على وجه يخرج به ع من أن يأمر بما لا يجوز لمثله أن يأمر به .

و اعلم أنه قد أوصاه إذا هم بالشروع فى النظر بمحض ما ذكره المتكلمون و ذلك أمور منها أن يرغب إلى الله فى توفيقه و تسديده.

و منها أن يطلب المطلوب النظرى بتفهم و تعلم لا بجدال و مغالبه و مراء و مخاصمه.

و منها إطراح العصبية لمذهب بعينه و التورط فى الشبهات التى يحاول بها نصره ذلك المذهب.

و منها ترك الإلف و العاده و نصره أمر يطلب به الرئاسه و هو المعنى بالشوائب التى تولج فى الضلال.

و منها أن يكون صافى القلب مجتمع الفكر غير مشغول السر بأمر من جوع

ص: ٧٣

(١) أو شبق أو غضب ولا يكون ذا هموم كثيره و أفكار موزعه مقسمه بل يكون فكره و همه هما واحدا.

قال فإذا اجتمع لك كل ذلك فانظر و إن لم يجتمع لك ذلك و نظرت كنت كالناقه العشواء الخابطه لا تهتدى و كمن يتورط في الظلماء لا يعلم أين يضع قدمه و ليس طالب الدين من كان خابطا أو خالطا و الإمساك عن ذلك أمثل و أفضل فَتَفْهَمُ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي وَ اعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ وَ أَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمَيِّتُ وَ أَنَّ الْمُفْنِي هُوَ الْمُعِيدُ وَ أَنَّ الْمُبْتَلَى هُوَ الْمُعَافَى وَ أَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لَتَشْتَقِرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النُّعْمَاءِ وَ الْإِثْلَاءِ وَ الْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا تَعْلَمُ فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ فَإِنَّكَ أَوْلُ مَا خُلِقْتَ بِهِ جَاهِلًا ثُمَّ عَلَّمْتَ وَ مَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ وَ يَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ وَ يَضِلُّ فِيهِ بَصْرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ .

قد تعلق بهذه اللفظه و هو قوله أو ما شاء مما لا تعلم قوم من التناسخيه و قالوا المعنى بها الجزاء فى الهياكل التى تنتقل النفوس إليها و ليس ما قالوه بظاهر و يجوز أن يريد ع أن الله تعالى قد يجازى المذنب فى الدنيا بنوع من العقوبه كالأسقام و الفقر و غيرهما و العقاب و إن كان [مفعولا]

(٢) على وجه الاستحقاق و الإهانه فيجوز لمستحقه و هو البارى

ص: ٧٤

١-١ (١) من «د».

٢-٢ (٢) من د.

أن يقتصر منه على الإيلام فقط لأن الجميع حقه فله أن يستوفى البعض و يسقط البعض و قد روى أو بما شاء بالباء الزائده و روى بما لا يعلم و أما الثواب (١) فلا- يجوز أن يجازى به المحسن في الدنيا لأنه على صفه لا يمكن أن تجامع (٢) التكليف فيحمل لفظ الجزاء على جزاء العقاب خاصه .

ثم أعاد ع وصيته الأولى فقال و إن أشكل عليك شيء من أمر القضاء و القدر و هو كون الكافر مخصوصا بالنعماء و المؤمن مخصوصا بضرب من الابتلاء و كون الجزاء قد يكون في المعاد و قد يكون في غير المعاد فلا تقدرن جهالتك به في سكون قلبك إلى ما عرفتكم جملته و هو أن الله تعالى هو المحيي المميت المفضي المعيد المبتلى المعافي و أن الدنيا بنيت على الابتلاء و الأنعام و أنهما لمصالح و أمور يستأثر الله تعالى بعلمها و أنه يجازى عباده إما في الآخرة أو غير الآخرة على حسب ما يريد و يختاره.

ثم قال له إنما خلقت في مبدإ خلقتك جاهلا فلا تطلبن نفسك غايه من العلم لا وصول لها إليها أو لها إليها وصول بعد أمور صعبه و متاعب شديده فمن خلق جاهلا حقيق أن يكون جهله مده عمره أكثر من علمه استصحابا للأصل.

ثم أراد أن يؤنسه بكلمه استدرك بها إيحاشه فقال له و عساك إذا جهلت شيئا من ذلك أن تعلمه فيما بعد فما أكثر ما تجهل من الأمور و تتحير فيه ثم تبصره و تعرفه و هذا من الطب (٣) اللطيف و الرقى الناجعه و السحر الحلال

ص: ٧٥

١- (١) :«فأما».

٢- (٢) ب:«يجتمع»، و ما أثبتته من أ.

٣- (٣) الطب:المعالجه.

فَاعْتَصِمِ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّأَكَ [فَلْيَكُنْ]

وَ لِيَكُنْ لَهُ تَعْبُدُكَ وَ إِلَيْهِ رَغْبَتُكَ وَ مِنْهُ شَفَقَتُكَ وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَلَيْهِ نَبِيُّنَا ص فَارْضَ بِهِ رَائِدًا وَ إِلَى النَّجَاهِ قَائِدًا فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً وَ إِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ وَ إِنْ اجْتَهَدْتَ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ .

عاد إلى أمره باتباع الرسول ص و أن يعتمد على السمع و ما وردت به الشريعة و نطق به الكتاب و قال له إن أحدا لم يخبر عن الله تعالى كما أخبر عنه نبينا ص و صدق ع فإن التوراه و الإنجيل و غيرهما من كتب أنبياء بنى إسرائيل لم تتضمن من الأمور الإلهيه ما تضمنه القرآن و خصوصا في أمر المعاد فإنه في أحد الكتابين مسكوت عنه و في الآخر مذکور ذكرا مضطربا و الذى كشف هذا القناع فى هذا المعنى و صرح بالأمر هو القرآن ثم ذكر له أنه أنصح له من كل أحد و أنه ليس يبلغ و إن اجتهد فى النظر لنفسه ما يبلغه هو ع له لشده حبه له و إيثاره مصلحته و قوله لم آلك نصحا لم أقصر فى نصحك ألى الرجل فى كذا يألو أى قصر فهو آل و الفعل لازم و لكنه حذف اللام فوصل الفعل إلى الضمير فنسبه و كان أصله لا آلو لك نصحا و نصحا منصوب على التمييز و ليس كما قاله الراوندى إن انتصابه على أنه مفعول ثان فإنه إلى مفعول واحد لا يتعدى فكيف إلى اثنين

ص: ٧٤

و يقول هذه امرأه آليه أى مقصره و جمعها أوال و فى المثل إلا حظيه فلا آليه أصله فى المرأه تصلف عند بعلمها فتوصى حيث فاتتها الحظوه ألا تألوه فى التودد إليه و التحبب إلى قلبه.

قوله و منه شفقتك أى خوفك.

و رائد أصله الرجل يتقدم القوم فيرتاد بهم المرعى و اعلم يا بنى أنه لو كان لربك شريك لآتتك رؤيه و لرأيت آثار ملكه و سلطانه و لعرفت أفعاله و صفاته و لكن الله واحد كما وصف نفسه لا يضاد في ملكه أحد و لا يزول أبداً و لم يزل أول قبل الأشياء بلا أوليه و آخر بعد الأشياء بلا نهائيه عظم [أن تثبت]

عن أن تثبت رؤيته بإحاطه قلب أو بصير فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعل في صغر خطره و قلبه مقدرته و كثره عجزه و عظيم حاجته إلى ربه فى طلب طاعته [و الرهينه من عقوبته]

و الخشيه من عقوبته و الشفقه من سخطه فإنه لم يأمرك إلا بحسن و لم ينهك إلا عن قبيح .

يمكن أن يستدل بهذا الكلام على نفي الثانى من وجهين أحدهما أنه لو كان فى الوجود ثان للبارئ تعالى لما كان القول بالوحدانيه حقا بل كان الحق هو القول بالثنيه و محال ألا يكون ذلك الثانى حكيما و لو كان الحق هو

إثبات ثان حكيم لوجب أن يبعث رسولا يدعو المكلفين إلى التشبه لأن الأنبياء كلهم دعوا إلى التوحيد لكن التوحيد على هذا الفرض ضلال فيجب على الثانى الحكيم أن يبعث من ينه المكلفين على ذلك الضلال و يرشدهم إلى الحق و هو إثبات الثانى و إلا كان منسوبا فى إهمال ذلك إلى السفه و استفساد المكلفين و ذلك لا يجوز و لكننا ما أتانا رسول يدعو إلى إثبات ثان فى الإلهيه فبطل كون القول بالتوحيد ضلالا و إذا لم يكن ضلالا كان حقا فنقيضه و هو القول بإثبات الثانى باطل الوجه الثانى أنه لو كان فى الوجود ثان للقديم تعالى لوجب أن يكون لنا طريق إلى إثباته إما من مجرد أفعاله أو من صفات أفعاله أو من صفات نفسه أو لا من هذا و لا من هذا فمن التوقيف.

و هذه هى الأقسام التى ذكرها أمير المؤمنين ع لأن قوله أتكك رسله هو التوقيف و قوله و لرأيت آثار ملكه و سلطانه هى صفات أفعاله و قوله و لعرفت أفعاله و صفاته هما القسمان الآخران.

أما إثبات الثانى من مجرد الفعل فباطل لأن الفعل إنما يدل على فاعل و لا يدل على التعدد و أما صفات أفعاله و هى كون أفعاله محكمه متقنه فإن الأحكام الذى نشاهده إنما يدل على عالم و لا يدل على التعدد و أما صفات ذات البارئ فالعلم بها فرع على العلم بذاته فلو أثبتنا ذاته بها لزم الدور.

و أما التوقيف فلم يأتنا رسول ذو معجزه صحيحه يدعوننا إلى الثانى و إذا بطلت الأقسام كلها و قد ثبت أن ما لا طريق إلى إثباته لا يجوز إثباته بطل القول بإثبات الثانى.

ثم قال لا يضاده فى ملكه أحد ليس يريد بالضد ما يريد المتكلمون من نفى ذات هى معاكسه لذات البارئ تعالى فى صفاتها كمضاده السواد للبياض بل مراده نفى الثانى لا غير فإن نفى الضد بحث آخر لا دخول له بين هذا الكلام .

ثم ذكر له أن البارئ تعالى قديم سابق للأشياء لا سبقا له حد محدود و أول معين بل لا أول له مطلقا.

ثم قال و هو مع هذا آخر الأشياء آخريه مطلقه ليس تنتهى إلى غايه معينه.

ثم ذكر أن له ربوبيه جلت عن أن تحيط بها الأبصار و العقول.

و قد سبق منا خوض فى هذا المعنى و ذكرنا من نظمنا فى هذا النمط أشياء لطيفه و نحن نذكر هاهنا من نظمنا أيضا فى هذا المعنى و فى فننا الذى اشتهرنا به و هو المناجاه و المخاطبه على طريقه أرباب الطريقه ما لم نذكره هناك فمن ذاك قولى فلا و الله ما وصل ابن سينا

و منها أ مولاي قد أحرقت قلبى فلا تكن

و منها قوم موسى تاهوا سنين كما قد

ص: ٧٩

كم نناجيكم فلا ترشدونا

و منها و الله ما آسى من الدنيا على

و منها و حقك إن أدخلتني النار قلت

ص: ٨٠

فإن تصفحوا يغنم و إن تتجرموا

و منها إذا فكرت فيك يحار عقلی

و منها يا رب إنك عالم

ص: ٨١

يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الآخِرَةِ وَمَا أُعِدُّ لِأَهْلِهَا وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ
لِتَعْتَبَرَ بِهَا وَتَحْذَرَ عَلَيْهَا إِنَّهَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا بِهَمِّ مَنْزِلٍ جَدِيدٍ فَأَمُّوا مَنْزِلًا خَصِيبًا وَجَنَابًا مَرِيعًا فَاحْتَمَلُوا
وَعَثَاءَ الطَّرِيقِ وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ وَحُشُونَةَ السَّفَرِ وَجُشُونَةَ المَطْعَمِ لِيَأْتُوا سِعَةَ دَارِهِمْ وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ
أَلْمًا وَلَا يَرُونَ نَفَقَةً فِيهِ مَعْرَمًا وَلَا شَيْءَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ

وَ أَذْنَاهُمْ [إِلَى]

مِنْ مَحَلَّتِهِمْ وَ مَثَلٌ مِّنْ أَعْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ فَتَبَا بِهِمْ إِلَى مَنَزِلٍ جَدِيدٍ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَ لَا أَفْطَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَتِهِ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ وَ يَصِيرُونَ إِلَيْهِ .

حذا عليه يحذو و احتذى مثاله يحتذى أى اقتدى به و قوم بالسكنين أى مسافرون.

و أمواقصدوا و المنزل الجديد ضد المنزل الخصيب.

و الجنب المريع بفتح الميم ذو الكلال و العشب و قد مرع الوادى بالضم.

و الجنب الفناء و وعشاء الطريق مشقتها.

و جشوبه المطعم

غلظه طعام جشيب و مجشوب و يقال إنه الذى لا آدم (1) معه.

يقول مثل من عرف الدنيا و عمل فيها للآخرة كمن سافر من منزل جذب إلى منزل خصيب فلقى فى طريقه مشقه فإنه لا يكثر بذلك فى جنب ما يطلب و بالعكس من عمل للدنيا و أهمل أمر الآخرة فإنه كمن يسافر إلى منزل ضنك و يهجر منزلا رحيبا طيبا و هذا من

٤٢٧٠

قول رسول الله ص الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر.

ص: ٨٣

(١ - ١) الأدم: ما يؤتدم به.

يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحِبِّ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَاطْرُقْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ وَلَا تَقُلْ مِمَّا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قُلْتَ مَا تَعْلَمُ وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَآفَةُ الْأَلْبَابِ فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لِغَيْرِكَ وَإِذَا أَنْتَ هَدَيْتَ لِقُصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ .

٤٢٧١

جاء في الحديث المرفوع لا يكمل إيمان عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه و يكره لأخيه ما يكره لنفسه.

وقال بعض الأسارى لبعض الملوك افعل معي ما تحب أن يفعل الله معك فأطلقه وهذا هو معنى قوله ع و لا تظلم كما لا تحب أن تظلم .

وقوله و أحسن من قول الله تعالى و أَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ (١) .

وقوله و استقبِح من نفسك سئل الأحنف عن المروءة فقال أن تستقبِح من نفسك ما تستقبِحه من غيرك و روى و ارض من الناس لك و هى أحسن .

و أما العجب و ما ورد فى ذمه فقد قدمنا فيه قولاً مقنعاً.

ص: ٨٤

قوله ع و اسع في كدحك أى أذهب ما اكتسبت بالإنفاق و الكدح هاهنا هو المال الذى كدح فى حصوله و السعى فيه إنفاقه و هذه كلمه فصيححه و قد تقدم نظائر قوله و لا تكن خازنا لغيرك .

ثم أمره أن يكون أخشع ما يكون لله إذ هداه لرشده و ذلك لأن هدايته إياه إلى رشده نعمه عظيمه منه فوجب أن يقابل بالخشوع لأنه ضرب من الشكر و اعلم أن أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ وَ مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَ أَنَّهُ لَا غِنَى بِكَ فِيهِ عَنِ حُسْنِ الْإِرْتِيَادِ وَ قَدْرِ بِلَاغَتِكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خَفِّهِ الظَّهْرِ فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبِالْأَعْلَى عَلَيْكَ وَ إِذَا وَجِدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُؤَافِيكَ بِهِ غَدًا حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاعْتَنِمُهُ وَ حَمَلُهُ إِيَّاهُ وَ أَكْثَرُ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ وَ اغْتَنِمَ مَنْ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ وَ اعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَهُ كَثُودًا الْمُخْفُ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقَلِ وَ الْمُبْطِئِ عَلَيْهَا أَفْبَحُ [أَمْرًا]

حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ وَ أَنَّ [مَهْبِطَهَا بِكَ]

مَهْبِطَكَ بِهَا لَا مَحَالَةَ إِلَّا مَا عَلَى جَنِّهِ أَوْ عَلَى نَارٍ فَارْتَدُّ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ وَ وَطِئِ الْمُنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ وَ لَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ .

أمره فى هذا الفصل بإنفاق المال و الصدقه و المعروف فقال إن بين يديك طريقا بعيد المسافه شديد المشقه و من سلك طريقا فلا غنى له عن أن يرتاد لنفسه و يتزود من الزاد قدر ما يبلغه الغايه و أن يكون خفيف الظهر فى سفره ذلك فأياك أن تحمل من المال ما يثقلك و يكون وبالا عليك و إذا وجدت من الفقراء و المساكين من يحمل ذلك الثقل عنك فيوافقك به غدا وقت الحاجه فحملة إياه فلعلك تطلب مالك فلا تجده

٤٢٧٢

جاء فى الحديث المرفوع خمس من أتى الله بهن أو بواحده منهن أوجب له الجنة من سقى هامه صاديه أو أطعم كبدا هافيه أو كسا جلده عاريه أو حمل قدما حافيه أو أعتق رقبه عانيه.

قيل لحاتم الأصم لو قرأت لنا شيئا من القرآن قال نعم فاندفع فقرا ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة و مما رزقناهم ينفقون (١) فقالوا أيها الشيخ ما هكذا أنزل قال صدقتم و لكن هكذا أنتم و اعلم أن الذى بيده خزائن السموات و الأرض قد أذن لك فى الدعاء و تكفل لك بالإجابة و أمرك أن تسأله ليعطيك و تسترحمه ليرحمك و لم يجعل بينه و بينك [

بينك و بينه من يحببك عنه و لم يلجئك إلى من يشفع لك إليه

ص: ٨٤

(١-١) سورة البقره ١-٣، و القراءه: «و مما رزقناهم ينفقون» .

وَلَمْ يَمْنَعَكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ وَ لَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنَّقْمَةِ وَ لَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ وَ لَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ [تَعَرَّضْتَ لِلْفَضِيحَةِ]

الْفَضِيحَةِ بِعَكَ أَوْلَى وَ لَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ وَ لَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ وَ لَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً وَ حَسَبَ سَيِّئِكَ وَاحِدَةً وَ حَسَبَ حَسَنَتِكَ عَشْرًا وَ فَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ وَ بَابَ الْإِسْتِعْتَابِ فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ وَ إِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ وَ أَبْتَشَّتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ وَ شَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ وَ اسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ وَ اسْتَعْنَتَهُ عَلَى أُمُورِكَ وَ سَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَاقَى بِقَدْرِ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ وَ صَحَّحَهُ الْأَبْدَانَ وَ سَبَّحَهُ الْأَرْزَاقِ ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَدْنَى لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ فَمَتَى سَأَلْتَهُ اسْتَفْتَحَتْ بِالْدُعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ وَ اسْتَمَطَّرَتْ شَايِبَ رَحْمَتِهِ فَلَا [يُقْنِطَنَّكَ]

يُقْنِطَنَّكَ إِطْءًا إِجَابَتِهِ فَإِنَّ الْعُطْيَةَ عَلَى قَدْرِ النَّيِّهِ وَ رَبُّمَا أُخْرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ وَ أَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْأَمِلِ وَ رَبُّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا [تُعْطَاهُ]

تَوْتَاهُ وَ أُوتِيَتْ خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلًا - أَوْ آجِلًا أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ فَلَرْبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكَ دِينِكَ لَوْ أُوتِيَتْهُ فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتَكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ وَ يُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ وَ لَا تَبْقَى لَهُ.

قد تقدم القول في الدعاء .

قوله بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة هذا متفق عليه بين أصحابنا و هو أن تارك القبيح لأنه قبيح يستحق الثواب.

قوله حسب سيئتك واحده و حسب حسنتك عشا هذا إشاره إلى قوله تعالى مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا (١).

قوله و أبشته ذات نفسك أى حاجتك .

ثم ذكر له وجوها فى سبب إبطاء الإجابة منها أن ذلك أمر عائد إلى النيه فلعلمها لم تكن خالصه .

و منها أنه ربما أخرت ليكون أعظم لأجر السائل لأن الثواب على قدر المشقه.

و منها أنه ربما أخرت ليعطى السائل خيرا مما سائل إما عاجلا أو آجلا أو فى الحالين .

و منها أنه ربما صرف ذلك عن السائل لأن فى إعطائه إياه مفسده فى الدين.

قوله فالمال لا- يبقى لك و لا- تبقى له لفظ شريف فصيح و معنى صادق محقق فيه عظه بالغه و قال أبو الطيب أين الجابره الأكاسره الألى كنزوا الكنوز فما بقين و لا بقوا (٢).

و يروى من يحجبه عنك.

و روى حيث الفضيحه أى حيث الفضيحه موجوده منك.

و اعلم أن فى قوله قد أذن لك فى الدعاء و تكفل لك بالإجابة إشاره إلى قوله تعالى أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ (٣).

و فى قوله و أمر أن تسأله ليعطيك إشاره إلى قوله وَ سَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ (٤).

ص: ٨٨

١- ١) سورة الأنعام ١٦٠.

٢- ٢) ديوانه ٣٣٤: ٢.

٣- ٣) سورة غافر ٦٠.

٤- ٤) سورة النساء ٣٢.

و في قوله و تسترحمه ليرحمك إشاره إلى قوله و مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١).

و في قوله و لم يمنعك إن أسأت من التوبه إشاره إلى قوله إِلَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٢) وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا وَ لِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ وَ لِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ وَ أَنَّكَ فِي [مُنزِل]

قُلْعِهِ وَ دَارِ بُلْغِهِ وَ طَرِيقِ إِلَى الْآخِرَةِ وَ أَنَّكَ طَرِبِدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَيَارِبُهُ وَ لَا يَفُوتُهُ طَالِبُهُ وَ لَا بِيَدٍ أَنَّهُ مُيَدْرِكُهُ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَ أَنْتَ عَلَى حَالِ سَيِّئِهِ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ فَيُحَوِّلُ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ ذَلِكَ فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ يَا بُنَيَّ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَ ذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ وَ تُفْضِي بَعِيدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَكَ وَ قَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ حِذْرَكَ وَ شَدَدَتْ لَهُ أَرْزَكَ وَ لَا يَأْتِيكَ بَعْتُهُ فَيَبْهَرَكَ وَ إِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا وَ تَكَالِبَهُمْ عَلَيْهَا فَقَدْ تَبَّأَكَ اللَّهُ عَنْهَا وَ [نَعَتَتْ لَكَ نَفْسَهَا]

نَعَتْ هِيَ لَمَكَ عَنْ نَفْسِهَا وَ تَكَشَفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ وَ سِبَاعٌ ضَارِيَةٌ يَهْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَ يَأْكُلُ عَزِيْزُهَا ذَلِيْلَهَا وَ يَقْهَرُ كَبِيْرُهَا صَغِيْرَهَا

ص: ٨٩

١-١) سورة الأنفال ٣٣.

٢-٢) سورة الفرقان ٧٠.

نَعَمْ مُعَقَّلَةٌ وَ أُخْرَى مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهُمَا وَ رَكِبَتْ مَجْهُولَهُمَا سِرُّوْحٌ عَاهِهِ بَوَادٍ وَعَثٌ لَيْسَ لَهَا رَاعٌ يُقِيمُهَا وَ لَا مُسَيِّمٌ يُسَيِّمُهَا
سَلَكْتُ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ العَمَى وَ أَخَذْتُ بِأَبْصَارِهِمْ عَن مَنَارِ الهُدَى فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا وَ غَرَقُوا فِي نِعْمَتِهَا وَ اتَّخَذُوهَا رَبًّا فَلَعِبَتْ بِهِمْ
وَ لَعِبُوا بِهَا وَ نَسُوا مَا وَرَاءَهَا رُوَيْدًا يُسْفِرُ الظَّلَامَ كَأَن قَدْ وَرَدَتِ الأَطْعَانُ يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَن يَلْحَقَ .

يقول هذا منزل قلعه بضم القاف و سكون اللام أى ليس بمستوطن و يقال هذا مجلس قلعه إذا كان صاحبه يحتاج إلى أن يقوم
مره بعد مره و يقال أيضا هم على قلعه أى على رحله و القلعه أيضا هو المال العاربه

٤٢٧٣

و فى الحديث بس المال القلعه.

و كله يرجع إلى معنى واحد.

قوله و دار بلغه و البلغه ما يتبلغ به من العيش .

قوله سروح عاهه و السروح جمع سرح و هو المال السارح و العاهه الآفه أعاه القوم أصابت ماشيتهم العاهه.

و واد و عث لا يثبت الحافر و الخف فيه بل يغيب فيه و يشق على من يمشى فيه.

و أوعث القوم وقعوا فى الوعث.

و مسيم يسيمها راع يرهاها .

قوله رويدا يسفر الظلام إلى آخر الفصل ثلاثه أمثال محرکه لمن عنده

ص : ٩٠

استعداد واستقرأنى أبو الفرج محمد بن عباد رحمه الله و أنا يومئذ حدث هذه الوصيه فقرأتها عليه من حفظى فلما وصلت إلى هذا الموضوع صاح صيحه شديده و سقط و كان جبارا قاسى القلب

أقوال حكيمة فى وصف الدنيا و فناء الخلق

و اعلم أنا قدمنا فى وصف الدنيا و الفناء و الموت من محاسن كلام الصالحين و الحكماء ما فيه الشفاء و نذكر الآن أشياء آخر.

فمن كلام الحسن البصرى يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعته فإذا مضى يوم مضى بعضك.

عن بعض الحكماء رحم الله امرأ لا يغره ما يرى من كثرة الناس فإنه يموت وحده و يقبر وحده و يحاسب وحده.

و قال بعضهم لا وجه لمقاساه الهموم لأجل الدنيا و لا الاعتداد بشيء من متاعها و لا التخلي منها أما ترك الاهتمام لها فمن جهه أنه لا- سبيل إلى دفع الكائن من مقدورها و أما ترك الاعتداد بها فإن مرجع كل أحد إلى تركها و أما ترك التخلي عنها فإن الآخرة لا تدرک إلا بها.

و من كلام بعض الحكماء أفضل اختيار الإنسان ما توجه به إلى الآخرة و أعرض به عن الدنيا و قد تقدمت الحجة و أذنا بالرحيل و لنا من الدنيا على الدنيا دليل و إنما أهدنا فى مده بقائه صريع لمرض أو مكثب بهم أو مطروق بمصيبه أو مترقب لمخوف لا يأمن المرء أصناف لذته من المطعوم و المشروب أن يكون موته فيه و لا يأمن مملوكه

و جاريتہ أن يقتلاه بحديد أو سم و هو مع ذلك عاجز عن استدامه سلامه عقله من زوال و سمعه من صمم و بصره من عمى و لسانه من خرس و سائر جوارحه من زمانه و نفسه من تلف و ماله من بوار و حبيبه من فراق و كل ذلك يشهد شهاده قطعيه أنه فقير إلى ربه دليل في قبضته محتاج إليه لا- يزال المرء بخير ما حاسب نفسه و عمر آخرته بتخريب دنياه و إذا اعترضته بحار المكاره جعل معابرها الصبر و التأسي و لم يغتر بتتابع النعم و إبطاء حلول النقم و أدام صحبه التقى و فطم النفس عن الهوى فإنما حياته كبضاعه ينفق من رأس المال منها و لا يمكنه أن يزيد فيها و مثل ذلك يوشك فناؤه و سرعه زواله.

و قال أبو العتاهيه في ذكر الموت ستبشر التبراء خدك

ص: ٩٢

وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَ إِنْ كَانَ وَاقِفًا وَ يَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَ إِنْ كَانَ مُقِيمًا وَادِعًا وَ اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ وَ لَنْ تَعُدَّوْ أَجَلَكَ وَ أَنَّكَ فِي سَبِيلٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ فَحَفِضْ فِي الطَّلَبِ وَ أَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ وَ لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ وَ لَا- كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ وَ أَكْرَمُ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ دَيْئِهِ وَ إِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْدُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضًا وَ لَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَ قَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا وَ مَا خَيْرُ خَيْرٍ لَا يُنَالُ (١) إِلَّا بِشَرٍّ وَ يُسَرِّ لَا- يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ وَ إِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ وَ إِنْ اسْتِطَعْتَ إِلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ فَإِنَّكَ مُدْرِكُ قِسْمِكَ وَ آخِذُ سَهْمِكَ وَ إِنَّ الْيُسَيْرَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ [أَكْرَمُ وَ أَعْظَمُ]

أَعْظَمُ وَ أَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَ إِنْ كَانَ كُلُّ مَنْهُ.

مثل الكلمه الأولى قول بعض الحكماء

٤٢٧٤

وقد نسب أيضا إلى أمير المؤمنين ع أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام .

قوله فخفضن في الطلب من

٤٢٧٥

قول رسول الله ص إن روح القدس نفث في روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فأجملوا في الطلب.

وقال الشاعر ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله

وقال آخر رددت رونق وجهى عن صحيفته

وقال آخر و إنى لأختار الزهيد على الغنى

وقال أبو محمد اليزيدى فى المأمون أبقى لنا الله الإمام وزاده

وقال آخر كيف النهوض بما أوليت من حسن أم كيف أشكر ما طوقت من نعم

ص: ٩٤

ملكنتى ماء وجه كاد يسكبه

ذل السؤال و لم تفجع به هممى .

و قال آخر لا تحرصن على الحطام فإنما

و كان يقال ما استغنى أحد بالله إلا افتقر الناس إليه .

و قال رجل فى مجلس فيه قوم من أهل العلم لا- أدرى ما يحمل من يوقن بالقدر على الحرص على طلب الرزق فقال له أحد الحاضرين يحمله القدر فسكت .

أقول لو كنت حاضرا لقلت لو حمله القدر لما نهاه العقلاء عن الحرص و لما مدحوه على العفه و القناعه فإن عاد و قال و أولئك الجأهم القدر إلى المدح و الذم و الأمر و النهى فقد جعل نفسه و غيره من الناس بل من جميع الحيوانات بمنزله الجمادات التى يحركها غيرها و من بلغ إلى هذا الحد لا يكلم .

و قال الشاعر أراك تزيدك الأيام حرصا

أبو العتاهيه

أى عيش يكون أطيب من عيش

و أوصى بعض الأدباء ابنه فكتب إليه

ص : ٩٥

كن حسن الظن برب خلقك

أبو العتاهيه

أجل الغنى مما يؤمل أسرع

و أوصى زياد ابنه عبيد الله عند موته فقال لا تدنسن عرضك و لا تبذلن وجهك و لا تخلقن جدتك بالطلب إلى من إن ردك كان رده عليك عيبا و إن قضى حاجتك جعلها عليك منا و احتمل الفقر بالتنزه عما فى أيدى الناس (١) و الزم القناعه بما قسم لك فإن سوء عمل الفقير يضع الشريف و يخمل الذكر و يوجب الحرمان و تَلَاْفِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَيْمَتِكَ أَيَسِّرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ وَ حِفْظُ مَا فِي الْوَعَاءِ بِشِدِّ الْوَكَاةِ وَ حِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلْبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ وَ مَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلْبِ إِلَى النَّاسِ وَ الْحَرْفَةُ مَعَ الْعَفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ وَ الْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ وَ رَبُّ سَاعٍ فِيمَا يَصُرُّهُ

ص: ٩٦

(١ - ١) ديوانه ١٤٤.

مِينَ أَكْثَرَ أَهْجَرَ وَ مِينَ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ قَارِنِ أَهْلِ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ وَ يَابِينَ أَهْلِ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ بِنَسِ الطَّعَامِ الْحَرَامِ وَ ظَلَمَ الضَّعِيفِ
أَفْحَشُ الظُّلْمِ إِذَا كَانَ الرُّفُقُ خُرْقًا كَانَ الخُرْقُ رِفْقًا رَبِّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً وَ الدَّاءُ دَوَاءً وَ رَبِّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ وَ غَشَّ المُسْتَنْصِحُ وَ
إِيَّاكَ وَ الإِتِّكَالَ عَلَى المُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النُّوْكَى وَ العَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ وَ خَيْرٌ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ بَادِرِ الفُرْصَةِ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ
غُصَّةً لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ مُصْتَبٍ وَ لَا كُلُّ غَائِبٍ يُثُوبُ وَ مِنَ الفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ وَ مَفْسِدَةُ المَعَادِ وَ لِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا
قُدِّرَ لَكَ التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ وَ رَبِّ يَسِيرٌ أَنَّمَى مِنْ كَثِيرٍ .

هذا الكلام قد اشتمل على أمثال كثيرة حكمية.

أولها قوله تلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك و هذا مثل قولهم أنت قادر على أن تجعل
صمتك كلاما و لست بقادر على أن تجعل كلامك صمتا و هذا حق لأن الكلام يسمع و ينقل فلا يستطيع إعادته صمتا و
الصمت عدم الكلام فالقادر على الكلام قادر على أن يبدله بالكلام و ليس الصمت بمنقول و لا مسموع فيتعذر استدراكه.

و ثانيها قوله حفظ ما فى يديك أحب إلى من طلب ما فى أيدى غيرك هذا مثل قولهم فى المثل البخل خير من سؤال البخل و ليس مراد أمير المؤمنين ع وصايته بالإمساك و البخل بل نهيه عن التفريط و التبذير قال الله تعالى وَ لَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (١) و أحق الناس من أضع ماله اتكالا على مال الناس و ظنا أنه يقدر على الاستخلاف قال الشاعر إذا حدثتك النفس أنك قادر على ما حوت أيدى الرجال فكذب .

و ثالثها قوله مراره اليأس خير من الطلب إلى الناس من هذا أخذ الشاعر قوله و إن كان طعم اليأس مرافانه ألد و أحلى من سؤال الأراذل.

و قال البحرى و اليأس إحدى راحتين و لن ترى تعباً كظن الخائب المغرور (٢) .

و رابعها قوله الحرفه مع العفه خير من الغنى مع الفجور و الحرفه بالكسر مثل الحرف بالضم و هو نقصان الحظ و عدم المال و منه قوله رجل محارف بفتح الراء يقول لأن يكون المرء هكذا و هو عفيف الفرج و اليد خير من الغنى مع الفجور و ذلك لأن ألم الحرفه مع العفه و مشقتها إنما هى فى أيام قليلة و هى أيام العمر و لذه الغنى إذا كان مع الفجور ففى مثل تلك الأيام يكون و لكن يستعقب عذاباً طويلاً- فالحال الأولى خير لا محاله و أيضاً ففى الدنيا خير أيضاً للذكر الجميل فيها و الذكر القبيح فى الثانيه و للمحافظه على المروءه فى الأولى و سقوط المروءه فى الثانيه.

ص: ٩٨

١- ١) سورة الإسراء ٢٩.

٢- ٢) ديوانه.

و خامسها قوله المرء أحفظ لسره أى الأولى ألا تبوح بسرک إلى أحد فانت أحفظ له من غيرک فإن أذعته فانتشر فلا تلم إلا نفسك لأنک كنت عاجزا عن حفظ سر نفسك فغيرک عن حفظ سرک و هو أجنبى أعجز قال الشاعر إذا ضاق أصدر المرء عن حفظ سره فصدر الذى يستودع السر أضيق.

و سادسها قوله رب ساع فيما يضره قال عبد الحميد الكاتب فى كتابه إلى أبى مسلم لو أراد الله بالنمله صلاحا لما أنبت لها جناحا.

و سابعها قوله من أكثر أهجر يقال أهجر الرجل إذا أفحش فى المنطق السوء و الخنى قال الشماخ كماجده الأعراق قال ابن ضره عليها كلاما جار فيه و أهجرا (١).

و هذا مثل قولهم من كثر كلامه كثر سقطه و قالوا أيضا قلما سلم مكثار أو أمن من عثار.

و ثامنها قوله من تفكر أبصر قالت الحكماء الفكر تحديق العقل نحو المعقول كما أن النظر البصرى تحديق البصر نحو المحسوس و كما أن من حدق نحو المبصر و حدقته صحیحه و الموانع مرتفعه لا بد أن يبصره كذلك من نظر بعين عقله و أفكر فكرا صحیحا لا بد أن يدرك الأمر الذى فكر فيه و يناله .

و تاسعها قوله قارن أهل الخير تكن معهم و باين أهل الشر تبين عنهم كأن يقال حاجبك وجهك و كاتبك لسانك و جليسك كلک و قال الشاعر عن المرء لا تسأل و سل عن قرينه فكل قرين بالمقارن مقتد.

ص: ٩٩

١- ١) ديوانه ٢٨، و روايته: «مجده الأعراق. و ابن ضرته: ابن زوجها.

و عاشرها قوله بئس الطعام الحرام هذا من قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّهُمْ يَكْفُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا (١).

و حادى عشرها قوله ظلم الضعيف أفحش الظلم رأى معاوية ابنه يزيد يضرب غلاما فقال يا بنى كيف لا يسع حلمك من تضربه فلا يمتنع منك و أمر المأمون بإشخاص الخطابي القاص (٢) من البصره فلما مثل بين يديه قال له يا سليمان أنت القائل العراق عين الدنيا و البصره عين العراق و المربرد عين البصره و مسجدي عين المربرد و أنا عين مسجدي و أنت أعور فإن عين الدنيا عوراء قال يا أمير المؤمنين لم أقل ذاك و لا أظن أمير المؤمنين أحضرني لذلك قال بلغنى أنك أصبحت فوجدت على ساريه من سواري مسجدك رحم الله عليا إنه كان تقيا فأمرت بمحوه قال يا أمير المؤمنين كان و لقد كان نبيا فأمرت بإزالته فقال كذبت كانت القاف أصح من عينك الصحيحه ثم قال و الله لو لا أن أقيم لك عند العامه سوقا لأحسنت تأديبك قال يا أمير المؤمنين قد ترى ما أنا عليه من الضعف و الزمانه و الهرم و قله البصر فإن عاقبتنى مظلوما فاذا كر

٤٢٧٦

قول ابن عمك على ع

ظلم الضعيف أفحش الظلم .

و إن عاقبتنى بحق فاذا كر أيضا

٤٢٧٧

قوله لكل شيء رأس و الحلم رأس السؤدد.

فنهض المأمون من مجلسه و أمر برده إلى البصره و لم يصله بشيء و لم يحضر أحد قط مجلس المأمون إلا وصله عدا الخطابي و ليس هذا هو المحدث الحافظ المشهور ذاك أبو سليمان أحمد بن محمد بن أحمد البستى كان فى أيام المطيع و الطائع و هذا قاص بالبصره كان يقال له أبو زكريا سليمان بن محمد البصرى .

و ثانى عشرها قوله إذا كان الرفق خرقا كان الخرق رفقا يقول إذا كان استعمال

ص: ١٠٠

١-١ (١) سورة النساء ١٠.

٢-٢ (٢) كذا فى ا، و فى ب: «القاضى».

الرفق مفسده و زياده فى الشر فلا تستعمله فإنه حينئذ ليس برفق بل هو خرق و لكن استعمل الخرق فإنه يكون رفقا و الحاله هذه لأن الشر لا يلقى إلا بشر مثله قال عمرو ابن كلثوم ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا (١).

و فى المثل إن الحديد بالحديد يفلج.

و قال زهير و من لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم و من لا يظلم الناس يظلم (٢).

و قال أبو الطيب و وضع الندى فى موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف فى موضع الندى (٣).

و ثالث عشرها قوله و ربما كان الدواء داء و الداء دواء هذا مثل قول أبى الطيب ربما صحت الأجسام بالعلل (٤).

و مثله قول أبى نواس و داونى بالتى كانت هى الداء (٥).

و مثل قول الشاعر تداويت من ليلى بليلى فلم يكن دواء و لكن كان سقما مخالفا.

و رابع عشرها قوله ربما نصح غير الناصح و غش المستنصح كان المغيره بن شعبه يبغض عليا ع منذ أيام رسول الله ص و تأكدت

ص: ١٠١

١-١) من المعلقه-بشرح التبريزى ٢٣٨.

٢-٢) ديوانه ٣٠.

٣-٣) ديوانه ٢٨٨:١.

٤-٤) ديوانه ٣:٨٦، و صدره: *لعلّ عتبك محمود عواقبه*.

٥-٥) ديوانه ٢٣٤، و صدره: *دع عنك لومى فإنّ اللوم إغراء*.

بغضته إلى أيام أبي بكر و عثمان و عمر و أشار عليه يوم بويج بالخلافه أن يقر معاويه على الشام مده يسيره فإذا خطب له بالشام و توطأت دعوته دعاه إليه كما كان عمر و عثمان يدعوانه إليهما و صرفه فلم يقبل و كان ذلك نصيحة من عدو كاشح.

٤٢٧٨

٣- و استشار الحسين ع عبد الله بن الزبير و هما بمكة فى الخروج عنها و قصد العراق ظانا أنه ينصحه فغشه و قال له لا تقم بمكة فليس بها من يبائعك و لكن دونك العراق فإنهم متى رأوك لم يعدلوا بك أحدا فخرج إلى العراق حتى كان من أمره ما كان .

و خامس عشرها قوله إياك و الاتكال على المنى فإنها بضائع النوكى جمع أنوك و هو الأحمق من هذا أخذ أبو تمام قوله من كان مرعى عزمه و همومه روض الأمانى لم يزل مهزولا (١).

و من كلامهم ثلاثة تخلق العقل و هو أوضح دليل على الضعف طول التمنى و سرعه الجواب و الاستغراب (٢) فى الضحك و كان يقال التمنى و الحلم سيان و قال آخر شرف الفتى ترك المنى.

و سادس عشرها قوله العقل حفظ التجارب من هذا أخذ المتكلمون قولهم العقل نوعان غريزى و مكتسب فالغريزى العلوم البديهيه و المكتسب ما أفادته التجربه و حفظته النفس.

و سابع عشرها قوله خير ما جربت ما وعظك مثل هذا قول أفلاطون إذا لم تعظك التجربه فلم تجرب بل أنت ساذج كما كنت.

و ثامن عشرها قوله بادر الفرصه قبل أن تكون غصه حضر عبيد الله بن زياد عند هانىء بن عروه عائدا و قد كمن له مسلم بن عقيل و أمره أن يقتله إذا جلس

ص: ١٠٢

(١-١) ديوانه.

(٢-٢) الاستغراب فى الضحك: المبالغه فيه.

و استقر فلما جلس جعل مسلم يؤامر نفسه و يريدها على الوثوب به فلم تطعه و جعل هانئ ينشد كأنه يترنم بالشعر ما الانتظار بسلمى لا- تحيها و يكرر ذلك فأوجس عبيد الله خيفه و نهض فعاد إلى قصر الإمارة و فات مسلما منه ما كان يؤمله بإضاعه الفرصه حتى صار أمره إلى ما صار و تاسع عشرها قوله ليس كل طالب يصيب و لا كل غائب يثوب الأولى كقول القائل ما كل وقت ينال المرء ما طلبا و لا يسوغه المقدار ما وهبا و الثانيه كقول عبيد و كل ذى غيبه يثوب و غائب الموت لا يثوب (١).

العشرون قوله من الفساد إضاعه الزاد و مفسده المعاد و لا ريب أن من كان فى سفر و أضاع زاده و أفسد الحال التى يعود إليها فإنه أحمق و هذا مثل ضربه للإنسان فى حالتى دنياه و آخرته.

الحادى و العشرون قوله و لكل أمر عاقبه هذا مثل المثل المشهور لكل سائله قرار.

الثانى و العشرون قوله سوف يأتىك ما قدر لك هذا من

٤٢٧٩

قول رسول الله ص و إن يقدر لأحدكم رزق فى قبه جبل أو حضيض بقاع (٢) يأتته.

الثالث و العشرون قوله التاجر مخاطر هذا حق لأنه يتعجل بإخراج الثمن و لا يعلم هل يعود أم لا و هذا الكلام ليس على ظاهره بل له باطن و هو أن من مزج الأعمال الصالحه بالأعمال السيئه مثل قوله خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّئًا (٣)

ص: ١٠٣

١-١ (١) ديوانه ١٣.

٢-٢ (٢) ب: «بغاء» تصحف، صوابه من ا.

٣-٣ (٣) سوره التوبه ١٠٢.

فإنه مخاطر لأنه لا يأمن أن يكون بعض تلك السيئات تحبط أعماله الصالحة كما لا يأمن أن يكون بعض أعماله الصالحة يكفر تلك السيئات والمراد أنه لا يجوز للمكلف أن يفعل إلا الطاعة أو المباح.

الرابع والعشرون قوله رب يسير أنمى من كثير قد جاء فى الأثر قد يجعل الله من القليل الكثير و يجعل من الكثير البركه و قال الفرزدق فإن تمىما قبل أن يلد الحصى أقام زمانا و هو فى الناس واحد.

وقال أبو عثمان الجاحظ رأينا بالبصره أخوين كان أبوهما يحب أحدهما و يبغض الآخر فأعطى محبوبه يوم موته كل ماله و كان أكثر من مائتى ألف درهم و لم يعط الآخر شيئا و كان يتجر فى الزيت و يكتسب منه ما يصرفه فى نفقه عياله ثم رأينا أولاد الأخ الموسر بعد موت الأخوين من عائله ولد الأخ المعسر يتصدقون عليهم من فواضل أرزاقهم لا خَيْرَ فى مُعِينٍ [مُهِينِ]

مُهِينٍ وَ لَا فى صِيَدِيْقٍ ظَنِينٍ سَاهِلِ الدَّهْرِ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُوْدُهُ وَ لَا تُخَاطِرُ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرِ مِنْهُ وَ إِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيئُهُ اللَّجَاجِ
أَحْمَلُ نَفْسِكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَيْرَمِهِ عَلَى الصَّلَةِ وَ عِنْدَ صِيْدُوْدِهِ عَلَى اللُّطْفِ وَ الْمُقَارَبَةِ وَ عِنْدَ جُمُوْدِهِ عَلَى الْبَدْلِ وَ عِنْدَ تَبَاعُدِهِ
عَلَى الدُّنُوِّ وَ عِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللَّيْنِ وَ عِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ وَ كَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ

وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقًا فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ وَامْحُضْ أَخَاكَ
النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَأَنْتَ أَوْ قَبِيحَةً وَتَجَرَّعَ الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرْ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّةً وَلَا لِمَنْ غَالَطَكَ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ
يَلِينَ لَكَ وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ [أَحَدٌ]

أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَهُ أَخِيكَ فَاسْتَبِقْ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بِقِيَّتِهِ يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ يَدَا لَهُ ذَلِكَ يَوْمًا مَرًا وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا
فَصَدَّقْ ظَنَّهُ وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ وَلَا يَكُنْ أَهْلَكَ أَشَقَى الْخَلْقِ
بِكَ وَلَا تَرْغَبَنَّ فِي مَنْ زَهَّدَ عَنْكَ وَلَا يَكُونَنَّ أَحْوَكُ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صَمَلَتِهِ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءِ أَقْوَى مِنْكَ
عَلَى الْإِحْسَانِ وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مَنْ ظَلَمَكَ فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضْرَبَتِهِ وَنَفْعِكَ وَ لَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوَّهُ .

هذا الفصل قد اشتمل على كثير من الأمثال الحكمية.

فأولها قوله لا خير في معين مهين ولا في صديق ظنين مثل الكلمة الأولى قولهم إذا تكفيت بغير كاف وجدته للهم غير شاف.

و من الكلمة الثانية أخذ الشاعر قوله فإن من الإخوان من شحط النوى

و ثانيها قوله ساهل الدهر ما ذلك لك قعوده هذا استعاره و القعود البكر حين يمكن ظهره من الركوب إلى أن يثنى و مثل هذا المعنى قولهم فى المثل من ناطح الدهر أصبح أجم.

و مثله و در مع الدهر كيفما دارا و مثله و من قامر الأيام عن ثمراتها فأحر بها أن تنجلى و لها القمر (١).

و مثله إذا الدهر أعطاك العنان فسر به رويدا و لا تعنف فيصبح شامسا.

و ثالثها قوله لا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه هذا مثل قولهم من طلب الفضل حرم الأصل.

و رابعها قوله إياك و أن تجمح بك مطيه اللجاج هذا استعاره و فى المثل ألج من خنفساء و ألج من زنبور و كان يقال اللجاج من القحه و القحه من قله الحياء و قله الحياء من قله المروءه و فى المثل لج صاحبك فحج .

و خامسها قوله احمل نفسك من أخيك إلى قوله أو تفعله بغير أهله اللطف بفتح اللام و الطاء الاسم من أطفه بكذا أى بره به و جاء لنا لطفه من فلان أى هديه و الملاطفه المباره و روى عن اللطف و هو الرفق للأمر و المعنى أنه أوصاه إذا قطعه أخوه أن يصله و إذا جفاه أن يبره و إذا بخل عليه أن يوجد عليه إلى آخر الوصاه.

ثم قال له لا تفعل ذلك مع غير أهله قال الشاعر

ص: ١٠٦

و أن الذى بينى و بين بنى أبى

و قال الشاعر إنى و إن كان ابن عمى كاشحا

و سادسها قوله لا تتخذن عدو صدیقك صدیقا فتعدى صدیقك قد قال الناس فى هذا المعنى فأكثرها قال بعضهم إذا صافى صدیقك من تعدى فقد عاداك و انقطع الكلام.

و قال آخر صدیق صدیقی داخل فى صداقتى و خصم صدیقی لیس لى بصدیق.

و قال آخر تود عدوى ثم تزعم أننى صدیقك إن الرأى عنك لعازب.

ص: ١٠٧

و سابعها قوله و امحض أخاك النصيحة حسنه كانت أو قبيحه ليس يعنى ع بقبيحه هاهنا القبيح الذى يستحق به الذم و العقاب و إنما يريد نفعه له فى العاجل كانت أو ضاره له فى الأجل فعبر عن النفع و الضرر بالحسن و القبيح كقوله تعالى وَ إِن تَصِبْهُمْ سَيِّئَهُ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (١).

و قد فسره قوم فقالوا أراد كانت نفعه لك أو ضاره لك و يحتمل تفسير آخر و هو وصيته إياه أن يمحض أخاه النصيحة سواء كانت مما لا يستحيا من ذكرها و شياعها أو كانت مما يستحيا من ذكرها و استفاضتها بين الناس كمن ينصح صديقه فى أهله و يشير عليه بفراقهم لفجور اطلع عليه منهم فإن الناس يسمون مثل هذا إذا شاع قبيحا.

و ثامنها قوله تجرع الغيظ فإنى لم أر جرعه أحلى منها عاقبه و لا ألد مغبه هذا مثل قولهم الحلم مراره ساعه و حلاوه الدهر كله و كان يقال التذلل للناس مصايد الشرف.

٤٢٨٠

٤,٥- قال المبرد فى الكامل أوصى على بن الحسين ابنه محمد بن على ع فقال يا بنى عليك بتجرع الغيظ من الرجال فإن أباك لا يسره بنصبيه من تجرع الغيظ من الرجال حمر النعم و الحلم أعز ناصرا و أكثر عددا

(٢)

و تاسعها قوله لن لمن غالظك فإنه يوشك أن يلين لك هذا مثل المثل المشهور إذا عز أخوك فهن و الأصل فى هذا قوله تعالى إِذْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣).

و عاشرها قوله خذ على عدوك بالفضل فإنه أحد الظفرين هذا معنى مليح و منه قول ابن هانئ فى المعز (٤)

ص: ١٠٨

١-١) سورة الروم ٣٦.

٢-٢) الكامل.

٣-٣) سورة فصلت ٣٤.

٤-٤) ب: «المعتز»، تصحف، صوابه فى ا.

و كنت كاتباً بديوان الخلفه و الوزير حينئذ نصير الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد رحمه الله فوصل إلى حضره الديوان فى سنه اثنتين و ثلاثين و ستمائه محمد بن محمد أمير البحرين على البر ثم وصل بعده الهرمزي صاحب هرمز فى دجله بالمراكب البحرية و هرمز هذه فرضه فى البحر نحو عمان و امتلأت بغداد من عرب محمد بن محمد و أصحاب الهرمزي و كانت تلك الأيام أياماً غراء زاهره لما أفاض المستنصر على الناس من عطايه و الوفود تزدهم من أقطار الأرض على أبواب ديوانه فكتبت يوم دخول الهرمزي إلى الوزير أبياتا سنحت على البدييه و أنا متشاغل بما كنت فيه من مهام الخدمه و كان رحمه الله لا يزال يذكرها و ينشدها و يستحسنها يا أحمد بن محمد أنت الذى

لا زال فى ظل الخليفه ما له

فان و سودده المعظم باق

و حادى عشرها قوله إن أردت قطيعه أخيك فاستبق له من نفسك بقيه يرجع إليها إن بدا ذلك له يوما هذا مثل قولهم أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغضك يوما ما و أبغض بغضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما و ما كان يقال إذا هويت فلا تكن غاليا و إذا تركت فلا تكن قاليا .

و ثانى عشرها قوله من ظن خيرا فصدق ظنه كثير من أرباب الهمم يفعلون هذا يقال لمن قد شدا طرفا من العلم هذا عالم هذا فاضل فيدعوه ما ظن فيه من ذلك إلى تحقيقه فيواظب على الاشتغال بالعلم حتى يصير عالما فاضلا حقيقه و كذلك يقول الناس هذا كثير العباده هذا كثير الزهد لمن قد شرع فى شىء من ذلك فتحمله أقوال الناس على الالتزام بالزهد و العباده.

و ثالث عشرها قوله و لا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك و بينه فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه من هذا النحو قول الشاعر.

إذا خنتم بالغيب عهدى فما لكم

و كان يقال إضاعه الحقوق داعيه العقوق .

و رابع عشرها قوله لا- ترغبين فيمن زهد فيك الرغبه فى الزاهد هى الداء العياء قال العباس بن الأحنف ما زلت أزهد فى موده راغب

ص: ١١٠

وقد قال الشعراء المتقدمون والمتأخرون فأكثرُوا نحو قولهم وفي الناس إن رثت جبالك واصل وفي الأرض عن دار القلى متحول (١).

وقول تأبط شرا (٢) إني إذا خله ضنت بنائها

و خامس عشرها قوله لا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته و لا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان هذا أمر له بأن يصل من قطعه و أن يحسن إلى من أساء إليه.

ظفر المأمون عبد الله بن هارون الرشيد بكتب قد كتبها محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ع إلى أهل الكرخ وغيرهم من أعمال أصفهان يدعوهم فيها إلى نفسه فأحضرها بين يديه و دفعها إليه و قال له أ تعرف هذه فأطرق خجلا فقال له أنت آمن و قد وهبت هذا الذنب لعلی و فاطمه ع فقم إلى منزلك و تخير ما شئت من الذنوب فإننا نتخير لك مثل ذلك من العفو .

و سادس عشرها قوله لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فإنه يسعى في مضرتة و نفعك و ليس جزاء من سرک أن تسوءه

٤٢٨١

١٤- جاء في الخبر المرفوع إنه ص سمع عائشه تدعو على من سرق عقدا لها فقال لها لا تمسحى عنه بدعائك .

أى لا تخففى عذابه و قوله ع و ليس جزاء من سرک أن تسوءه يقول لا تنتقم ممن ظلمك فإنه قد نفعك فى الآخره بظلمه لك و ليس جزاء من ينفع إنسانا أن يسىء إليه و هذا مقام جليل

ص: ١١١

١-١) لمعن بن أوس، ديوانه ٥٩.

٢-٢) المفضليات ٨.

لا- يقدر عليه إلا الأفراد من الأولياء الأبرار و قبض بعض الجبابره على قوم صالحين فحبسهم و قيدهم فلما طال عليهم الأمر زفر بعضهم زفره شديده و دعا على ذلك الجبار فقال له بعض أولاده و كان أفضل أهل زمانه فى العباده و كان مستجاب الدعوه لا تدع عليه فتخفف عن عذابه قالوا يا فلان أ لا ترى ما بنا و بك لا يأنف ربك لنا قال إن لفلان مهبطا فى النار لم يكن ليبلغه إلا بما ترون و إن لكم لمصعدا فى الجنة لم تكونوا لتبلغوه إلا بما ترون قالوا فقد نال منا العذاب و الحديد فادع الله لنا أن يخلصنا و ينقذنا مما نحن فيه قال إني لأظن أنى لو فعلت لفعل و لكن و الله لا أفعل حتى أموت هكذا فألقى الله فأقول له أى رب سل فلانا لم فعل بى هذا و من الناس من يجعل قوله ع و ليس جزء من سرک أن تسوءه كلمه مفرده مستقله بنفسها ليست من تمام الكلام الأول و الصحيح ما ذكرناه.

و سابع عشرها و من حقه أن يقدم ذكره قوله و لا يكن أهلك أشقى الخلق بك هذا كما يقال فى المثل من شؤم الساحره أنها أول ما تبدأ بأهلها و المراد من هذه الكلمه النهى عن قطيعه الرحم و إقصاء الأهل و حرمانهم

٤٢٨٢

و فى الخبر المرفوع صلوا أرحامكم و لو بالسلاام.

وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ رِزْقٌ تَطْلُبُهُ وَ رِزْقٌ يَطْلُبُكَ فَإِنَّ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعِ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَ الْجَفَاءِ عِنْدَ الْغِنَى إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ وَ إِنْ كُنْتَ جَازِعًا عَلَيَّ مَا تَفَلَّتْ مِنْ يَدَيْكَ فَاجْزَعْ عَلَيَّ كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ

ص: ١١٢

اسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهُ وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغَتْ فِي إِيْلَامِهِ فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالْأَدَابِ وَالْبَهَائِمَ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ.

اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بَعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ مَنْ تَرَكَ الْقَصِيدَ جَارَ وَالصَّاحِبَ مُنَاسِبَ وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ وَالْهُوَى شَرِيكَ الْعَمَى وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ وَقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ وَأَوْثَقُ سَبَبٌ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَمَنْ لَمْ يُبَالِكْ فَهُوَ عَدُوُّكَ قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِذْرَاكَ إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكَ لَا يَسْ كُفُّ عَوْرَهُ تَظَهَّرَ وَلَا كُفُّ فُرْصَهُ تُصَابُ وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَضِيْدَهُ وَأَصَابَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ أَحْرَ الشَّرِّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتُمْ تَعَجَّلْتُمْ وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَهُ الْعَاقِلِ مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ سَلِّ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ.

فى بعض الروايات اطرح عنك واردات الهموم بحسن الصبر و كرم العزاء. قد مضى لنا كلام شاف فى الرزق.

و روى أبو حيان قال رفع الواقدى إلى المأمون رقعته يذكر فيها غلبه الدين عليه و كثره العيال و قله الصبر فوقع المأمون عليها أنت رجل فيك خلطان السخاء و الحياء فأما السخاء فهو الذى أطلق ما فى يديك و أما الحياء فهو الذى بلغ بك إلى ما ذكرت و قد أمرنا لك بمائه ألف درهم فإن كنا أصبنا إرادتك فزدد فى بسط يدك و إن كنا لم نصب إرادتك فبجنايتك على نفسك و أنت كنت حدثتى و أنت على قضاء الرشيد

عن محمد بن إسحاق عن الزهرى عن أنس بن مالك إن رسول الله ص قال للزبير يا زبير إن مفاتيح الرزق بإزاء العرش ينزل الله تعالى للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر له و من قلل قلل له.

قال الواقدى و كنت أنسيت هذا الحديث و كانت مذاكرته إياى به أحب من صلته .

و اعلم أن هذا الفصل يشتمل على نكت كثيرة حكميه منها قوله الرزق رزقان رزق تطلبه و رزق يطلبك و هذا حق لأن ذلك إنما يكون على حسب ما يعلمه الله تعالى من مصلحة المكلف فتاره يأتية الرزق بغير اكتساب و لا تكلف حركة و لا تجشم سعى و تاره يكون الأمر بالعكس.

دخل عماد الدولة أبو الحسن بن بويه شيراز بعد أن هزم ابن ياقوت عنها و هو فقير

لا مال له فساخت إحدى قوائم فرسه في الصحراء في الأرض فنزل عنها وابتدرها غلمانة فخلصوها فظهر لهم في ذلك الموضع نقب وسيع فأمرهم بحفره فوجدوا (١) فيه أموالا عظيمة و ذخائر لابن ياقوت ثم استلقى يوما آخر على ظهره في داره بشيراز التي كان ابن ياقوت يسكنها فرأى حيه في السقف فأمر غلمانة بالصعود إليها وقتلها فهربت منهم ودخلت في خشب الكنيسة فأمر أن يقلع الخشب و تستخرج و تقتل فلما قلعوا الخشب وجدوا فيه أكثر من خمسين ألف دينار ذخيره لابن ياقوت .

و احتاج أن يفصل و يخيظ ثيابا له و لأهله فقبل هاهنا خياط حاذق كان يخيظ لابن ياقوت و هو رجل منسوب إلى الدين و الخير إلا أنه أصم لا يسمع شيئا أصلا فأمر بإحضاره فأحضر و عنده رعب و هلع فلما أدخله إليه كلمه و قال أريد أن تخيظ لنا كذا و كذا قطعه من الثياب فارتعد الخياط و اضطرب كلامه و قال و الله يا مولانا ما له عندي إلا أربعة صناديق ليس غيرها فلا تسمع قول الأعداء في فتعجب عماد الدوله و أمر بإحضار الصناديق فوجدها كلها ذهبا و حليا و جواهر مملوءه وديعه لابن ياقوت .

و أما الرزق الذي يطلبه الإنسان و يسعى إليه فهو كثير جدا لا يحصى و منها قوله ما أقبح الخضوع عند الحاجه و الجفاء عند الغنى هذا من قول الله تعالى حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَ فَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَ جَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ (٢) .

و من الشعر الحكيم في هذا الباب قول الشاعر خلقان لا أرضاهما لفتى تيه الغنى و مذله الفقر

ص: ١١٥

١ - ١) ا: «فوجد».

٢ - ٢) سورة يونس ٢٢، ٢٣.

فإذا غنيت فلا تكن بطرا

و إذا افتقرت فته على الدهر.

و منها قوله إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك هذا من

٤٢٨٥

كلام رسول الله ص يا ابن آدم ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت.

و قال أبو العتاهيه ليس للمتعب المكادح من دنياه إلا الرغيف و الطمران (١).

و منها قوله و إن كنت جازعا على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل إليك يقول لا ينبغي أن تجزع على ما ذهب من مالك كما لا ينبغي أن تجزع على ما فاتك من المنافع و المكاسب فإنه لا فرق بينهما إلا أن هذا حصل و ذاك لم يحصل بعد و هذا فرق غير مؤثر لأن الذى تظن أنه حاصل لك غير حاصل فى الحقيقه و إنما الحاصل على الحقيقه ما أكلته و لبسته و أما القنيات و المدخرات فلعلها ليست لك كما قال الشاعر و ذى إبل يسقى و يحسبها له

و منها قوله استدل على ما لم يكن بما كان فإن للأمور أشباها يقال إذا شئت أن تنظر للدنيا بعدك فانظرها بعد غيرك.

و قال أبو الطيب فى سيف الدوله ذكى تظنيه طليعه عينه يرى قلبه فى يومه ما يرى غدا (٢).

و منها قوله و لا تكونن ممن لا تنفعه العظه... إلى قوله إلا بالضرب هو قول الشاعر

ص: ١١٦

١-١) الطمران: تشنيه طمر، و هو الثوب الخلق البالى.

٢-٢) ديوانه ٢٨٢: ١، و التظنى: التظنن، و الطليعه: الذى يطلع القوم على العدو.

و كان يقال اللثيم كالعبد و العبد كالبهيمه عتبها ضربها .

و منها قوله اطرح عنك واردات الهموم بحسن الصبر و كرم العزاء (٢) هذا كلام شريف فصيح عظيم النفع و الفائدة و قد أخذ عبد الله بن الزبير بعض هذه الألفاظ فقال فى خطبته لما ورد عليه الخبر بقتل مصعب أخيه لقد جاءنا من العراق خبر أحننا و سرنا جاءنا خبر قتل مصعب فأما سرورنا فلأن ذلك كان له شهاده و كان لنا إن شاء الله خيره و أما الحزن فلوعه يجدها الحميم عند فراق حميمه ثم يرعوى بعدها ذو الرأى إلى حسن الصبر و كرم العزاء.

و منها قوله من ترك القصد جار القصد الطريق المعتدل يعنى أن خير الأمور أوسطها فإن الفضائل تحيط بها الرذائل فمن تعدى هذه يسيرا وقع فى هذه.

و منها قوله الصاحب مناسب كان يقال الصديق نسيب الروح و الأخ نسيب البدن قال أبو الطيب ما الخل إلا من أود بقلبه و أرى بطرف لا يرى بسوائه (٣).

و منها قوله الصديق من صدق غيبه من هاهنا أخذ أبو نواس قوله فى المنهوكه (٤) هل لك و الهل خبر

و منها قوله الهوى شريك العمى هذا مثل قولهم جبك الشىء يعمى و يصم قال الشاعر

ص: ١١٧

١-١) لابن مفرغ، الشعر و الشعراء ٣١٥.

٢-٢) بلفظ الروايه الثانيه.

٣-٣) ديوانه ١:٤.

٤-٤) المنهوك من الرجز و المنسرح: ما ذهب ثلثاه و بقى ثلثه، كقوله فى الرجز: *يا ليتنى فيها جذع* و قوله فى المنسرح: *ويل أم سعد سعدا*.

و عين الرضا عن كل عيب كليله

كما أن عين السخط تبدى المساويا (١).

و منها قوله رب بعيد أقرب من قريب و قريب أبعد من بعيد هذا معنى مطروق قال الشاعر لعمر ك ما يضر البعد يوما إذا دنت القلوب من القلوب.

و قال الأحوص إنى لأمنحك الصدود و إننى قسما إليك مع الصدود لأميل (٢).

و قال البحترى و نازحه و الدار منها قريبه و ما قرب ثاو فى التراب مغيب.

و منها قوله و الغريب من لم يكن له حبيب يريد بالحبيب هاهنا المحب لا المحبوب قال الشاعر أسره المرء والداه و فيما

و منها قوله من تعدى الحق ضاق بمذهبه يريد بمذهبه هاهنا طريقته و هذه استعاره و معناه أن طريق الحق لا مشقه فيها لسالكها و طرق الباطل فيها المشاق و المضار و كان سالكها سالك طريقه ضيقه يتعثر فيها و يتخبط فى سلوكها.

و منها قوله من اقتصر على قدره كان أبقى له هذا مثل

٤٢٨٦

قوله رحم الله امرأ عرف قدره و لم يتعد طوره.

٤٢٨٧

و قال من جهل قدره قتل نفسه.

و قال أبو الطيب و من جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى.

ص: ١١٨

١- (١) لعبد الله بن معاوية، الأغاني ١٢:٢١٤.

٢- (٢) الأغاني.

و منها قوله أوثق سبب أخذت به سبب بينك و بين الله سبحانه هذا من قول الله تعالى فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا (١).

و منها قوله فمن لم يبالك فهو عدوك أى لم يكثر بك و هذه الوصاه خاصه بالحسن ع و أمثاله من الولاه و أرباب الرعايا و ليست عامه للسوقه من أفناء الناس و ذلك لأن الوالى إذا أنس من بعض رعيته أنه لا يباليه و لا يكثر به فقد أبدى صفحته و من أبدى لك صفحته فهو عدوك و أما غير الوالى من أفناء الناس فليس أحدهم إذا لم يبال الآخر بعدو له .

و منها قوله قد يكون اليأس إدراكا إذا كان الطمع هلاكا هذا مثل قول القائل من عاش لاقى ما يسوء

و المعنى ربما كان بلوغ الأمل فى الدنيا و الفوز بالمطلوب منها سببا للهلاك فيها و إذا كان كذلك كان الحرمان خيرا من الظفر.

و منها قوله ليس كل عوره تظهر و لا كل فرصه تصاب يقول قد تكون عوره العدو مستتره عنك فلا تظهر و قد تظهر لك و لا يمكنك إصابتها.

و قال بعض الحكماء الفرصه نوعان فرصه من عدوك و فرصه فى غير عدوك فالفرصه من عدوك ما إذا بلغت نفعتك و إن فاتتك ضررتك و فى غير عدوك ما إذا أخطأك نفعه لم يصل إليك ضره.

ص: ١١٩

و منها قوله فربما أخطأ البصير قصده و أصاب الأعمى رشده من هذا النحو قولهم فى المثل مع الخواطئ سهم صائب و قولهم رميه من غير رام و قالوا فى مثل اللفظه الأولى الجواد يكبو و الحسام قد ينبو و قالوا قد يهفو الحليم و يجهل العليم .

و منها قوله آخر الشر فإنك إذا شئت تعجلته مثل هذا قولهم فى الأمثال الطفيليه كل إذا وجدت فإنك على الجوع قادر و من الأمثال الحكيمه ابدأ بالحسنه قبل السيئه فلست بمستطيع للحسنه فى كل وقت و أنت على الإساءه متى شئت قادر.

و منها قوله قطيعه الجاهل تعدل صله العاقل هذا حق لأن الجاهل إذا قطعك انتفعت ببعده عنك كما تنتفع بمواصله الصديق العاقل لك و هذا كما يقول المتكلمون عدم المضره كوجود المنفعه و يكاد أن يتنى على هذا قولهم كما أن فعل المفسده قبيح من البارئ فالإخلال باللطف منه أيضا يجب أن يكون قبيحا.

و منها قوله من أمن الزمان خانته و من أعظمه أهانه مثل الكلمه الأولى قول الشاعر و من يأمن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خانته فزوج الأنامل.

و قالوا احذر الدنيا ما استقامت لك و من الأمثال الحكيمه من أمن الزمان ضيع ثغرا مخوفا و مثل الكلمه الثانيه قولهم الدنيا كالأمه اللثيمه المعشوقه كلما ازددت لها عشقا و عليها تهالكا ازدادت إذلالا و عليك شطاطا.

و قال أبو الطيب و هى معشوقه على الغدر لا تحفظ عهدا و لا تتمم وصلا

شيم الغانيات فيها فلا أدري

لذا أنت اسمها الناس أم لا (١).

و منها قوله ليس كل من رمى أصاب هذا معنى مشهور قال أبو الطيب ما كل من طلب المعالي نافذا فيها و لا كل الرجال فحوالا.

و منها قوله إذا تغير السلطان تغير الزمان فى كتب الفرس أن أنوشروان جمع عمال السواد و بيده دره يقبلها فقال أى شىء أضر بارتفاع السواد و أذى إلى محقه أيكم قال ما فى نفسى جعلت هذه الدره فى فيه فقال بعضهم انقطاع الشرب و قال بعضهم احتباس المطر و قال بعضهم استيلاء الجنوب و عدم الشمال فقال لوزيره قل أنت فإنى أظن عقلك يعادل عقول الرعيه كلها أو يزيد عليها قال تغير رأى السلطان فى رعيته و إضممار الحيف لهم و الجور عليهم فقال لله أبوك بهذا العقل أهلك آبائى و أجدادى لما أهلوك له و دفع إليه الدره فجعلها فى فيه .

و منها قوله سل عن الرفيق قبل الطريق و عن الجار قبل الدار و قد روى هذا الكلام مرفوعا و فى المثل جار السوء كلب هارث و أفعى ناهش.

و فى المثل الرفيق إما رحيق أو حريق إياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكا و إن حكيت ذلك عن غيرك

ص: ١٢١

(١-١) ديوانه ١٣٠:٣.

وَإِيَّاكَ وَ مُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْسِنٍ وَ عَزْمُهُنَّ إِلَى وَهْنٍ وَ اكْفُفْ عَلَيْنَهُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ فَإِنَّ شِدَّةَ
الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْنَهُنَّ وَ لَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مِنْ لَّا- يُوثِقُ بِهِ عَلَيْنَهُنَّ وَ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا- يَعْرِفَنَّ غَيْرَكَ فَافْعَلْ وَ لَّا
تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ وَ لَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ وَ لَّا تَعُدُّ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا وَ لَّا تُطْمَعُهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ
لِغَيْرِهَا وَ إِيَّاكَ وَ التَّغَايِيرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ غَيْرِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ وَ الْبَرِيئَةَ إِلَى الرَّيْبِ وَ اجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ
خَدَمِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ فَإِنَّهُ أُخْرَى أَلَّا يَتَوَاكَلُوا فِي خَدَمَتِكَ وَ أَكْرَمُ عَشِيرَتِكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ وَ أَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ
تَصِيرُ وَ يَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ اسْتِئْذِنِ اللَّهَ دِينَكَ وَ دُنْيَاكَ وَ اسْأَلْهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلِ وَ الْأَجَلِ وَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ
السَّلَامُ .

نهاه أن يذكر من الكلام ما كان مضحكا لأن ذلك من شغل أرباب الهزل و البطالة و قل أن يخلو ذلك من غيبه أو سخرية ثم
قال و إن حكيت ذلك عن غيرك فإنه كما يستهجن الابتداء بذلك يستهجن حكايته عن الغير و ذلك كلام فصيح أ لا ترى أنه
لا يجوز الابتداء بكلمه الكفر و يكره أيضا حكايتها

٤٢٨٨

٢- و قال عمر لما نهاه

ص: ١٢٢

أن يحلف بالله فما حلفت به ذاكرا و لا آثرا و لا حاكيا .

و كان يقال من مازح استخف به و من كثر ضحكته قلت هيئته.

فأما مشاوره النساء فإنه من فعل عجزه الرجال قال الفضل بن الربيع أيام الحرب بين الأمين و المأمون في كلام يذكر فيه الأمين و يصفه بالعجز ينام نوم الظربان و ينتبه انتباهه الذئب همه بطنه و لذته فرجه لا يفكر في زوال نعمه و لا يروى في إمضاء رأى و لا مكيدة قد شمر له عبد الله عن ساقه و فوق له أشد سهامه يرميه على بعد الدار بالحتف النافذ و الموت القاصد قد عبي له المنايا على متون الخيل و ناط له البلايا بأسنه الرماح و سفار السيوف فكأنه هو قال هذا الشعر و وصف به نفسه و أخاه يقارع أتراك ابن خاقان ليله

و نحن معه نجرى إلى غايه إن قصرنا عنها ذمنا و إن اجتهدنا في بلوغها انقطعنا و إنما نحن شعب من أصل إن قوى قوينا و إن ضعف ضعفنا إن هذا الرجل قد ألقى بيده إلقاء الأمه الوكعاء يشاور النساء و يعتزم على الرؤيا قد أمكن أهل الخساره و اللهو من سمعه فهم يمنونه الظفر و يعدونه عقب الأيام و الهلاك أسرع إليه من السيل إلى قيعان الرمل.

قوله ع فإن رأيهن إلى أفن الأفن بالسكون النقص و المتأفن

المتنقص يقال فلان يتأفن فلانا أى يتنقصه و يعيبه و من رواه إلى أفن بالتحريك فهو ضعف الرأى أفن الرجل يأفن أفنا أى ضعف رأيه و فى المثل إن الرقين تغطى أفن الأفين (١) و الوهن الضعف .

قوله و اكفف عليهن من أبصارهن من هاهنا زائده و هو مذهب أبى الحسن الأـخفش فى زياده من فى الموجب و يجوز أن يحمل على مذهب سيويه فى معنى به فاكفف عليهن بعض أبصارهن.

ثم ذكر فائده الحجاب و نهاه أن يدخل عليهن من لا يوثق به و قال إن خروجهن أهون من ذلك و ذلك لأن من تلك صفته يتمكن من الخلوه ما لا يتمكن منه من يراهن فى الطرقات.

ثم قال إن استطعت ألا يعرفن غيرك فافعل كان لبعضهم بنت حسناء فحج بها و كان يعصب عينيها و يكشف للناس وجهها فقبل له فى ذلك فقال إنما الحذر من رؤيتها الناس لا من رؤيه الناس لها .

قال و لا تملك المرأه من أمرها ما جاوز نفسها أى لا تدخلها معك فى تدبير و لا مشوره و لا تعددين حال نفسها و ما يصلح شأنها.

فإن المرأه ريحانه و ليست بقهرمانه

أى إنما تصلح للمتعه و اللذه و ليست و كيلا فى مال و لا وزيرا فى رأى .

ثم أكد الوصيه الأولى فقال لا تعد بكرامتها نفسها هذا هو قوله و لا تملكها من أمرها ما جاوز نفسها .

ثم نهاه أن يطمعها فى الشفاعات.

ص: ١٢٤

(١-١) اللسان(أفن،رقن)و الرقين:الدرهم؛سمى بذلك للترقين الذى فيه؛يعنون الخط.

و روى الزبير بن بكار قال كانت الخيزران كثيرا ما تكلم موسى ابنها لما استخلف في الحوائج و كان يجيبها إلى كل ما تسأل حتى مضت أربعه أشهر من خلافته و تتألى الناس عليها و طمعوا فيها فكانت المواكب تغدو إلى بابها و كلمته يوما في أمر فلم يجد إلى إجابتها سيلا و احتج عليها بحجه فقالت لا بد من إجابتي فقال لا أفعل قالت إني قد ضمنت هذه الحاحه لعبد الله بن مالك فغضب موسى و قال ويلى على ابن الفاعله قد علمت أنه صاحبها و الله لا قضيتها لك و لا له قالت و الله لا أسألك حاحه أبدا قال إذن و الله لا أبالي فقامت مغضبه فقال مكانك تستوعبي كلامي و أنا و الله برىء من قرابتي من رسول الله ص لئن بلغني أنه وقف أحد من قوادى و خاصتى و خدمى و كتابى على بابك لأضربن عنقه و أقبضن ماله فمن شاء فليلزم ذلك ما هذه المواكب التى تغدو إلى بابك كل يوم أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك إياك ثم إياك أن تفتحى فاك فى حاحه لملى أو ذمى فانصرفت و ما تعقل ما تطأ عليه و لم تنطق عنده بحلوه و لا مره بعدها حتى هلك.

و أخذ هذه اللفظه منه و هى قوله إن المرأه ریحانه و ليست بقهرمانه الحجاج فقالها للوليد بن عبد الملك روى ابن قتيبه فى كتاب عيون الأخبار قال دخل الحجاج على الوليد بن عبد الملك و عليه درع و عمامه سوداء و فرس عربيه و كنانه و ذلك فى أول قدمه قدمها عليه من العراق فبعثت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان و هى تحت الوليد إليه من هذا الأعرابى المستلثم فى السلاح عندك و أنت فى غلاله فأرسل إليها هذا الحجاج فأعادت إليه الرسول فقال تقول لك و الله لأن يخلو بك ملك الموت فى اليوم أحيانا أحب

إلى من أن يخلو بك الحجاج فأخبره الوليد بذلك و هو يمازحه فقال يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فإنما المرأه ریحانه و لیست بقهرمانه فلا- تطلعها على سرک و مکایده عدوک فلما دخل الولید علیها أخبرها و هو یمازحها بمقاله الحجاج فقالت یا امیر المؤمنین حاجتی أن تأمره غدا أن یأتینی مسلما ففعل ذلك فأتاها الحجاج فحجبتة فلم یزل قائما ثم أذنت له فقالت یا حجاج أنت الممتن علی امیر المؤمنین بقتلک ابن الزبیر و ابن الأشعث أما و الله لو لا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمی الكعبه الحرام و لا یقتل ابن ذات النطاقین أول مولود فی دار هجره الإسلام و أما نهیک امیر المؤمنین عن مفاكهة النساء و بلوغ لذاته و أوطاره فإن کن ینفرجن عن مثلك فما أحقه بالأخذ منك و إن کن ینفرجن عن مثله فهو غیر قابل لقولک أما و الله لقد نقص نساء امیر المؤمنین الطیب من غدائهن فبعنه فی أعطیه أهل الشام حین كنت فی أضیق من قرن قد أظلتک رماحهم و أثخنک كفاحهم و حین كان امیر المؤمنین أحب إلیهم من آبائهم و آبائهم فأنجاک الله من عدو امیر المؤمنین بحبهم إياه قاتل الله القائل حین ینظر إلیک و سنان غزاله بین کتفیک أسد علی و فی الحروب نعامه

قم فاخرج فقام فخرج (1)

ص: ۱۲۶

۱ - ۱) ذکر صاحب الأغانی أن غزاله الحروریه لما دخلت علی الحجاج هی و شیبب بالكوفه تحصن منها، و أغلق علیه قصره؛ فکتب إلیه عمران بن حطان- و قد كان الحجاج لج فی طلبه: أسد علی و فی الحروب نعامه ربداء تجفل من صفر الصافر هلاً برزت إلی غزاله فی الوغی بل كان قلبک فی جناحی طائر صدعت غزاله قلبه بفوارس تکت مدابره کأمس الدابر.

بعض ما قيل فى الغيره من الشعر

فأما قوله ع إياك و التغاير فى غير موضع غيره فقد قيل هذا المعنى قال بعض المحدثين يا أيها الغائر مه لا تغر

و كان مسكين الدارمى أحد من يستهجن الغيره و يستقبح وقوعها فى غير محلها فمن شعره فى هذا المعنى ما أحسن الغيره فى حينها

و قال أيضا ألا أيها الغائر المستشيط

ص: ١٢٧

إذا الله لم يعطه ودها

و قال أيضا و لست امرأ لا أبرح الدهر قاعدا فأما قوله و اجعل لكل إنسان من خدمك عملا تأخذه به فقد قالت الحكماء هذا المعنى قال أبرويز في وصيته لولده شيرويه و انظر إلى كتابك فمن كان منهم ذا ضياع قد أحسن عمارتها فوله الخراج و من كان منهم ذا عبيد قد أحسن سياستهم و تثقيفهم فوله الجند و من كان منهم ذا سرارى و ضرائر قد أحسن القيام عليهن فوله النفقات و القهرمه و هكذا فاصنع في خدم دارك و لا تجعل أمرك فوضى بين خدمك فيفسد عليك ملكك.

و أما قوله فأكرم عشيرتك فإنهم جناحك فقد تقدم منا كلام في وجوب الاعتضاد بالعشائر

اعتزاز الفرزدق بقومه

روى أبو عبيده قال كان الفرزدق لا يمشى بين يدي الخلفاء و الأمراء إلا قاعدا

ص: ١٢٨

فدخل على سليمان بن عبد الملك يوماً فأنشده شعراً فخر فيه بآبائه وقال من جملته تالله ما حملت من ناقه رجلاً مثلي إذا الريح لفتني على الكور (١).

فقال سليمان هذا المدح لى أم لك قال لى و لك يا أمير المؤمنين فغضب سليمان وقال قم فأتهم و لا تنشده بعده إلا قائماً فقال الفرزدق لا- والله أو يسقط إلى الأرض أكثرى شعراً فقال سليمان ويلى على الأحقق ابن الفاعله لا يكنى و ارتفع صوته فسمع الضوضاء بالبواب فقال سليمان ما هذا قيل بنو تميم على الباب قالوا لا ينشد الفرزدق قائماً و أيدينا فى مقابض سيوفنا قال فلينشد قاعدا

وفود الوليد بن جابر على معاويه

و روى أبو عبيد الله محمد بن موسى بن عمران المرزبانى قال كان الوليد بن جابر بن ظالم الطائى ممن وفد على رسول الله ص فأسلم ثم صحب علياً و شهد معه صفين و كان من رجاله المشهورين ثم وفد على معاويه فى الاستقامه (٢) و كان معاويه لا يثبته (٣) معرفه بعينه فدخل عليه فى جملة الناس فلما انتهى إليه استنسبه فانتسب له فقال أنت صاحب ليله الهرير قال نعم قال و الله ما تخلو مسامعى من رجزك تلك الليله و قد علا صوتك أصوات الناس و أنت تقول شدوا فداء لكم أمى و أب

قال نعم أنا قائلها قال فلما ذا قلتها قال لأنا كنا مع رجل لا نعلم خصله

ص: ١٢٩

١-١) من قصيده فى ديوانه ١:٢٦٢-٢٦٧؛ و ذكر فيه أنه مدح بها يزيد بن عبد الملك.

٢-٢) كذا فى الأصول.

٣-٣) كذا فى ١ و هو الصواب، و فى ب: «لا ينسبه».

توجب الخلافه و لا فضيله تصير إلى التقدمه إلا و هي مجموعه له كان أول الناس سلما و أكثرهم علما و أرجحهم حلما فات الجياد فلا يشق غباره يستولى على الأمد فلا يخاف عثاره و أوضح منهج الهدى فلا يبید مناره و سلك القصد فلا تدرس آثاره فلما ابتلانا الله تعالى بافتقاده و حول الأمر إلى من يشاء من عباده دخلنا في جملة المسلمين فلم ننزع يدا عن طاعه و لم نصدع صفاه جماعه على أن لك منا ما ظهر و قلوبنا بيد الله و هو أملك بها منك فاقبل صفونا و أعرض عن كدرنا و لا تثر كوامن الأحقاد فإن النار تقدح بالزناد قال معاويه و إنك لتهددني يا أخا طيئ بأوباش العراق أهل النفاق و معدن الشقاق فقال يا معاويه هم الذين أشرقوك بالريق و حبسوك في المضيق و ذادوك عن سنن الطريق حتى لذت منهم بالمصاحف و دعوت إليها من صدق بها و كذبت و آمن بمنزلها و كفرت و عرف من تأويلها ما أنكرت فغضب معاويه و أدار طرفه فيمن حوله فإذا جلهم من مضر و نفر قليل من اليمن فقال أيها الشقى الخائن إنى لإخال أن هذا آخر كلام تفوه به و كان عفير (١) بن سيف بن ذى يزن بباب معاويه حينئذ فعرف موقف الطائي و مراد معاويه فخافه عليه فهجم عليهم الدار و أقبل على اليمانيه فقال شأهت الوجوه ذلا و قلا و جدعا و فلا كشم الله هذه الأنف كشما (٢) مرعبا ثم التفت إلى معاويه فقال إنى و الله يا معاويه ما أقول قولى هذا حبا لأهل العراق و لا جنوحا إليهم و لكن الحفيظه تذهب الغضب لقد رأيتك بالأمس خاطبت أخا ربيعه يعنى صعصعه بن صوحان و هو أعظم جرما عندك من هذا و أنكأ (٣) لقلبك و أقدح فى صفاتك و أجد فى عداوتك و أشد انتصارا فى حربك ثم أثبتة و سرحته و أنت الآن مجمع على قتل هذا زعمت استصغارا لجماعتنا فإننا لا نمر و لا نحلى و لعمرى لو و كلتك أبناء قحطان إلى قومك لكان جدك العاثر و ذكرك الداثر

ص: ١٣٠

١-١) ا: «عفيره».

٢-٢) ب: «كشم» تحريف صوابه من ا، و كشم الأنف: استأصله قطعاً.

٣-٣) كذا فى ا. و فى ب: «و إذكاء».

و حدك المفلول و عرشك المثلول فاربع على ظلعك (١) و اطونا على بلالتنا (٢) ليسهل لك حزننا و يتطامن لك شاردنا فإننا لا- نرام بوقع الضيم و لا- نتلمظ جرع الخسف و لا- نغمز بغماز الفتن و لا- نذر على الغضب فقال معاويه الغضب شيطان فاربع نفسك أيها الإنسان فإننا لم نأت إلى صاحبك مكروها و لم نرتكب منه مغبصبا و لم ننتهك منه محرما فدونكه فإنه لم يضق عنه حلمنا و يسع غيره فأخذ عفير بيد الوليد و خرج به إلى منزله و قال له و الله لتثوبن بأكثر مما آب به معدى من معاويه و جمع من بدمشق من اليمانيه و فرض على كل رجل دينارين فى عطائه فبلغت أربعين ألفا فتعجلها من بيت المال و دفعها إلى الوليد و رده إلى العراق

ص: ١٣١

١-١) اربع على ظلعك، أى توقف.

٢-٢) اطونا على بلالتنا؛ أى احتملنا على ما فينا من إساءه.

وَأَرْدَيْتَ جَيْلًا مِّنَ النَّاسِ كَثِيرًا خَدَعْتَهُمْ بِعَيْكَ وَ أَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجٍ بَحْرِكَ تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ وَ تَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ [فَجَارُوا]

فَجَارُوا عَنْ وَجْهِتِهِمْ وَ نَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ وَ تَوَلَّوْا عَلَى أَدْيَارِهِمْ وَ عَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ إِلَّا مَن فَاءَ مِنْ أَهْلِ البَصَائِرِ فَبِأَنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ وَ هَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ مُوَازَرَتِكَ إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ وَ عَيَّدْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصِيدِ فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةَ فِي نَفْسِكَ وَ جَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ وَ الْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ وَ السَّلَامُ .

أرديتهم أهلكتهم و جيلا من الناس أى صنفا من الناس و الغى الضلال و جاروا عدلوا عن القصد و وجهتهم بكسر الواو يقال هذا وجه الرأى أى هو الرأى بنفسه و الاسم الوجه بالكسر و يجوز بالضم.

قوله و عولوا على أحسابهم أى لم يعتمدوا على الدين و إنما أردتهم الحميه و نخوه الجاهليه فأخلدوا إليها و تركوا الدين و الإشاره إلى بنى أميه و خلفائهم الذين اتهموه ع بدم عثمان فحاموا عن الحسب و لم يأخذوا بموجب الشرع فى تلك الوقعه

ثم استثنى قوما فاءوا أى رجعوا عن نصره معاويه و قد ذكرنا فى أخبار صفين من فارق معاويه و رجع إلى أمير المؤمنين ع أو فارقه و اعتزل الطائفتين .

قوله حملتهم على الصعب أى على الأمر الشاق و الأصل فى ذلك البعير المستصعب يركبه الإنسان فيغرر بنفسه

ذكر بعض ما دار بين على و معاويه من الكتب

٤٢٨٩

١- و أول هذا الكتاب من عبد الله على أمير المؤمنين ع إلى معاويه بن أبى سفيان أما بعد فإن الدنيا دار تجاره و ربحها أو خسرها الآخرة فالسعيد من كانت بضاعته فيها الأعمال الصالحة و من رأى الدنيا بعينها و قدرها بقدرها و إنى لأعظك مع علمى بسابق العلم فيك مما لا مرد له دون نفاذه و لكن الله تعالى أخذ على العلماء أن يؤدوا الأمانه و أن ينصحوا الغوى و الرشيد فاتق الله و لا- تكن ممن لا يرجو الله وقارا و من حقت عليه كلمه العذاب فإن الله بالمرصاد و إن دنياك ستدير عنك و ستعود حسره عليك فاقلع عما أنت عليه من الغى و الضلال على كبر سنك و فناء عمرك فإن حالك اليوم كحال الثوب المهيل الذى لا يصلح من جانب إلا فسد من آخر و قد أردت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك إلى آخر الكتاب.

قال أبو الحسن على بن محمد المدائنى فكتب إليه معاويه من معاويه بن أبى سفيان إلى على بن أبى طالب أما بعد فقد وقفت على كتابك و قد أبيت على الفتن إلا تماديا و إنى لعالم أن الذى يدعوك إلى ذلك مصرعك الذى

ص: ١٣٣

لا بد لك منه و إن كنت مواثلا فازدد غيا إلى غيك فطالما خف عقلك و منيت نفسك ما ليس لك و التويت على من هو خير منك ثم كانت العاقبه لغيرك و احتملت الوزر بما أحاط بك من خطيئتك و السلام.

فكتب على ع إليه أما بعد فإن ما أتيت به من ضلالك ليس ببعيد الشبه مما أتى به أهلك و قومك الذين حملهم الكفر و تمنى الأباطيل على حسد محمد ص حتى صرعوا مصارعهم حيث علمت لم يمنعوا حريما و لم يدفعوا عظيما و أنا صاحبهم فى تلك المواطن الصالى بحربهم و الفال لحدهم و القاتل لرهوسهم و رءوس الضلاله و المتبع إن شاء الله خلفهم بسلفهم فبئس الخلف خلف أتبع سلفا محله و محطه النار و السلام.

قال فكتب إليه معاويه أما بعد فقد طال فى الغى ما استمررت أدراجك كما طالما تمادى عن الحرب نكوصك و إبطائك فتوعد وعيد الأسد و تروغ روغان الثعلب فحتام تحيد عن لقاء مباشره الليوث الضاربه و الأفاعى القاتله و لا تستبعدنها فكل ما هو آت قريب إن شاء الله و السلام.

قال فكتب إليه على ع أما بعد فما أعجب ما يأتينى منك و ما أعلمنى بما أنت إليه صائر و ليس إبطائى عنك إلا ترقبا لما أنت له مكذب و أنا به مصدق و كأنى بك غدا و أنت تضحج من الحرب ضجيج الجمال من الأثقال و ستدعونى أنت و أصحابك إلى كتاب تعظمونه بألستكم و تجحدونه بقلوبكم و السلام.

قال فكتب إليه معاويه

ص: ١٣٤

أما بعد فدعني من أساطيرك و اكفف عني من أحاديثك و اقصر عن تقولك على رسول الله ص و افترائك من الكذب ما لم يقل و غرور من معك و الخداع لهم فقد استغويتهم و يوشك أمرك أن ينكشف لهم فيعتزلوك و يعلموا أن ما جئت به باطل مضمحل و السلام.

قال فكتب إليه على ع أما بعد فطالما دعوت أنت و أولياؤك أولياء الشيطان الرحيم الحق (1) أساطير الأولين و نبذتموه وراء ظهوركم و جهدتم بإطفاء نور الله بأيديكم و أفواهمك و الله مَبِينٌ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ و لعمرى لیتمن النور على كرهك و لينفذن العلم بصغارك و لتجازين بعملك فعث في دنياك المنقطعه عنك ما طاب لك فكأنك بباطلك و قد انقضى و بعملك و قد هوى ثم تصير إلى لظى لم يظلمك الله شيئا و مَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ .

قال فكتب إليه معاويه أما بعد فما أعظم الرين على قلبك و الغطاء على بصرك الشره من شيمتك و الحسد من خليقتك فشمم للحرب و اصبر للضرب فو الله ليرجعن الأمر إلى ما علمت و الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ هيهات هيهات أخطأك ما تمنى و هوى قلبك مع من هوى فاربع على ظلعك و قس شبرك بفترك لتعلم أين حالك من حال من يزن الجبال حلمه و يفصل بين أهل الشك علمه و السلام.

قال فكتب إليه على ع أما بعد فإن مساوئك مع علم الله تعالى فيك حالت بينك و بين أن يصلح لك أمرك و أن يرعوى قلبك يا ابن الصخر اللعين زعمت أن يزن الجبال حلمك و يفصل بين أهل الشك علمك و أنت الجلف المنافق الأغلف القلب القليل العقل الجبان الرذل فإن كنت صادقا فيما تسطر و يعينك عليه أخو بني سهم فدع الناس جانبا و تيسر لما دعوتني إليه من الحرب و الصبر على

ص: ١٣٥

(١-١) كذا في ا،و في ب:«للحق».

الضرب و أعف الفريقين من القتال ليعلم أين المرين على قلبه المغطى على بصره فأنا أبو الحسن قاتل جدك و أخيك و خالك
و ما أنت منهم ببعيد و السلام

قلت و أعجب و أطرب ما جاء به الدهر و إن كانت عجائبه و بدائعه جمه أن يفضى أمر على ع إلى أن يصير معاويه ندا له و
نظيرا مماثلا- يتعارضان الكتاب و الجواب و يتساويان فيما يواجه به أحدهما صاحبه و لا يقول له على ع كلمه إلا قال مثلها و
أحسن مسا منها فليت محمدا ص كان شاهد ذلك ليرى عيانا لا خبرا أن الدعوه التي قام بها و قاسى أعظم المشاق فى تحملها و
كابد الأهوال فى الذب عنها و ضرب بالسيوف عليها لتأييد دولتها و شيد أركانها و ملأ الآفاق بها خلصت صفوا عفوا لأعدائه
الذين كذبوه لما دعا إليها و أخرجوه عن أوطانه لما حض عليها و أدموا وجهه و قتلوا عمه و أهله فكأنه كان يسعى لهم و يدأب
لراحتهم كما قال أبو سفيان فى أيام عثمان و قد مر بقبر حمزه و ضربه برجله و قال يا أبا عماره إن الأمر الذى اجتلدنا عليه
بالسيف أمسى فى يد غلماننا اليوم يتلعبون به ثم آل الأمر إلى أن يفاخر معاويه عليا كما يتفاخر الأكفاء و النظراء.

إذا عير الطائى بالبخل مادر

ثم أقول ثانيا لأمير المؤمنين ع ليت شعرى لما ذا فتح باب الكتاب

ص: ١٣٦

و الجواب بينه و بين معاويه و إذا كانت الضروره قد قادت إلى ذلك فهلا اقتصر في الكتاب إليه على الموعظه من غير تعرض للمفاخره و المنافره و إذا كان لا بد منهما فهلا اكتفى بهما من غير تعرض لأمر آخر يوجب المقابله و المعارضه بمثله و بأشد منه **وَلَا تَسْتَبُؤُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْتَبُؤُوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ (١)** و هلا دفع هذا الرجل العظيم الجليل نفسه عن سباب هذا السفیه الأحمق هذا مع أنه القائل من واجه الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون أى افتروا عليه و قالوا فيه الباطل.

أيها الشاتمی لتحسب مثلی

و هكذا جرى في القنوت و اللعن قنت بالكوفه على معاويه و لعنه في الصلاه و خطبه الجمعة و أضاف إليه عمرو بن العاص و أبا موسى و أبا الأعور السلمی و حبيب بن مسلمه فبلغ ذلك معاويه بالشام فقنت عليه و لعنه بالصلاه و خطبه الجمعة و أضاف إليه الحسن و الحسين و ابن عباس و الأشر النخعی و لعله ع قد كان يظهر له من المصلحه حينئذ ما يغيب عنا الآن و لله أمر هو بالغه

ص: ١٣٧

(١-١) سورة الأنعام ١٠٨.

أَمَا بَعِيدُ فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يُعَلِّمُنِي أَنَّهُ وَجَّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ أَنْاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الْعُمِّيِّ الْقَلْبُوبِ الصُّمِّ الْأَسِيمِاعِ الْكُفْمِ
الْأَبْصَارِ الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَاهًا بِالْدِّينِ وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِأَجْلِ
الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ وَ لَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ وَ لَا يُجْزَى جِزَاءَ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ فَأَقِمْ عَلَيَّ مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ [الطَّيِّبِ]

الْصَّلِيبِ وَ النَّاصِحِ اللَّيِّبِ التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ وَ إِيَّاكَ وَ مَا يُعْتَدِرُ مِنْهُ وَ لَا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطْرًا وَ لَا عِنْدَ الْبُؤْسَاءِ فَشًّا وَ
السَّلَامُ .

كان معاويه قد بعث إلى مكة دعاه في السر يدعون إلى طاعته و يشبطون العرب عن نصره أمير المؤمنين و يوقعون في أنفسهم أنه
إما قاتل لعثمان أو خاذل و إن الخلافة

لا تصلح فيمن قتل أو خذل و ينشرون عندهم محاسن معاويه بزعمهم و أخلاقه و سيرته فكتب أمير المؤمنين ع هذا الكتاب إلى عامله بمكة ينبهه على ذلك ليعتمد فيه بما تقتضيه السياسه و لم يصرح في هذا الكتاب بما ذا يأمره أن يفعل إذا ظفر بهم.

قوله عيني بالمغرب أى أصحاب أخباره عند معاويه و سمى الشام مغرباً لأنه من الأقاليم المغربيه.

و الموسم الأيام التى يقام فيها الحج .

و قوله و يحتلبون الدنيا درها بالدين دلالة على ما قلنا إنهم كانوا دعاه يظهرون سمت الدين و ناموس العباده و فيه إبطال قول من ظن أن المراد بذلك السرايا التى كان معاويه يبعثها فتغير على أعمال على ع و درها منصوب بالبدل من الدنيا و روى الذين يلتمسون الحق بالباطل أى يطلبونه أى يتبعون معاويه و هو على الباطل التماسا و طلبا للحق و لا يعلمون أنهم قد ضلوا .

قوله و إياك و ما يعتذر منه من الكلمات الشريفه الجليله الموقع و قد رويت مرفوعه و كان يقال ما شىء أشد على الإنسان من حمل المروءه و المروءه ألا يعمل الإنسان فى غيبه صاحبه ما يعتذر منه عند حضوره.

قوله و لا تكن عند النعماء بطرا و لا عند البأساء فشلا معنى مستعمل قال الشاعر فلست بمفراح إذا الدهر سرنى

فأما قثم بن العباس فأمه أم إخوته و روى ابن عبد البر فى كتاب الاستيعاب

٤٢٩٠

١٤- عن عبد الله بن جعفر قال كنت أنا و عبيد الله و قثم ابنا العباس نلعب فمر بنا رسول الله ص راكبا فقال ارفعوا إلى هذا الفتى يعنى قثم فرفع إليه فأردفه خلفه ثم جعلنى بين يديه و دعا لنا فاستشهد قثم بسمرقند .

٤٢٩١

قال ابن عبد البر و روى عبد الله بن عباس قال كان قثم آخر الناس عهدا برسول الله ص أى آخر من خرج من قبره ممن نزل فيه قال و كان المغيرة بن شعبه يدعى ذلك لنفسه فأنكر على بن أبى طالب ع ذلك و قال بل آخر من خرج من القبر قثم بن العباس .

٤٢٩٢

١- قال ابن عبد البر و كان قثم واليا لعلى ع على مكة عزل على ع خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومى و كان واليها لعثمان و ولاها أبا قتاده الأنصارى ثم عزله عنها و ولى مكانه قثم بن العباس فلم يزل واليه عليها حتى قتل على ع .

قال هذا قول خليفه (١)

٤٢٩٣

١- و قال الزبير بن بكار استعمل على ع قثم بن العباس على المدينة .

قال ابن عبد البر و استشهد قثم بسمرقند كان خرج إليها مع سعيد بن عثمان بن عفان زمن معاوية فقتل هناك (٢) .

قال و كان قثم يشبه رسول الله ص و فيه يقول داود بن مسلم (٣)

ص : ١٤٠

١- ١) الاستيعاب ٥٥١-٥٥٢.

٢- ٢) هو خليفه بن خياط الشيبانى المعروف بشباب؛محدث نسابه.و انظر طبقات الحفاظ ٢:٢١.

٣- ٣) فى الاستيعاب:«سليم».

عتقت من حل و من رحله

ص: ١٤١

لما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر ثم توفى الأشتر في توجهه إلى هناك قبل وصوله إليها أمّا بعد فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عمليك وإني لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهد ولا ازدياداً لك في الجدد ولو نزعنا ما تحت يدك من سلطانك لو ليبتك ما هو أيسر عليك مؤونه وأعجب إليك ولأيه إن الرجل الذي كنت ولئيه أمر مصر كان رجلاً لنا ناصحاً و لمي عيودنا شديداً ناصحاً فرحمه الله فلقد استكمل أيامه و لافى حمامه و نحن عنه راضون أولاه الله رضوانه و ضاعف الثواب له فأصبر جزعاً و أمض على بصيرة ترك و شمر لحرب من حاربك و ادع إلى سبيل ربك و أكثر الاستعانة بالله يكفك ما أهمك و يعينك على ما ينزل بك إن شاء الله.

محمد بن أبي بكر و بعض أخباره

أم محمد رحمه الله أسماء بنت عميس الخثعمية و هي أخت ميمونه زوج النبي ص

و أخت لبابه أم الفضل و عبد الله زوج العباس بن عبد المطلب و كانت من المهاجرات إلى أرض الحبشه و هى إذ ذاك تحت جعفر بن أبى طالب ع فولدت له هناك محمد بن جعفر و عبد الله و عوناً ثم هاجرت معه إلى المدينه فلما قتل جعفر يوم مؤتته تزوجها أبو بكر فولدت له محمد بن أبى بكر هذا ثم مات عنها فتزوجها على ع و ولدت له يحيى بن على لا خلاف فى ذلك.

و قال ابن عبد البر فى الإستيعاب ذكر ابن الكلبي أن عون بن على اسم أمه أسماء بنت عميس و لم يقل ذلك أحد غيره.

و قد روى أن أسماء كانت تحت حمزه بن عبد المطلب فولدت له بنتا تسمى أمه الله و قيل أمامه و محمد بن أبى بكر ممن ولد فى عصر رسول الله ص .

قال ابن عبد البر فى كتاب الإستيعاب ولد عام حجه الوداع فى عقب ذى القعدة بذى الحليفه حين توجه رسول الله ص إلى الحج فسمته عائشه محمداً و كنته أبا القاسم بعد ذلك لما ولد له ولد سماه القاسم و لم تكن الصحابه ترى بذلك بأساً ثم كان فى حجر على ع و قتل بمصر و كان على ع يثنى عليه و يقرظه و يفضله و كان لمحمد رحمه الله عباده و اجتهاد و كان ممن حضر عثمان و دخل عليه فقال له لو رآك أبوك لم يسره هذا المقام منك فخرج و تركه و دخل عليه بعده من قتله و يقال إنه أشار إلى من كان معه فقتلوه (١).

قوله و بلغنى موجدتك أى غضبك وجدت على فلان موجه و وجدانا لغه قليله و أنشدوا كلانا رد صاحبه بغيظ على حتى و وجدان شديد (٢) .

ص: ١٤٣

١-١) الاستيعاب ٢٤٢.

٢-٢) لصخر الغي؛ اللسان، الصحاح (وجد).

فأما فى الحزن فلا يقال إلا وجدت أنا بالفتح لا غير.

و الجهد الطاقه أى لم أستبطنك فى بذل طاقتك و وسعك و من رواها الجهد بالفتح فهو من قولهم اجهد جهدك فى كذا أى أبلغ الغايه و لا يقال هذا الحرف هاهنا إلا مفتوحا.

ثم طيب ع نفسه بأن قال له لو تم الأمر الذى شرعت فيه من ولايه الأشر مصر لعوضتك بما هو أخف عليك مئونه و ثقلا و أقل نصبا من ولايه مصر لأنه كان فى مصر بإزاء معاويه من الشام و هو مدفوع إلى حربيه.

ثم أكد ع ترغيبه بقوله و أعجب إليك ولايه .

فإن قلت ما الذى بيده مما هو أخف على محمد مئونه و أعجب إليه من ولايه مصر قلت ملك الإسلام كله كان بيد على ع إلا الشام فيجوز أن يكون قد كان فى عزمه أن يوليه اليمن أو خراسان أو أرمينيه أو فارس .

ثم أخذ فى الثناء على الأشر و كان على ع شديد الاعتضاد به كما كان هو شديد التحقق بولايته و طاعته.

و ناقما من نقت على فلان كذا إذا أنكرته عليه و كرهته منه.

ثم دعا له بالرضوان و لست أشك بأن الأشر بهذه الدعوه يغفر الله له و يكفر ذنوبه و يدخله الجنه و لا فرق عندى بينها و بين دعوه رسول الله ص و يا طوبى لمن حصل له من على ع بعض هذا .

قوله و أصحر لعدوك أى ابرز له و لا تستتر عنه بالمدينه التى أنت فيها أصحر الأسد من خيسه إذا خرج إلى الصحراء.

و شمر

فلان للحرب إذا أخذ لها أهبتها

ص: ١٤٤

٣٥ و من كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَصِيرَ قَدِ افْتِتَحَتْ وَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ اسْتَشْهِدَ فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ وَ لَدَا نَاصِحًا وَ عَامِلًا كَادِحًا وَ سَيِّفًا قَاطِعًا وَ رُكْنًا دَافِعًا وَ قَدْ كُنْتُ حَشْتُ النَّاسِ عَلَى لِحَاقِهِ وَ أَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ وَ دَعَوْتُهُمْ سِرًّا وَ جَهْرًا وَ عَوْدًا وَ بِيَدَاءَ فَمِنْهُمْ الْآتِي كَارِهًا وَ مِنْهُمْ الْمُعْتَلُّ كَاذِبًا وَ مِنْهُمْ الْقَاعِمُ خَاذِلًا- أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجًا عَاجِلًا فَوَاللَّهِ لَوْ لَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ وَ تَوَطُّبِي نَفْسِي عَلَى الْمَيِّتِ لِأَحْبَبْتُ أَلَّا [أَبْقَى]

أَلْتَقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْمًا وَاحِدًا وَ لَا أَلْتَقَى بِهِمْ أَبَدًا .

انظر إلى الفصاحة كيف تعطى هذا الرجل قيادها و تملكه زمامها و اعجب لهذه الألفاظ المنصوبه يتلو بعضها بعضا كيف تواتيه و تطاوعه سلسه سهله تتدفق من غير تعسف و لا تكلف حتى انتهى إلى آخر الفصل فقال يوما واحدا و لا ألتقى بهم أبدا و أنت و غيرك من الفصحاء إذا شرعوا في كتاب أو خطبه جاءت القرائن و الفواصل

تاره مرفوعه و تاره مجروره و تاره منصوبه فإن أرادوا قسرها بإعراب واحد ظهر منها فى التكلف أثر بين و علامه واضحه و هذا الصنف من البيان أحد أنواع الإعجاز فى القرآن ذكره عبد القاهر قال انظر إلى سورة النساء و بعدها سورة المائدة الأولى منصوبه الفواصل و الثانيه ليس فيها منصوب أصلا و لو مزجت إحدى السورتين بالأخرى لم تمتزجا و ظهر أثر التركيب و التأليف بينهما.

ثم إن فواصل كل واحد منهما تنساق سياقه بمقتضى البيان الطبيعى لا الصناعه التكلفيه ثم انظر إلى الصفات و الموصوفات فى هذا الفصل كيف قال ولدا ناصحا و عاملا كادحا و سيفا قاطعا و ركنا دافعا لو قال ولدا كادحا و عاملا ناصحا و كذلك ما بعده لما كان صوابا و لا فى الموقع واقعا فسبحان من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسه و الخصائص الشريفه أن يكون غلام من أبناء عرب مكه ينشأ بين أهله لم يخالط الحكماء و خرج أعرف بالحكمه و دقائق العلوم الإلهيه من أفلاطون و أرسطو و لم يعاشر أرباب الحكم الخلقيه و الآداب النفسانيه لأن قريشا لم يكن أحد منهم مشهورا بمثل ذلك و خرج أعرف بهذا الباب من سقراط و لم يرب بين الشجعان لأن أهل مكه كانوا ذوى تجاره و لم يكونوا ذوى حرب و خرج أشجع من كل بشر مشى على الأرض قيل لخلف الأحمر أيما أشجع عنبسه و بسطام أم على بن أبى طالب فقال إنما يذكر عنبسه و بسطام مع البشر و الناس لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة فليل له فعلى كل حال قال و الله لو صاح فى وجوههما لماتا قبل أن يحمل عليهما و خرج أفصح من سحبان و قس و لم تكن قريش بأفصح العرب كان غيرها أفصح منها قالوا أفصح العرب جرهم و إن لم تكن لهم نباهه و خرج أزهد الناس فى الدنيا و أعفهم مع أن قريشا ذوو حرص و محبه للدنيا و لا غرو فيمن كان

محمد ص مرييه و مخرجه و العنايه الإلهيه تمده و ترفده أن يكون منه ما كان.

يقال احتسب ولده إذا مات كبيرا و افترط ولده إذا مات صغيرا قوله فمنهم الآتى قسم جنده أقساما فمنهم من أجابه و خرج كارها للخروج كما قال تعالى كَأَنَّمَا يَسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ (١) و منهم من قعد و اعتل بعله كاذبه كما قال تعالى يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَ مَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (٢) و منهم من تأخر و صرح بالعودة و الخذلان كما قال تعالى فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَ كَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (٣) و المعنى أن حاله كانت مناسبة لحال النبي ص و من تذكر أحوالهما و سيرتهما و ما جرى لهما إلى أن قبضا علم تحقيق ذلك .

ثم أقسم أنه لو لا طمعه فى الشهاده لما أقام مع أهل العراق و لا أصحابهم.

فإن قلت فهلا- خرج إلى معاويه وحده من غير جيش إن كان يريد الشهاده قلت ذلك لا يجوز لأنه إلقاء النفس إلى التهلكه و للشهاده شروط متى فقدت فلا يجوز أن تحمل إحدى الحالتين على الأخرى

ص: ١٤٧

١-١) سورة الأنفال ٦.

٢-٢) سورة الأحزاب ١٣.

٣-٣) سورة التوبه ٨١.

٣٦ و من كتاب له ع إلى أخيه عقيل بن أبي طالب في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء

و هو جواب كتاب كتبه إليه عقيل فسرحته إليه جيشاً كثيراً من المسلمين فلما بلغه ذلك شمر هارباً و نكص نادماً فلحقوه ببغض الطريق و قد طفلت الشمس للأياب فاقتتلوا شيئاً كلاً و لا فما كان إلا كموقف ساعه حتى نجا جريصاً بعد ما أخذ منه بالمخنق و لم يبق معه]

منه غير الرمي فلأياً بلأياً ما نجا فدع عنك قریشاً و تزكاهم في الضلال و تجوالهم في الشقاق و جماعهم في التيه فإنهم قد أجمعوا على حربي كاجماعهم على حرب رسول الله ص قبلي فجزت قریشاً عنى الجوازي فقد قطعوا رحمي و سلبوني سلطان ابن أُمي و أمأ ما سألت عنه من رأيي في القتال فإن رأيي قتال المحلين حتى ألقى الله لا- يزيدني كثرة الناس حولي عزه و لا تفرقهم عنى وحشه و لا تحسب بن ابن أبيك و لو أسلمه الناس متضرراً متخشعاً و لا مقرراً للضميم واهناً و لا سلس الزمام للقائد و لا وطى الظهر للراكب [المقتعد]

المتقعد و لكننه كما قال أخو بني سليم فإن تسأليني كيف أنت فإنني

قد تقدم ذكر هذا الكتاب فى اقتصاصنا ذكر حال بسر بن أرطاه و غارته على اليمن فى أول الكتاب .

و يقال طفلت الشمس بالتشديد إذا مالت للغروب و طفل الليل مشددا أيضا إذا أقبل ظلامه و الطفل بالتحريك بعد العصر حين تطفل الشمس للغروب و يقال أتيته طفلى أى فى ذلك الوقت.

و قوله ع للإياب أى للرجوع أى ما كانت عليه فى الليله التى قبلها يعنى غيبوبتها تحت الأرض و هذا الخطاب إنما هو على قدر أفهام العرب كانوا يعتقدون أن الشمس منزلها و مقرها تحت الأرض و أنها تخرج كل يوم فتسير على العالم ثم تعود إلى منزلها فتأوى إليه كما يأوى الناس ليلا إلى منازلهم.

و قال الراوندى عند الإياب عند الزوال و هذا غير صحيح لأن ذلك الوقت لا يسمى طفلا ليقال إن الشمس قد طفلت فيه.

قوله ع فاقتلوا شيئا كلا- و لا- أى شيئا قليلا و موضع كلا و لا نصب لأنه صفة شيئا و هى كلمه تقال لما يستقصر وقته جدا و المعروف عند أهل اللغة كلا و ذا قال ابن هانئ المغربى و أسرع فى العين من لحظه و أقصر فى السمع من لا و ذا.

و فى شعر الكميت كلا و كذا تغميضة (1).

و قد رويت فى نهج البلاغه كذلك إلا- أن فى أكثر النسخ كلا- و لا- و من الناس من يرويه كلا و لات و هى حرف أجرى مجرى ليس و لا تجيء

ص: ١٤٩

١-١) البيت بتمامه: كلا و كذا تغميضة ثم هجتم لدى حين أن كانوا إلى النوم أفقرا. .

حين إلا أن تحذف فى شعر و من الرواه من يرويها كلا و لأى و لأى فعل معناه أبطأ .

قوله ع نجا جريضا أى قد غص بالريق من شده الجهد و الكرب يقال جرض بريقه يجرض بالكسر مثال كسر يكسر و رجل جريض مثل قدر يقدر فهو قدير و يجوز أن يريد بقوله فنجا جريضا أى ذا جريض و الجريض الغصه نفسها و فى المثل حال الجريض دون القريض قال الشاعر كان الفتى لم يغن فى الناس ليله إذا اختلف اللحيان عند الجريض (١).

قال الأصمعى و يقال هو يجرض بنفسه أى يكاد يموت و منه قول امرئ القيس و أفلتهن علباء جريضا و لو أدركته صفر الوطاب (٢).

و أجرضه الله بريقه أغصه.

قوله ع بعد ما أخذ منه بالمخنق هو موضع الخنق من الحيوان و كذلك الخناق بالضم يقال أخذ بخناقه فأما الخناق بالكسر فالجبل تخنق به الشاه و الرmq بقيه الروح.

قوله ع فلأيا بلأى ما نجا أى بعد بطاء و شده و ما زائده أو مصدرية و انتصب لأيا على المصدر القائم مقام الحال أى نجا مبطاء و العامل فى المصدر محذوف أى أبطأ بطاء و الفائدة فى تكرير اللفظه المبالغه فى وصف البطء الذى نجا موصوفه به أى لأيا مقرونا بلأى

ص : ١٥٠

١- ١) لامرئ القيس، ديوانه ديوانه ٧٧.

٢- ٢) ١٣٨.

وقال الراوندى هذه القصه و هذا الهارب جريضا و بعد لأى ما نجا هو معاويه قال و قد قيل إن معاويه بعث أمويا فهرب على هذه الحال و الأول أصح و هذا عجيب مضحك وددت له ألا يكون شرح هذا الكتاب .

قوله فدع عنك قريشا إلى قوله على حرب رسول الله ص هذا الكلام حق فإن قريشا اجتمعت على حربته منذ يوم بويع بغضا له و حسدا و حقدًا عليه فأصفقوا كلهم يدا واحده على شقاقه و حربته كما كانت حالهم فى ابتداء الإسلام مع رسول الله ص لم تخرم حاله من حاله أبدا إلا أن ذاك عصمه الله من القتل فمات موتا طبيعيا و هذا اغتاله إنسان فقتله.

قوله فجزت قريشا عنى الجوازي فقد قطعوا رحمى و سلبنى سلطان ابن أمى هذه كلمه تجرى مجرى المثل تقول لمن يسىء إليك و تدعو عليه جزتك عنى الجوازي يقال جزاه الله بما صنع و جزاه الله بما صنع و مصدر الأول جزاء و الثانى مجازاه و أصل الكلمه أن الجوازي جمع جازيه كالجوارى جمع جازيه فكأنه يقول جزت قريشا عنى بما صنعت لى كل خصله من نكبه أو شده أو مصيبه أو جائحه أى جعل الله هذه الدواهى كلها جزاء قريش بما صنعت بى و سلطان ابن أمى يعنى به الخلافه و ابن أمه هو رسول الله ص لأنهما ابنا فاطمه بنت عمرو بن عمران بن عائذ بن مخزوم أم عبد الله و أبى طالب و لم يقل سلطان ابن أبى لأن غير أبى طالب من الأعمام يشركه فى النسب إلى عبد المطلب .

قال الراوندى الجوازي جمع جازيه و هى النفس التى تجزى أى جزاهم و فعل بهم ما يستحقون عساكر لأجلى و فى نيابتي و كافأهم سريه تنهض إليهم و هذا إشاره إلى بنى أميه يهلكون من بعده و هذا تفسير غريب طريف.

وقال أيضا قوله سلطان ابن أمى يعنى نفسه أى سلطانه لأنه ابن أم نفسه قال و هذا من أحسن الكلام و لا شبهه أنه على تفسير الراوندى لو قال و سلبونى سلطان ابن أخت خالتى أو ابن أخت عمى لكان أحسن و أحسن و هذا الرجل قد كان يجب أن يحجر عليه و لا يمكن من تفسير هذا الكتاب و يؤخذ عليه أيمان البيعه ألا يتعرض له .

قوله فإن رأى قتال المحلين أى الخارجين من الميثاق و البيعه يعنى البغاه و مخالفى الإمام و يقال لكل من خرج من إسلام أو حارب فى الحرم أو فى الأشهر الحرم محل و على هذا فسر قول زهير و كم بالقنان من محل و محرم (1).

أى من لا- ذمه له و من له ذمه و كذلك قول خالد بن يزيد بن معاويه فى زوجته رمله بنت الزبير بن العوام ألا من لقلب معنى غزل يحب المحله أخت المحل.

أى ناقضه العهد أخت المحارب فى الحرم أو أخت ناقض بيعه بنى أميه و روى متخضعا متضرعا بالضاد.

و مقرا للظيم و بالظيم أى هو راض به صابر عليه و واهنا أى ضعيفا.

السلس السهل و مقتعد البعير راكبه .

و الشعر ينسب إلى العباس بن مرداس السلمى و لم أجده فى ديوانه و معناه ظاهر و فى الأمثال الحكيمه لا تشكون حالك إلى مخلوق مثلك فإنه إن كان صديقا أحزنته و إن كان عدوا أشمته و لا خير فى واحد من الأمرين

ص: ١٥٢

١- ١) ديوانه ١١ و صدره: *جعلنا القنان عن يمين و حزنه* . .

فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُتَبَدِّعَةِ وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبِعَةِ مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَأَطْرَاحِ الْوَثَائِقِ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ [تَعَالَى]

طَلَبَهُ وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ فَأَمَّا إِكْتَارُكَ الْحِجَاخِ عَلَى عُثْمَانَ وَقَتْلَتِهِ فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصِيرُ لَكَ وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ وَالسَّلَامُ .

أول هذا الكتاب

٤٢٩٤

١- قوله أما بعد فإن الدنيا حلوه خضره ذات زينه و بهجه لم يصب إليها أحد إلا و شغلته بزيتها عما هو أنفع له منها و بالآخره أمرنا و عليها حثنا فدع يا معاوية ما يفنى و اعمل لما يبقى و احذر الموت الذى إليه مصيرك و الحساب الذى إليه عاقبتك و اعلم أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيرا حال بينه و بين ما يكره و وفقه لطاعته و إذا أراد الله بعبد سوءا أغراه بالدنيا و أنساه الآخره و بسط له أمله و عاقه عما فيه صلاحه و قد وصلنى كتابك فوجدتك ترمى غير غرضك و تنشد غير ضالتك و تخطب فى عمايه

ص: ١٥٣

و تتيه في ضلاله و تعتصم بغير حجه و تلوذ بأضعف شبهه فأما سؤالك المتاركة و الإقرار لك على الشام فلو كنت فاعلا ذلك اليوم لفعلته أمس و أما قولك إن عمر ولاكه فقد عزل من كان ولاه صاحبه و عزل عثمان من كان عمر ولاه و لم ينصب للناس إمام إلا- ليري من صلاح الأسمه إماما قد كان ظهر لمن قبله أو أخفى عنهم عيبه و الأمر يحدث بعده الأمر و لكل وال رأى و اجتهاد فسبحان الله ما أشد لزومك للأهواء المبتدعه و الحيره المتبعه .

إلى آخر الفصل .

و أما قوله ع إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك إلى آخره فقد روى البلاذري قال لما أرسل عثمان إلى معاويه يستمده بعث يزيد بن أسد القسري جد خالد بن عبد الله بن يزيد أمير العراق و قال له إذا أتيت ذا خشب فأقم بها و لا تتجاوزها و لا تقل الشاهد يري ما لا يري الغائب فإنني أنا الشاهد و أنت الغائب.

قال فأقام بذى خشب حتى قتل عثمان فاستقدمه حينئذ معاويه فعاد إلى الشام بالجيش الذى كان أرسل معه و إنما صنع ذلك معاويه ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه.

و كتب معاويه إلى ابن عباس عند صلح الحسن ع له كتابا يدعوه فيه إلى بيعته و يقول له فيه و لعمرى لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضا و أن يكون رأيا صوابا فإنك من الساعين عليه و الخاذلين له و السافكين دمه و ما جرى بيني و بينك صلح فيمنعك منى و لا بيدك أمان.

فكتب إليه ابن عباس جوابا طويلا- يقول فيه و أما قولك إنى من الساعين على عثمان و الخاذلين له و السافكين دمه و ما جرى بيني و بينك صلح فيمنعك منى

فأقسم بالله لأنك المتربص بقتله و المحب لهلاكه و الحابس الناس قبلك عنه على بصيره من أمره و لقد أتاك كتابه و صريخه يستغيث بك و يستصرخ فما حفلت به حتى بعثت إليه معذرا بأجره أنت تعلم إنهم لن يتركوه حتى يقتل فقتل كما كنت أردت ثم علمت عند ذلك أن الناس لن يعدلوا بيننا و بينك فطفقت تنعى عثمان و تلمنا دمه و تقول قتل مظلوما فإن يك قتل مظلوما فأنت أظلم الظالمين ثم لم تزل مصوبا و مصعدا و جاثما و رابضا تستغوى الجاهل و تنازعنا حقنا بالسفهاء حتى أدركت ما طلبت وَ إِنِ أَدْرِي لَعَلَّه فِتْنَةٌ لَكُمْ وَ مَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (١)

ص: ١٥٥

(١-١) سورة الأنبياء ١١١.

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلَّهِ حِينَ عَصَى فِي أَرْضِهِ وَ ذُهِبَ بِحَقِّهِ فَضَرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَى الْبِرِّ وَ
الْفَاجِرِ وَ الْمُقِيمِ وَ الظَّاعِنِ فَلَا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاخُ إِلَيْهِ وَ لَا مُنْكَرٌ يُنْهَى عَنْهُ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عِيداً مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَا يَنَامُ أَيَّامَ
الْخَوْفِ وَ لَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْيَادِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ وَ هُوَ مَالِكُ بَنِ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ
أَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ لَا كَلِيلُ الظُّبَيْهِ وَ لَا نَابِي الضَّرِيْبَةِ فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا وَ إِنْ أَمَرَكُمْ
أَنْ تُقِيمُوا فَاقِيمُوا فَإِنَّهُ لَا يُقْسِدُ وَ لَا يُحْجِمُ وَ لَا يُؤَخِّرُ وَ لَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي وَ قَدْ آثَرْتُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ وَ شِدَّةِ
شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ .

هذا الفصل يشكل على تأويله لأن أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان و إذا شهد أمير المؤمنين ع أنهم غضبوا لله حين عصى في
الأرض فهذه شهادة قاطعه على عثمان بالعصيان و إتيان المنكر و يمكن أن يقال و إن كان متعسفا إن الله تعالى

عصى فى الأرض لا من عثمان بل من ولاته و أمرائه و أهله و ذهب بينهم بحق الله و ضرب الجور سرادقه بولايتهم و أمرهم على البر و الفاجر و المقيم و الظاعن فشاع المنكر و فقد المعروف يبقى (١) أن يقال هب أن الأمر كما تأولت فهؤلاء الذين غضبوا الله إلى ما ذا آل (٢) أمرهم أليس الأمر آل إلى أنهم قطعوا المسافه من مصر إلى المدينه فقتلوا عثمان فلا تعدو حالهم أمرين إلا أن يكونوا أطاعوا الله بقتله فيكون عثمان عاصيا مستحقا للقتل أو يكونوا أسخطوا الله تعالى بقتله فعثمان إذا على حق و هم الفساق العصاه فكيف يجوز أن يبجلهم أو يخاطبهم خطاب الصالحين و يمكن أن يجاب عن ذلك بأنهم غضبوا الله و جاءوا من مصر و أنكروا على عثمان تأميره الأمراء الفساق و حصروه فى داره طلبا أن يدفع إليهم مروان ليحبسوه أو يؤدبوه على ما كتبه فى أمرهم فلما حصر طمع فيه مبغضوه و أعداؤه من أهل المدينه و غيرها و صار معظم الناس إلبا عليه و قل عدد المصريين بالنسبه إلى ما اجتمع من الناس على حصره و مطالبته بخلع نفسه و تسليم مروان و غيره من بنى أميه إليهم و عزل عماله و الاستبدال بهم و لم يكونوا حينئذ يطلبون نفسه و لكن قوما منهم و من غيرهم تسوروا داره فرماهم بعض عبيده بالسهام فجرح بعضهم فقادت الضروره إلى النزول و الإحاطه به و تسرع إليه واحد منهم فقتله ثم إن ذلك القاتل قتل فى الوقت و قد ذكرنا ذلك فيما تقدم و شرحناه فلا يلزم من فسق ذلك القاتل و عصيانه أن يفسق الباقون لأنهم ما أنكروا إلا المنكر و أما القتل فلم يقع منهم و لا راموه و لا أرادوه فجاز أن يقال إنهم غضبوا الله و أن يثنى عليهم و يمدحهم .

ثم وصف الأشتر بما وصفه به و مثل قوله لا ينام أيام الخوف قولهم لا ينام ليله يخاف و لا يشبع ليله يضاف و قال

ص: ١٥٧

١-١) كذا فى ا،و فى ب: «ينبغى».

٢-٢) ساقطه من ب.

سهدا إذا ما نام ليل الهوجل (١).

ثم أمرهم أن يطيعوه فيما يأمرهم به مما يطابق الحق و هذا من شدة دينه و صلابته ع لم يسامح نفسه في حق أحب الخلق إليه أن يهمل هذا القيد

٤٢٩٥

قال رسول الله ص لا طاعه لمخلوق في معصيه الخالق.

و قال أبو حنيفة قال لى الربيع فى دهليز المنصور إن أمير المؤمنين يأمرنى بالشىء بعد الشىء من أمور ملكه فأنفذه و أنا خائف على دينى فما تقول فى ذلك قال و لم يقل لى ذلك إلا فى ملائ الناس فقلت له أ فأمر أمير المؤمنين بغير الحق قال لا قلت فلا بأس عليك أن تفعل بالحق قال أبو حنيفة فأراد أن يصطادنى فاصطدته.

و الذى صدع بالحق فى هذا المقام الحسن البصرى قال له عمر بن هبيرة أمير العراق فى خلافه يزيد بن عبد الملك فى ملائ من الناس منهم الشعبى و ابن سيرين يا أبا سعيد إن أمير المؤمنين يأمرنى بالشىء اعلم أن فى تنفيذه الهلكه فى الدين فما تقول فى ذلك قال الحسن ما ذا أقول إن الله مانعك من يزيد و لن يمنعك يزيد من الله يا عمر خف الله و اذكر يوما يأتىك تتمخض ليلته عن القيامه أنه سينزل عليك ملك من السماء فيحطك عن سريرك إلى قصرك و يضطرك من قصرك إلى لزوم فراشك ثم ينقلك عن فراشك إلى قبرك ثم لا يغنى عنك إلا عملك فقام عمر بن هبيرة باكيا يصطك لسانه.

قوله فإنه سيف من سيوف الله هذا لقب خالد بن الوليد و اختلف فيمن

ص: ١٥٨

(١-١) لأبى كبير الهذلى، ديوان الحماسه-، بشرح التبريزى-٨٦. الهوجل: الثقيل الكسلان.

لقبه به فقيل لقبه به رسول الله ص و الصحيح أنه لقبه به أبو بكر لقتاله أهل الرده و قتله مسيلمه.

و الظبه بالتخفيف حد السيف و النابى من السيوف الذى لا يقطع و أصله نبا أى ارتفع فلما لم يقطع كان مرتفعا فسمى نابيا و فى الكلام حذف تقديره و لا ناب ضارب الضريبه و ضارب الضريبه هو حد السيف فأما الضريبه نفسها فهو الشىء المضروب بالسيف و إنما دخلته الهاء و إن كان بمعنى مفعول لأنه صار فى عداد الأسماء كالنطيحه و الأكيهه.

ثم أمرهم بأن يطيعوه فى جميع ما يأمرهم به من الإقدام و الإحجام و قال إنه لا يقدم و لا يؤخر إلا عن أمرى و هذا إن كان قاله مع أنه قد سنع له أن يعمل برأيه فى أمور الحرب من غير مراجعته فهو عظيم جدا لأنه يكون قد أقامه مقام نفسه و جاز أن يقول إنه لا- يفعل شيئا إلا- عن أمرى و إن كان لا- يراجعه فى الجزئيات على عادته العرب فى مثل ذلك لأنهم يقولون فيمن يثقون به نحو ذلك و قد ذهب كثير من الأصوليين إلى أن الله تعالى قال لمحمد ص احكم بما شئت فى الشريعة فإنك لا تحكم إلا بالحق و إنه كان يحكم من غير مراجعته لجبرائيل و إن الله تعالى قد قال فى حقه و مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (١) و إن كان ع قال هذا القول عن الأشر لأنه قد قرر معه بينه و بينه ألا يعمل شيئا قليلا و لا كثيرا إلا بعد مراجعته فيجوز و لكن هذا بعيد لأن المسافه طويله بين العراق و مصر و كانت الأمور هناك تقف و تفسد .

ثم ذكر أنه آثرهم به على نفسه و هكذا قال عمر لما أنفذ عبد الله بن مسعود إلى الكوفه فى كتابه إليهم قد آثرتمكم به على نفسى و ذلك أن عمر كان يستفتيه فى الأحكام و على ع كان يصول على الأعداء بالأشتر و يقوى أنفس جيوشه بمقامه بينهم فلما بعثه إلى مصر كان مؤثرا لأهل مصر به على نفسه

ص: ١٥٩

فَأَنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعًا لِدُنْيَا أَمْرِي ظَاهِرٍ غَيْبُهُ مَهْتُوكِ سِتْرُهُ يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ وَ يُسْفَهُ الْحَلِيمَ بِخِلَاطِهِ فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ وَ طَلَبْتَ
فَضْلَهُ اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضَّرْعَامِ يُلُودُ بِمَخَالِهِ وَ يَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيَسِيَّتِهِ فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَ آخِرَتَكَ وَ لَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ
أَذْرَكَتَ مَا طَلَبْتَ فَإِنْ [يُمْكِنُ]

يُمْكِنِي اللَّهُ مِنْكَ وَ مِنْ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا وَ إِنْ تُعْجِزَا وَ تَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا وَ السَّلَامُ .

كل ما قاله فيهما هو الحق الصريح بعينه لم يحمله بغضه لهما و غيظه منهما إلى أن بالغ في ذمهما به كما يبالغ الفصحاء عند
سوره الغضب و تدفق الألفاظ على الألسنه و لا ريب عند أحد من العقلاء ذوى الإنصاف أن عمرا جعل دينه تبعا لدنيا معاويه و
أنه ما بايعه و تابعه إلا على جعله جعلها له و ضمان تكفل له بإبصاله و هى ولاية مصر مؤجله و قطعه وافر من المال معجله و
لولديه و غلماناه ما ملأ أعينهم.

فأما قوله ع فى معاويه ظاهر غيه فلا ريب فى ظهور ضلاله و بغيه و كل باغ غاؤ.

أما مهتوك ستره فإنه كان كثير الهزل و الخلاعه صاحب جلساء و سمار و معاويه لم يتوقر و لم يلزم قانون الرئاسه إلا منذ خرج على أمير المؤمنين و احتاج إلى الناموس و السكينه و إلا فقد كان في أيام عثمان شديد التهتك موسوما بكل قبيح و كان في أيام عمر يستر نفسه قليلا خوفا منه إلا أنه كان يلبس الحرير و الديباج و يشرب في آنيه الذهب و الفضه و يركب البغلات ذوات السروج المحلاه بها و عليها جلال الديباج و الوشى و كان حينئذ شابا و عنده نرق الصبا و أثر الشيبه و سكر السلطان و الإمره و نقل الناس عنه في كتب السيره أنه كان يشرب الخمر في أيام عثمان في الشام و أما بعد وفاه أمير المؤمنين و استقرار الأمر له فقد اختلف فيه فقيل إنه شرب الخمر في ستر و قيل إنه لم يشربه و لا خلاف في أنه سمع الغناء و طرب عليه و أعطى و وصل عليه أيضا.

و روى أبو الفرج الأصفهاني قال قال عمرو بن العاص لمعاويه في قدمه قدمها إلى المدينه أيام خلافته قم بنا إلى هذا الذي قد هدم شرفه و هتك ستره عبد الله بن جعفر نقف على بابه فنسمع غناء جواريه فقاما ليلا و معهما وردان غلام عمرو و وقفا بباب عبد الله بن جعفر فاستمعا الغناء و أحس عبد الله بوقوفهما ففتح الباب و عزم على معاويه أن يدخل فدخل فجلس على سرير عبد الله فدعا عبد الله له و قدم إليه يسيرا من طعام فأكل فلما أنس قال يا أمير المؤمنين أ لا تأذن لجواريك أن يتمن أصواتهن فإنك قطعتهما عليهن قال فليقلن فرفعن أصواتهن و جعل معاويه يتحرك قليلا قليلا حتى ضرب برجله السرير ضربا شديدا فقال عمرو قم أيها الرجل فإن الرجل الذي جئت لتلحاه أو لتعجب من امرئ أحسن حالا منك فقال مهلا فإن الكريم طروب.

أما قوله يشين الكريم بمجلسه و يسفه الحليم بخلطته فالأمر كذلك فإنه لم يكن في مجلسه إلا- شتم بنى هاشم و قذفهم و التعرض بذكر الإسلام و الطعن عليه و إن أظهر الانتماء إليه و أما طلب عمرو و فضله و اتباعه أثره اتباع الكلب للأسد فظاهر و لم يقل الثعلب غضا من قدر عمرو و تشبيها له بما هو أبلغ في الإهانه و الاستخفاف.

ثم قال و لو بالحق أخذت أدركت ما طلبت أى لو قعدت عن نصره و لم تشخص إليه مماثلا به على الحق لوصل إليك من بيت المال قدر كفايتك.

و لقائل أن يقول إن عمرا ما كان يطلب قدر الكفايه و على ع ما كان يعطيه إلا حقه فقط و لا يعطيه بلدا و لا طرفا من الأطراف و الذى كان يطلب ملك مصر لأنه فتحها أيام عمر و وليها برهه و كانت حسره فى قلبه و حرازه فى صدره فباع آخرته بها فالأولى أن يقال معناه لو أخذت بالحق أدركت ما طلبت من الآخره.

فإن قلت إن عمرا لم يكن على ع يعتقد أنه من أهل الآخره فكيف يقول له هذا الكلام قلت لا خلل و لا زلل فى كلامه ع لأنه لو أخذ بالحق لكان معتقدا كون على ع على الحق باعتقاده صحه نبوه رسول الله ص و صحه التوحيد فيصير تقدير الكلام لو بايعتنى معتقدا للزوم بيعتى لك لكنت فى ضمن ذلك طالبا الثواب فكنت تدركه فى الآخره .

ثم قال مهديا لهما و متوعدا إياهما فإن يمكن الله منك و من ابن أبى سفيان و أقول لو ظفر بهما لما كان فى غالب ظنى يقتلهما فإنه كان حليما كريما و لكن كان يجسهما ليحسم بحبسهما ماده فسادهما.

ثم قال و إن تعجزا و تبقيا أى و إن لم أستطع أخذكما أو أمت قبل ذلك و بقيتما بعدى فما أمامكما شر لكما من عقوبه الدنيا لأن عذاب الدنيا منقطع و عذاب الآخرة غير منقطع.

و ذكر نصر بن مزاحم فى كتاب صفين هذا الكتاب بزياده لم يذكرها الرضى

٤٢٩٦

١- قال نصر و كتب على ع إلى عمرو بن العاص من عبد الله على أمير المؤمنين إلى الأبترا بن عمرو بن العاص بن وائل شانى محمد و آل محمد فى الجاهليه و الإسلام سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإنك تركت مروءتك لامرئ فاسق مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه و يسفه الحليم بخلطته فصار قلبك لقلبه تبعا كما قيل وافق شن طبقه فسلبك دينك و أمانتك و دنياك و آخرتك و كان علم الله بالغا فيك فصرت كالذئب يتبع الضرغام إذا ما الليل دجى أو أتى الصبح يلتمس فاضل سوره و حوايا فريسته و لكن لا نجاه من القدر و لو بالحق أخذت لأدركت ما رجوت و قد رشد من كان الحق قائده فإن يمكن الله منك و من ابن آكله الأكباد ألحقتكما بمن قتله الله من ظلمه قريش على عهد رسول الله ص و إن تعجزا و تبقيا بعد فالله حسبكما و كفى بانتقامه انتقاما و بعقابه عقابا و السلام

ص: ١٦٣

أَمَّا بَعْدُ فَكُنْتُ بَلَّغْنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَشِيخَطْتَ رَبِّكَ وَ عَصَيْتَ إِمَامَكَ وَ أَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ بَلَّغْنِي أَنَّكَ جَرَدْتَ الْأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ وَ أَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ وَ اعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ وَ السَّلَامُ .

أخزيت أمانتك

أذلتها و أهنتها و جردت الأرض قشرتها و المعنى أنه نسبه إلى الخيانة في المال و إلى إخراج الضياع و في حكمه أبرويز أنه قال لخازن بيت المال إنى لا- أحتملك على خيانه درهم و لا أحمدك على حفظ عشره آلاف ألف درهم لأنك إنما تحقن بذلك دمك و تعمر به أمانتك و إنك إن خنت قليلا خنت كثيرا فاحترس من خصلتين من النقصان فيما تأخذ و من الزيادة فيما تعطى و اعلم أنى لم أجعلك على ذخائر الملك و عماره المملكه و العده على العدو إلا و أنت أمين عندى من الموضع الذى هى فيه و من خواتمها التى هى عليها فحقق ظنى فى اختيارى إياك أحقق ظنك فى رجائك لى و لا تتعوض بخير سرا و لا برفعه ضعه و لا بسلامه ندامه و لا بأمانه خيانه.

ص: ١٦٤

فى الحديث المرفوع من ولى لنا عملا فليتزوج و ليتخذ مسكنا و مركبا و خادما فمن اتخذ سوى ذلك جاء يوم القيامه عادلا غالا سارقا.

و قال عمر فى وصيته لابن مسعود إياك و الهديه و ليست بحرام و لكنى أخاف عليك الداله.

و أهدى رجل لعمر فخذ جزور فقبله ثم ارتفع إليه بعد أيام مع خصم له فجعل فى أثناء الكلام يقول يا أمير المؤمنين افصل القضاء بينى و بينه كما يفصل فخذ الجزور فقضى عمر عليه ثم قام فخطب الناس و حرم الهدايا على الولاه و القضاء.

و أهدى إنسان إلى المغيره سراجا من شبه و أهدى آخر إليه بغلا- ثم اتفقت لهما خصومه فى أمر فترافعا إليه فجعل صاحب السراج يقول إن أمرى أضوأ من السراج فلما أكثر قال المغيره ويحك إن البغل يرمح السراج فيكسره.

و مر عمر ببناء بينى بآجر و جص لبعض عماله فقال أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها و روى هذا الكلام عن على ع و كان عمر يقول على كل عامل أمينان الماء و الطين.

و لما قدم أبو هريره من البحرين قال له عمر يا عدو الله و عدو كتابه أ سرت مال الله تعالى قال أبو هريره لست بعدو الله و لا عدو كتابه و لكنى عدو من عاداهما و لم أسرق مال الله فضربه بجريده على رأسه ثم ثناه بالدره و أغرمه عشره آلاف درهم ثم أحضره فقال يا أبا هريره من أين لك عشره آلاف درهم قال خيلى تناسلت و عطائى تلاحق و سهامى تتابعت قال عمر كلا و الله ثم تركه أياما ثم قال له ألا- تعمل قال لا قال قد عمل من هو خير منك يا أبا هريره قال من هو قال يوسف الصديق فقال أبو هريره إن يوسف عمل لمن لم يضرب رأسه

و ظهره و لا شتم عرضه و لا نزع ماله لا و الله لا أعمل لك أبدا.

و كان زياد إذا ولي رجلا قال له خذ عهدك و سر إلى عملك و اعلم أنك محاسب رأس سنتك و أنك ستصير إلى أربع خصال فاختر لنفسك إنا إن وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك و سلمتك من معرفتنا أمانتك و إن وجدناك خائنا قويا استعنا بقوتك و أحسنا أدبك على خيانتك و أوجعنا ظهرك و أثقلنا غرمك و إن جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين و إن وجدناك أمينا قويا زدنا رزقك و رفعنا ذكرك و كثرنا مالك و أوطأنا الرجال عقبك.

و وصف أعرابي عاملا خائنا فقال الناس يأكلون أماناتهم لقما و هو يحسوها حسوا.

قال أنس بن أبي إياس الدؤلي (١) لحارثه بن بدر الغداني و قد ولي سرق و يقال إنها لأبي الأسود (٢) أ حار بن بدر قد وليت ولايه

فيقال إنها بلغت حارثه بن بدر فقال أصاب الله به الرشاد فلم يعد بإشارته ما في نفسي

ص: ١٦٦

١-١) في الكامل: «أنس بن أبي أنيس».

٢-٢) ممن نسبها إلى أبي الأسود ياقوت في معجم البلدان ٥: ٧٣.

أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكَتُكَ فِي أَمَانَتِي وَ جَعَلْتُكَ شِعَارِي وَ بَطَانَتِي وَ لَمْ يَكُنْ [فِي أَهْلِي رَجُلٌ]

رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي أَوْتَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي لِمَوَاسَاتِي وَ مُوَازَرَتِي وَ آدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلَبَ وَ الْعَدُوَّ قَدْ حَرَبَ وَ أَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزَيْتَ وَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَدْ [فَتَكَتْ]

فَنَكَتْ وَ شَعَرَتْ فَلَبَّتْ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهَرَ الْمَجْنِّ فَصَارَفْتُهُ مَعَ الْمُصَارِقِينَ وَ خَدَلْتُهُ مَعَ الْخَادِلِينَ وَ حُتَّتُهُ مَعَ الْخَائِنِينَ فَلَا ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ وَ لَا الْأَمَانَةَ أَدَيْتَ وَ كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ اللَّهُ تَرِيدُ بِجَهَادِكَ وَ كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّكَ وَ كَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ وَ تَنوِي غَرَّتْهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ فَلَمَّا أَمَكَّنْتَكَ الشُّدَّةَ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكُرَّةَ وَ عَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ وَ اخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةَ لِأَزَامِلِهِمْ وَ أَيْتَامِهِمْ اخْتَطَفَ الذُّبُّ الْأَمَزْلُ دَامِيَةَ الْمَعْرَى الْكَسِيرَةَ فَحَمَلْتُهُ إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غَيْرَ مُتَيَأَّمٍ مِنْ أَخْذِهِ كَأَنَّكَ لَا أَيْأَ لِعَيْرِكَ حَادَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تَرَاتَكَ مِنْ أَبِيكَ وَ أُمِّكَ فَسَيَّبِحَانَ اللَّهُ أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ أَوْ مَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ أَيُّهَا الْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ أَوْلَى الْأَلْبَابِ كَيْفَ تُسَيِّغُ شَرَابًا وَ طَعَامًا وَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَامًا وَ تَشْرَبُ حَرَامًا وَ تَبْتَاعُ الْإِمَاءَ وَ تَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ

وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ أَنفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَيْدِهِ الْمَأْمُولَ وَأَحْرَزَ بِهِم هَيْدِهِ الْبِلَادَ فَاتَّقِ اللَّهَ وَارْزُقْ إِلَى هَوْلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنِي اللَّهُ مِنْكَ لَأُعَذِّبَنَّ إِلَى اللَّهِ فِيكَ وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَدًا إِلَّا دَخَلَ النَّارَ وَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا- مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لُهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ وَلَا ظَفِرًا مِنِّي بِإِزَادَةٍ حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ مِنْهُمَا وَأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا يَسِّرُنِي أَنْ مَا أَخَذْتُهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي أَتْرُكُهُ مِيرَاثًا لِمَنْ بَعْدِي فَضَحَّ رُوَيْدًا فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى وَدُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ وَيَتَمَنَّى الْمُضْضِعُ فِيهِ الرَّجْعَةَ وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ .

أشركتكم في أمانتي

جعلتكم شريكا فيما قمت فيه من الأمر واثمنتني الله عليه من سياسته الأمامية وسمى الخلافة أمانه كما سمي الله تعالى التكليف أمانه في قوله إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ (١) فأما قوله و أداء الأمانة إلى فأمر آخر و مراده بالأمانة الثانية ما يتعارفه الناس من قولهم فلان ذو أمانه أى لا يخون فيما أسند إليه .

و كلب الزمان اشتد و كذلك كلب البرد.

ص: ١٦٨

١-١) سورة الأحزاب ٧٢.

و حرب العدو استأسد و خزيت أمانه الناس ذلت و هانت.

و شغرت

الأمه خلت من الخير و شغرت البلد خلا من الناس.

و قلبت له ظهر المجن إذا كنت معه فصرت عليه و أصل ذلك أن الجيش إذا لقوا العدو و كانت ظهور مجانهم إلى وجه العدو و بطون مجانهم إلى وجه عسكرهم فإذا فارقوا رئيسهم و صاروا مع العدو كان وضع مجانهم بدلا من الوضع الذي كان من قبل و ذلك أن ظهور الترسة لا يمكن أن تكون إلا في وجه الأعداء لأنها مرمى سهامهم .

و أمكنتك الشده أى الحمله.

قوله أسرع الكره لا- يجوز أن يقال الكره إلا بعد فره فكأنه لما كان مقلعا في ابتداء الحال عن التعرض لأموالهم كان كالفار عنها فلذلك قال أسرع الكره .

و الذئب الأزل الخفيف الوركين و ذلك أشد لعدوه و أسرع لو ثبته و إن اتفق أن تكون شاه من المعزى كثيره و داميه أيضا كان الذئب على اختطافها أقدر .

و نقاش الحساب مناقشته .

قوله فضح رويدا كلمه تقال لمن يؤمر بالتؤده و الأناه و السكون و أصلها الرجل يطعم إبله ضحى و يسيرها مسرعا ليسير فلا يشبعها فيقال له ضح رويدا

اختلاف الرأي فيمن كتب له هذا الكتاب

و قد اختلف الناس في المكتوب إليه هذا الكتاب فقال الأكثرون إنه عبد الله بن العباس رحمه الله و رووا في ذلك روايات و استدلوا عليه بألفاظ من ألفاظ الكتاب

ص: ١٦٩

كقوله أشرتكم في أمانتي و جعلتكم بطانتي و شعاري و أنه لم يكن في أهلى رجل أوثق منك و قوله على ابن عمك قد كلب ثم قال ثانيا قلبت لابن عمك ظهر المجن ثم قال ثالثا و لابن عمك آسيت و قوله لا أبا لغيرك و هذه كلمه لا تقال إلا لمثله فأما غيره من أفناء الناس فإن عليا كان يقول لا أبا لك .

و قوله أيها المعدود كان عندنا من أولى الألباب و قوله لو أن الحسن و الحسين ع و هذا يدل على أن المكتوب إليه هذا الكتاب قريب من أن يجرى مجراهما عنده.

٤٢٩٨

٢- و قد روى أرباب هذا القول أن عبد الله بن عباس كتب إلى علي ع جوابا من هذا الكتاب قالوا و كان جوابه أما بعد فقد أتاني كتابك تعظم على ما أصبت من بيت مال البصره و لعمرى أن حقى في بيت المال أكثر مما أخذت و السلام.

قالوا فكتب إليه علي ع أما بعد فإن من العجب أن تزين لك نفسك أن لك في بيت مال المسلمين من الحق أكثر مما لرجل واحد من المسلمين فقد أفلحت إن كان تمنيك الباطل و ادعاؤك ما لا يكون ينجيك من المأثم و يحل لك المحرم إنك لأنت المهتدى السعيد إذا و قد بلغنى أنك اتخذت مكه و طنا و ضربت بها عطنا تشتري بها مولدات مكه و المدينه و الطائف تختارهن على عينك و تعطى فيهن مال غيرك فارجع هداك الله إلى رشدك و تب إلى الله ربك و أخرج إلى المسلمين من أموالهم فعما قليل تفارق من ألفت و تترك ما جمعت و تغيب في صدع من الأرض غير موسد و لا ممهد قد فارقت الأحباب و سكنت التراب و واجهت الحساب غنيا عما خلفت فقيرا إلى ما قدمت و السلام.

ص : ١٧٠

قالوا فكتب إليه ابن عباس أما بعد فإنك قد أكثرت على و والله لأن ألقى الله قد احتويت على كنوز الأرض كلها و ذهبها و عقيانها و لجينها أحب إلى من أن ألقاه بدم امرئ مسلم و السلام

و قال آخرون و هم الأقلون هذا لم يكن و لا فارق عبد الله بن عباس عليا ع و لا باينه و لا خالفه و لم يزل أميرا على البصره إلى أن قتل على ع .

قالوا و يدل على ذلك ما رواه أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني من كتابه الذي كتبه إلى معاويه من البصره لما قتل على ع و قد ذكرناه من قبل قالوا و كيف يكون ذلك و لم يخدعه معاويه و يجره إلى جهته فقد علمتم كيف اختدع كثيرا من عمال أمير المؤمنين ع و استمالهم إليه بالأموال فمالوا و تركوا أمير المؤمنين ع فما باله و قد علم النبوه التي حدثت بينهما لم يستمل ابن عباس و لا اجتذبه إلى نفسه و كل من قرأ السير و عرف التواريخ يعرف مشاقه ابن عباس لمعاويه بعد وفاه على ع و ما كان يلقاه به من قوارع الكلام و شديد الخصام و ما كان يثنى به على أمير المؤمنين ع و يذكر خصائصه و فضائله و يصدع به من مناقبه و مآثره فلو كان بينهما غبار أو كدر لما كان الأمر كذلك بل كانت الحال تكون بالضد لما اشتهر من أمرهما.

و هذا عندي هو الأمثل و الأصوب.

و قد قال الراوندي المكتوب إليه هذا الكتاب هو عبيد الله بن العباس لا عبد الله

و ليس ذلك بصحيح فإن عبيد الله كان عامل على ع على اليمن و قد ذكرت قصته مع بسر بن أرطاه فيما تقدم و لم ينقل عنه أنه أخذ مالا و لا فارق طاعه.

و قد أشكل على أمر هذا الكتاب فإن أنا كذبت النقل و قلت هذا كلام موضوع على أمير المؤمنين ع خالفت الرواه فإنهم قد أطبقوا على روايه هذا الكلام عنه و قد ذكر في أكثر كتب السير و إن صرفته إلى عبد الله بن عباس صدني عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعه أمير المؤمنين ع في حياته و بعد وفاته و إن صرفته إلى غيره لم أعلم إلى من أصرفه من أهل أمير المؤمنين ع و الكلام يشعر بأن الرجل المخاطب من أهله و بنى عمه فأنا في هذا الموضع من المتوقفين

ص: ١٧٢

إشاره

و كان عامله على البحرين فعزله و استعمل النعمان بن عجلان الزرقى مكانه أَمَا بَعِيدُ فَإِنِّي قَدْ وَكَيْتُ النُّعْمَانَ بِنَ عَجْلَانَ الزُّرْقِيَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ وَ نَزَعْتُ يَدَكَ بِلَا- ذَمِّ لِمَكَ وَ لَا تَثْرِيْبٍ عَلَيْكَ فَلَقَدْ أَحْسَيْتِ الْوَلَايَةَ وَ أَدَيْتِ الْأَمَانَةَ فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ وَ لَا مَلُومٍ وَ لَا مُتَّهَمٍ وَ لَا مَأْثُومٍ [فَقَدْ]

فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ وَ أَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِيَ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ وَ إِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

عمر بن أبي سلمه و نسبه و بعض أخباره

أما عمر بن أبي سلمه فهو ربيب رسول الله ص و أبوه أبو سلمه بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظه يكنى أبا حفص ولد في السنه الثانيه من الهجره بأرض الحبشه و قيل إنه كان يوم قبض رسول الله ص ابن تسع سنين و توفي في المدينه في خلافه عبد الملك سنه ثلاث و ثمانين و قد حفظ عن رسول الله ص الحديث و روى عنه سعيد بن المسيب و غيره ذكر

ذلك كله ابن عبد البر في كتاب الإستيعاب

النعمان بن عجلان ونسبه وبعض أخباره

و أما النعمان بن عجلان الزرقى فمن الأنصار ثم من بنى زريق و هو الذى خلف على خوله زوجه حمزه بن عبد المطلب رحمه الله بعد قتله قال ابن عبد البر فى كتاب الإستيعاب كان النعمان هذا لسان الأنصار و شاعرهم و يقال إنه كان رجلا أحمر قصيرا تزدرية العين إلا أنه كان سيدا و هو القائل يوم السقيفه و قلت حرام نصب سعد و نصبكم

قوله و لا تثريب عليك فالتثريب الاستقصاء فى اللوم و يقال تثربت عليه و عربت عليه إذا قبحت عليه فعله.

و الظنين المتهم و الظنه التهمه و الجمع الظنن يقول قد أظن زيد عمرا و الألف ألف وصل و الظاء مشدده و النون مشدده أيضا و جاء بالطاء المهمله أيضا أى اتهمه و فى حديث ابن سيرين لم يكن على ع يظن فى قتل عثمان الحرفان مشددان و هو يفتعل من يظنن و أدغم قال الشاعر و ما كل من يظننى أنا معتب و ما كل ما يروى على أقول (١).

ص: ١٧٤

(١-١) الصحاح ٢١٤١ من غير نسبه.

٤٣ و من كتاب له ع إلى مصقله بن هبيرة الشيباني و كان عامله على أردشير خره

بَلَّغْنِي عَنْكَ أَمْرًا إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهَكَ وَ عَصَيْتَ إِمَامَكَ أَنْكَ تَقْسِمُ فِيءِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَ خِيُولُهُمْ وَ أُرِيقتُ عَلَيْهِ دِمَائُهُمْ فِيمَنْ اعْتَمَيْتَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسِيمَةَ لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَوَانًا وَ لَتَخْفَنَّ عِنْدِي مِيزَانًا فَلَا تَسْتَيْتِهِنَّ بِحَقِّ رَبِّكَ وَ لَا تُصِيلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحَقِّ دِينِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا أَلَا وَ إِنَّ حَقَّ مَنْ قَبْلَكَ وَ قَبْلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمِهِ هَذَا الْفَيْءِ سِوَاءِ يَرْدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ وَ يَصْدُرُونَ عَنْهُ .

قد تقدم ذكر نسب مصقله بن هبيرة و أردشير خره كوره من كور فارس .

و اعتمالك اختارك من بين الناس أصله من العيمة بالكسر و هي خيار المال اعتم المصدق إذا أخذ العيمة و قد روى فيمن اعتمالك (١) بالقلب و الصحيح

ص: ١٧٥

(١ - ١) ب: «اعتمالك»؛ و الصواب ما أثبتته من أ.

المشهور الأول و روى و لتجدن بك عندى هوانا بالباء و معناها اللام و لتجدن بسبب فعلك هوانك عندى و الباء ترد للسببيه
كقوله تعالى فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ (١).

و المحق الإهلاك .

و المعنى أنه نهى مصقله عن أن يقسم الفىء على أعراب قومه الذين اتخذوه سيدا و رئيسا و يحرم المسلمين الذين حازوه
بأنفسهم و سلاحهم و هذا هو الأمر الذى كان ينكره على عثمان و هو إثارة أهله و أقاربه بمال الفىء و قد سبق شرح مثل ذلك
مستوفى

ص: ١٧٤

١-١) سورة النساء ١٦٠.

و قد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه وَ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَرِلُ لُبَّكَ وَ يَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ فَاحْذَرُهُ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ وَ عَنْ يَمِينِهِ وَ عَنْ شِمَالِهِ لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ وَ يَسْتَلْبَ غِرَّتَهُ وَ قَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سَفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَهُ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَ نَزْعِهِ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ لَا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ وَ لَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ وَ الْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدْفَعِ وَ النَّوْطِ الْمُدْبِذِ. فَلَمَّا قَرَأَ زِيَادُ الْكِتَابِ قَالَ شَهِدَ بِهَا وَ رَبُّ الْكَعْبَةِ وَ لَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِهِ حَتَّى ادَّعَاهُ مُعَاوِيَةُ

[قال الرضى رحمه الله تعالى قوله ع الواغل هو الذى يهجم على الشرب ليشرب معهم و ليس منهم فلا يزال مدفعا محاجزا و النوط المذبذب هو ما يناط برجل الراكب من قعب أو قدح أو ما أشبه ذلك فهو أبدا يتقلقل إذا حث ظهره و استعجل سيره]

يطلب زلله و خطاه أى يحاول أن تزل و اللب العقل و يستفل غربك يحاول أن يفل حدك أى عزمك و هذا من باب المجاز ثم أمره أن يحذره و قال إنه يعنى معاويه كالشيطان يأتى المرء من كذا و من كذا و هو مأخوذ من قول الله تعالى ثُمَّ لَأَيِّنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَ عَنْ شَمَائِلِهِمْ وَ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١) قالوا فى تفسيره مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ يطمعهم فى العفو و يغريهم بالعصيان (٢) وَ مِنْ خَلْفِهِمْ يذكركم مخلفيهم و يحسن لهم جمع المال و تركه لهم وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ يحبب إليهم الرئاسه و الثناء وَ عَنْ شَمَائِلِهِمْ يحبب إليهم اللهو و اللذات.

و قال شقيق البلخي ما من صباح إلا قعد لى الشيطان على أربعة مراصد من بين يدي و من خلفي و عن يميني و عن شمالي أما من بين يدي فيقول لا تخف فإن الله غفور رحيم فأقرأ و إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٣) و أما من خلفي فيخوفني الضيعه على مخلفي فأقرأ وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا (٤) و أما من قبل يميني فيأتيني من جهه الثناء فأقرأ وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٥) و أما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فأقرأ وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ (٦).

فإن قلت لم يقل و من فوقهم و من تحتهم

ص: ١٧٨

١-١) سورة الأعراف ١٧.

٢-٢) كذا فى ا،و فى ب«فى العصيان».

٣-٣) سورة طه ٨٢.

٤-٤) سورة هود ٦.

٥-٥) سورة القصص ٨٣.

٦-٦) سورة سبأ ٥٤.

قلت لأن جهه فوق جهه نزول الرحمه و مستقر الملائكه و مكان العرش و الأنوار الشريفه و لا سبيل له إليها و أما من جهه تحت فلأن الإتيان منها يوحش و ينفر عنه لأنها الجهه المعروفه بالشياطين فعدل عنها إلى ما هو أدعى إلى قبول وساوسه و أضاليله.

و قد فسر قوم المعنى الأول فقالوا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ من جهه الدنيا و مِنْ خَلْفِهِمْ من جهه الآخره و عَنْ أَيْمَانِهِم الحسنيات و عَنْ شَمَائِلِهِمْ أى يحثهم على طلب الدنيا و يؤيسهم من الآخره و يثبطهم عن الحسنيات و يغريهم بالسينات.

قوله ليقتمح غفلته أى ليلج و يهجم عليه و هو غافل جعل اقتحامه إياه اقتحاماً للغره نفسها لما كانت غالبه عليه.

و يستلب غرته

ليس المعنى باستلابه الغره أن يرفعها و يأخذها لأنه لو كان كذلك لصار ذلك الغافل المغتر فاقدا للغفله و الغره و كان لبيبا فطنا فلا يبقى له سبيل عليه و إنما المعنى بقوله و يستلب غرته ما يعنيه الناس بقولهم أخذ فلان غفلتى و فعل كذا.

و معنى أخذها هنا أخذ ما يستدل به على غفلتى .

و فلتته أمر وقع من غير تثبت و لا رويه.

و نزغه كلمه فاسده من نزغات الشيطان أى من حركاته القبيحه التى يستفسد بها مكلفين و لا يثبت بها نسب و لا يستحق بها إرث لأن المقر بالزناء لا يلحقه النسب و لا يرثه المولود

٤٢٩٩

لقوله ص

الولد للفراش و للعاهر الحجر.

نسب زياد ابن أبيه و ذكر بعض أخباره و كتبه و خطبه

فأما زياد فهو زياد بن عبيد و من الناس من يقول عبيد بن فلان و ينسبه إلى

ص: ١٧٩

ثقيف و الأكثرون يقولون إن عبيدا كان عبدا و إنه بقى إلى أيام زياد فابتاعه و أعتقه و سنذكر ما ورد فى ذلك و نسبه زياد لغير أبيه لخمول أبيه و الدعوه التى استلحق بها فقبل تاره زياد بن سمييه و هى أمه و كانت أمه للحارث بن كلده بن عمرو بن علاج الثقفى طبيب العرب و كانت تحت عبيد .

و قيل تاره زياد ابن أبيه و قيل تاره زياد ابن أمه و لما استلحق قال له أكثر الناس زياد بن أبى سفيان لأن الناس مع الملوكة الذين هم مظنه الرهبه و الرغبه و ليس أتباع الدين بالنسبه إلى أتباع الملوكة إلا كالقطره فى البحر المحيط فأما ما كان يدعى به قبل الاستلحاق فزياد بن عبيد و لا يشك فى ذلك أحد.

٤٣٠٠

١- و روى أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الإستيعاب عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن أبى صالح عن ابن عباس أن عمر بعث زيادا فى إصلاح فساد واقع باليمن فلما رجع من وجهه خطب عند عمر خطبه لم يسمع مثلها و أبو سفيان حاضر و على ع و عمرو بن العاص فقال عمرو بن العاص لله أبو هذا الغلام لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان إنه لقرشى و إنى لأعرف الذى وضعه فى رحم أمه فقال على ع و من هو قال أنا فقال مهلا يا أبا سفيان فقال أبو سفيان أما و الله لو لا خوف شخص

عنى بقوله لو لا خوف شخص عمر بن الخطاب (١)

ص: ١٨٠

(١-١) الاستيعاب ٢٠١ و ما بعدها.

و روى أحمد بن يحيى البلاذرى قال تكلم زياد و هو غلام حدث بحضره عمر كلاما أعجب الحاضرين فقال عمرو بن العاص لله أبوه لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان أما والله إنه لقرشى و لو عرفته لعرفت أنه خير من أهلك فقال و من أبوه قال أنا و الله وضعته فى رحم أمه فقال فهلا تستلحقه قال أخاف هذا العير الجالس أن يخرق على إهابى.

٤٣٠١

١- و روى محمد بن عمر الواقدى قال قال أبو سفيان و هو جالس عند عمر و على هناك و قد تكلم زياد فأحسن أبت المناقب إلا- أن تظهر فى شمائل زياد فقال على ع من أى بنى عبد مناف هو قال ابنى قال كيف قال أتيت أمه فى الجاهليه سفاحا فقال على ع مه يا أبا سفيان فإن عمر إلى المساءه سريع قال فعرف زياد ما دار بينهما فكانت فى نفسه

٤٣٠٢

١- و روى على بن محمد المدائنى قال لما كان زمن على ع ولى زيادا فارس أو بعض أعمال فارس فضبطها ضبطا صالحا و جى خراجها و حماها و عرف ذلك معاويه فكتب إليه أما بعد فإنه غرتك قلاع تأوى إليها ليلا كما تأوى الطير إلى وكرها و ايم الله لو لا انتظارى بك ما الله أعلم به لكان لك منى ما قاله العبد الصالح فلنأتيهم بجنود لا قبل لهم بها و لنخرجهم منها أدله و هم صاغزون (١) و كتب فى أسفل الكتاب شعرا من جملته تنسى أباك و قد شالت نعامته إذ يخطب الناس و الوالى لهم عمر .

فلما ورد الكتاب على زياد قام فخطب الناس و قال العجب من ابن آكله الأكباد و رأس النفاق يهددنى و بينى و بينه ابن عم رسول الله ص و زوج سيده نساء العالمين و أبو السبطين و صاحب الولايه و المنزله و الإخاء فى مائه ألف

ص: ١٨١

من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان أما والله لو تخطى هؤلاء أجمعين إلى لوجدني أحمر مخشا (١) ضرابا بالسيف ثم كتب إلى علي ع وبعث بكتاب معاوية في كتابه.

فكتب إليه علي ع وبعث بكتابه أما بعد فإنني قد وليتك ما وليتك و أنا أراك لذلك أهلا و إنه قد كانت من أبي سفيان فلتته في أيام عمر من أمانى التيه و كذب النفس لم تستوجب بها ميراثا و لم تستحق بها نسبا و إن معاوية كالشيطان الرجيم يأتي المرء من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله فاحذره ثم احذره ثم احذره و السلام

٤٣٠٣

١،٢- و روى أبو جعفر محمد بن حبيب قال كان علي ع قد ولي زيادا قطعه من أعمال فارس و اصطنعه لنفسه فلما قتل علي ع بقي زياد في عمله و خاف معاوية جانبه و علم صعوبه ناحيته و أشفق من ممالأته الحسن بن علي ع .

فكتب إليه من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن عبيد أما بعد فإنك عبد قد كفرت النعمه و استدعيت النقمه و لقد كان الشكر أولى بك من الكفر و إن الشجره لتضرب بعرقها و تتفرع من أصلها إنك لا أم لك بل لا أب لك قد هلكت و أهلكت و ظننت أنك تخرج من قبضتي و لا- ينالك سلطاني هيهات ما كل ذي لب يصيب رأيه و لا كل ذي رأى ينصح في مشورته أمس عبد و اليوم أمير خطه ما ارتقاها مثلك يا ابن سميهِ و إذا أتاك كتابي هذا فخذ الناس بالطاعه و البيعه و أسرع الإجابة فإنك أن تفعل فدمك حققت و نفسك تداركت و إلا اختطفتك

ص: ١٨٢

(١ - ١) المخش: الماضي الجريء، و في ب: «مخبا»، و الصواب ما أثبتته من ا.

بأضعف ريش (١) و نلتك بأهون سعى و أقسم قسما مبرورا إلا أوتى بك إلا فى زماره (٢) تمشى حافيا من أرض فارس إلى الشام حتى أقيمك فى السوق و أبيعك عبدا و أردك إلى حيث كنت فيه و خرجت منه و السلام.

فلما ورد الكتاب على زياد غضب غضبا شديدا و جمع الناس و صعد المنبر فحمد الله ثم قال ابن آكله الأكباد و قاتله أسد الله و مظهر الخلاف و مسر النفاق و رئيس الأحزاب و من أنفق ماله فى إطفاء نور الله كتب إلى يرعد و يبرق عن سحابه جفل لا ماء فيها و عما قليل تصيرها الرياح قزعا و الذى يدلنى على ضعفه تهدده قبل القدره أ فمن إشفاق على تنذر و تعذر كلا و لكن ذهب إلى غير مذهب و قعق لمن ربي (٣) بين صواعق تهامه كيف أرهبه و بينى و بينه ابن بنت رسول الله ص و ابن ابن عمه فى مائه ألف من المهاجرين و الأنصار و الله لو أذن لى فيه أو ندبنى إليه لأريته الكواكب نهارا و لأسعطته ماء الخردل دونه الكلام اليوم و الجمع غدا و المشوره بعد ذلك إن شاء الله ثم نزل.

و كتب إلى معاويه أما بعد فقد وصل إلى كتابك يا معاويه و فهمت ما فيه فوجدتك كالغريق يغطيه الموج فيتشبث بالطحلب و يتعلق بأرجل الضفادع طمعا فى الحياه إنما يكفر النعم و يستدعى النقم من حاد الله و رسوله و سعى فى الأرض فسادا فأما سببك لى فلو لا حلم ينهانى عنك و خوفى أن أدعى سفيها لأثرت لك مخازى لا يغسلها الماء و أما تعبيرك لى بسميه فإن كنت ابن سمييه فأنت ابن جماعه و أما زعمك أنك تختطفنى بأضعف ريش و تتناولنى بأهون سعى فهل رأيت بازيا يفرغه صغير

ص: ١٨٣

١-١) بأضعف ريش؛ يريد بأضعف قوه؛ و كانوا يلزقون الريش على السهم ليقووه و يستردوه.

٢-٢) أى فى جماعه زماره تزر حولك بالمزامير لتشهيرك و التشنيع عليك.

٣-٣) كذا فى ا، و فى ب: «رئى».

القنابر أم هل سمعت بذئب أكله خروف فامض الآن لطيتك و اجتهد جهدك فلست أنزل إلا بحيث تكره و لا أجتهد إلا فيما يسوؤك و ستعلم أينا الخاضع لصاحبه الطالع إليه و السلام.

فلما ورد كتاب زياد على معاوية غمه و أحزنه و بعث إلى المغيرة بن شعبه فخلاب به و قال يا مغيره إنى أريد مشاورتك فى أمر أهمنى فانصحنى فيه و أشر على برأى المجتهد و كن لى أكن لك فقد خصصتك بسرى و آثرتك على ولدى قال المغيره فما ذاك و الله لتجدنى فى طاعتك أمضى من الماء إلى الحدور و من ذى الروتق فى كف البطل الشجاع قال يا مغيره إن زيادا قد أقام بفارس يكش لنا كشيح الأفاعى و هو رجل ثاقب الرأى ماضى العزيمه جوال الفكر مصيب إذا رمى و قد خفت منه الآن ما كنت آمنه إذ كان صاحبه حيا و أخشى ممالأته حسنا فكيف السبيل إليه و ما الحيله فى إصلاح رأيه قال المغيره أنا له إن لم أمت إن زيادا رجل يحب الشرف و الذكر و صعود المنابر فلو لاطفته المسأله و ألت له الكتاب لكان لك أميل و بك أوثق فاكتب إليه و أنا الرسول فكتب معاوية إليه من أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان إلى زياد بن أبى سفيان أما بعد فإن المرء ربما طرحه الهوى فى مطارح العطب و إنك للمرء المضروب به المثل قاطع الرحم و واصل العدو و حملك سوء ظنك بى و بغضك لى على أن عقت قرابتى و قطعت رحمى و بتت (١) نسبى و حرمتى حتى كأنك لست أخى و ليس صخر بن حرب أباك و أبى و شتان ما بينى و بينك أطلب بدم ابن أبى العاص (٢) و أنت تقاتلنى و لكن أدركك عرق الرخواه من قبل النساء فكنت

ص: ١٨٤

١-١) بتت:قطعت.

٢-٢) أى عثمان؛و هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أميه.

و قد رأيت أن أعطف عليك و لا أؤاخذك بسوء سعيك و أن أصل رحمك و أبتغي الثواب في أمرك فاعلم أبا المغيرة إنك لو خضت البحر في طاعه القوم فتضرب بالسيف حتى انقطع منته لما ازددت منهم إلا بعدا فإن بني عبد شمس أبغض إلى بني هاشم من الشفراء إلى الثور الصريع و قد أوثق للذبح فارجع رحمك الله إلى أصلك و اتصل بقومك و لا تكن كالموصول بريش (١) غيره فقد أصبحت ضال النسب و لعمرى ما فعل بك ذلك إلا اللجاج فدعه عنك فقد أصبحت على بينه من أمرك و وضوح من حجتك فإن أحببت جانبى و وثقت بى فأمره بأمره و إن كرهت جانبى و لم تثق بقولى ففعل جميل لا على و لا لى و السلام.

فرحل المغيرة بالكتاب حتى قدم فارس فلما رآه زياد قربه و أدناه و لطف به فدفع إليه الكتاب فجعل يتأمله و يضحك فلما فرغ من قراءته وضعه تحت قدمه ثم قال حسبك يا مغيرة فإنى أطلع على ما فى ضميرك و قد قدمت من سفره بعيده فقم و أرح ركابك قال أجل فدع عنك اللجاج يرحمك الله و ارجع إلى قومك و صل أخاك و انظر لنفسك و لا تقطع رحمك قال زياد إنى رجل صاحب أناه و لى فى أمرى رويه فلا تعجل على و لا تبدأنى بشىء حتى أبدأك ثم جمع الناس بعد يومين أو ثلاثه فصعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أيها الناس ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم و ارجعوا إلى الله فى دوام العافيه لكم فقد نظرت فى أمور الناس منذ قتل عثمان و فكرت فيهم فوجدتهم كالأضاحى فى كل عيد يذبحون و لقد أفنى هذان اليومان يوم الجمل و صفين ما ينيف على مائه ألف كلهم يزعم أنه طالب حق و تابع إمام و على بصيره من أمره فإن كان الأمر هكذا فالقاتل و المقتول فى الجنه كلا

ليس كذلك و لكن أشكل الأمر و التبس على القوم و إنى لخائف أن يرجع الأمر كما بدأ فكيف لامرئ بسلامه دينه و قد نظرت فى أمر الناس فوجدت أحد العاقبتين العافيه و سأعمل فى أموركم ما تحمدون عاقبتة و مغبته فقد حمدت طاعتكم إن شاء الله ثم نزل و كتب جواب الكتاب أما بعد فقد وصل كتابك يا معاويه مع المغيره بن شعبه و فهمت ما فيه فالحمد لله الذى عرفك الحق و ردك إلى الصله و لست ممن يجهل معروفًا و لا يغفل حسبا و لو أردت أن أجيبك بما أوجبتة الحجه و احتمله الجواب لطال الكتاب و كثر الخطاب و لكنك إن كنت كتبت كتابك هذا عن عقد صحيح و نيه حسنه و أردت بذلك برا فستزرع فى قلبى موده و قبولًا- و إن كنت إنما أردت مكيدته و مكرا و فساد نيه فإن النفس تأبى ما فيه العطب و لقد قمت يوم قرأت كتابك مقاما يعبأ به الخطيب المدره فتركت من حضر لا أهل ورد و لا صدر كالمتهجرين بمهمه ضل بهم الدليل و أنا على أمثال ذلك قدير و كتب فى أسفل الكتاب إذا معشرى لم ينصفونى وجدتنى

فأعطاه معاويه جميع ما سأله و كتب إليه بخط يده ما وثق به فدخل إليه الشام فقربه و أدناه و أقره على ولايته ثم استعمله على العراق .

و روى على بن محمد المدائنى قال لما أراد معاويه استلحاق زياد و قد قدم عليه الشام جمع الناس و صعد المنبر و أصعد زيادا معه فأجلسه بين يديه على المرقاه التى تحت مرقاته و حمد الله و أثنى عليه ثم قال أيها الناس إنى قد عرفت نسبنا أهل البيت فى زياد فمن كان عنده شهاده فليقم بها فقام ناس فشهدوا أنه ابن أبى سفيان و أنهم سمعوا ما أقر به قبل موته فقام أبو مريم السلولى و كان خمارا فى الجاهليه فقال أشهد يا أمير المؤمنين أن أبا سفيان قدم علينا بالطائف فأتاني فاشتريت له لحما و خمرا و طعاما فلما أكل قال يا أبا مريم أصب لى بغيا فخرجت فأتيت بسميه فقلت لها إن أبا سفيان ممن قد عرفت شرفه و جوده و قد أمرنى أن أصيب له بغيا فهل لك فقالت نعم يجيء الآن عبيد بغمه و كان راعيا فإذا تعشى و وضع رأسه أتيتته فرجعت إلى أبى سفيان فأعلمته فلم نلبث أن جاءت تجر ذيلها فدخلت معه فلم تزل عنده حتى أصبحت فقلت له لما انصرفت كيف رأيت صاحبك قال خير صاحبه لو لا ذفر فى إبطيها.

فقال زياد من فوق المنبر يا أبا مريم لا تشتم أمهات الرجال فتشتم أمك.

فلما انقضى كلام معاويه و مناشدته قام زياد و أنصت الناس فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أيها الناس إن معاويه و الشهود قد قالوا ما سمعتم و لست أدرى حق هذا من باطله و هو و الشهود أعلم بما قالوا و إنما عبيد أب مبرور و وال مشكور ثم نزل.

و روى شيخنا أبو عثمان أن زيادا مر و هو والى البصره بأبى العريان العدوى و كان شيخا مكفوبا ذا لسن و عارضه شديده فقال أبو العريان ما هذه الجلبه قالوا زياد بن أبى سفيان قال و الله ما ترك أبو سفيان إلا يزيد و معاويه و عتبه و عنبسه و حنظله و محمدا فمن أين جاء زياد فبلغ الكلام زيادا و قال له قائل لو سددت

عنك فم هذا الكلب فأرسل إليه بمائتي دينار فقال له رسول زياد إن ابن عمك زيادا الأمير قد أرسل إليك مائتي دينار لتنفقها فقال وصلته رحم إى و الله ابن عمى حقا ثم مر به زياد من الغد فى موكبه فوقف عليه فسلم و بكى أبو العريان فقيل له ما بيكيك قال عرفت صوت أبى سفيان فى صوت زياد فبلغ ذلك معاويه فكتب إلى أبى العريان ما ألبثتك الدنانير التى بعثت

فلما قرئ كتاب معاويه على أبى العريان قال اكتب جوابه يا غلام أحدث لنا صلته تحيا النفوس بها

و روى أبو عثمان أيضا قال كتب زياد إلى معاويه ليستأذنه فى الحج فكتب إليه إنى قد أذنت لك و استعملتك على الموسم و أجزتك بألف ألف درهم فىنا هو يتجهز إذ بلغ ذلك أبا بكره أخاه و كان مصارما له منذ لجلج فى الشهاده على المغيره بن شعبه أيام عمر لا يكلمه قد لزمته أيمان عظيمه ألا يكلمه أبدا فأقبل أبو بكره يدخل القصر يريد زيادا فبصر به الحاجب فأسرع إلى زياد قائلا أيها الأمير هذا أخوك أبو بكره قد دخل القصر قال ويحك أنت رأيتة قال ها هو ذا قد طلع و فى حجر زياد بنى يلاعبه و جاء أبو بكره حتى وقف عليه فقال للغلام كيف أنت يا غلام إن أباك ركب فى الإسلام عظيما زنى أمه و انتفى من أبيه و لا و الله ما علمت سميته رأت

أبا سفيان قط ثم أبوك يريد أن يركب ما هو أعظم من ذلك يوافي الموسم غدا و يوافي أم حبيبه بنت أبي سفيان و هي من أمهات المؤمنين فإن جاء يستأذن (١) عليها فأذنت له فأعظم بها فريه على رسول الله ص و مصيبه و إن هي منعتة فأعظم بها على أبيك فضيحه ثم انصرف فقال جزاك الله يا أخي عن النصيحه خيرا ساخطا كنت أو راضيا ثم كتب إلى معاويه إنى قد اعتلتت عن الموسم فليوجه إليه أمير المؤمنين من أحب فوجه عتبه بن أبي سفيان .

فأما أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الإستيعاب فإنه قال لما ادعى معاويه زيادا فى سنه أربع و أربعين و ألحقه به أخا زوج ابنته من ابنه محمد بن زياد ليؤكد بذلك صحه الاستلحاق و كان أبو بكره أخا زياد لأمه أمهما جميعا سميها فحلف ألا يكلم زيادا أبدا و قال هذا زنى أمه و انتفى من أبيه و لا و الله ما علمت سميها رأت أبا سفيان قبل (٢) و يله ما يصنع بأم حبيبه أ يريد أن يراها فإن حجته فضحته و إن رآها فى لها مصيبه يهتك من رسول الله ص حرمه عظيمه.

و حج زياد مع معاويه و دخل المدينة فأراد الدخول على أم حبيبه ثم ذكر قول أبى بكره فانصرف عن ذلك و قيل إن أم حبيبه حجته و لم تأذن له فى الدخول عليها و قيل إنه حج و لم يرد (٣) المدينة من أجل قول أبى بكره و إنه قال جزى الله أبا بكره خيرا فما يدع النصيحه فى حال و روى أبو عمر بن عبد البر فى هذا الكتاب قال دخل بنو أميه و فيهم عبد الرحمن بن الحكم على معاويه أيام ما استلحق زيادا فقال له عبد الرحمن يا معاويه لو لم تجد إلا الزنج لاستكثرت بهم علينا قله و ذله يعنى على بنى أبى العاص فأقبل معاويه

ص: ١٨٩

١-١) ب: «أن يستأذن».

٢-٢) ا و الاستيعاب: «قط».

٣-٣) ا: «يزر».

على مروان وقال أخرج عنا هذا الخليع فقال مروان إى و الله إنه لخليع ما يطاق فقال معاويه و الله لو لا حلمى و تجاوزى لعلمت أنه يطاق أ لم يبلغنى شعره فى و فى زياد ثم قال مروان أسمعنيه فأنشد أأ أبلغ معاويه بن حرب

ثم قال (١) و الله لا أرضى عنه حتى يأتى زيادا فيترضاه و يعتذر إليه فجاء عبد الرحمن إلى زياد معتذرا يستأذن عليه فلم يأذن له فأقبلت قريش إلى زياد تكلمه فى أمر عبد الرحمن فلما دخل سلم فتشاورس له زياد بعينه و كان يكسر عينه فقال له زياد أنت القائل ما قلت قال عبد الرحمن ما الذى قلت قال قلت ما لا يقال قال أصلح الله الأمير إنه لا ذنب لمن أعتب و إنما الصفح عنم أذنب فاسمع منى ما أقول قال هات فأنشده إليك أبا المغيره تبت مما

ص : ١٩٠

١ - ١) بعدها فى الاستيعاب: «و هذه الأبيات تروى ليزيد بن ربيعه بن مفرغ الحميرى الشاعر؛ و من رواها له جعل أولها: أأ أبلغ معاويه بن حرب مغلغله من الرجل اليماني و ذكر الأبيات كما ذكرناها سواء».

فقال زياد أراك أحرق صرفا شاعرا ضيع اللسان يسوغ لك ريقك ساخطا و مسخوطا و لكننا قد سمعنا شعرك و قبلنا عذرك فهات حاجتك (١) قال تكتب إلى أمير المؤمنين بالرضا عنى قال نعم، ثم دعا كاتبه فكتب له بالرضا عنه (٢) فأخذ كتابه و مضى حتى دخل على معاوية فلما قرأه قال لحا الله زيادا لم يتنبه لقوله و إن زياده فى آل حرب .

ثم رضى عن عبد الرحمن و رده إلى حالته.

و أما أشعار يزيد بن مفرغ الحميرى و هجاؤه عبيد الله و عبادا ابني زياد بالدعوه فكثيره مشهوره نحو قوله أ عباد ما للؤم عنك تحول (٣)

و نحو قوله شهدت بأن أمك لم تباشر أبا سفيان واضعه القناع

ص: ١٩١

١ - ١ - ١) الاستيعاب: (قال: كتاب إلى أمير المؤمنين بالرضا عنى، قال: نعم، ثم دعا كاتبه فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من زياد بن أبي سفيان؛ فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو؛ أما بعد فإنه... و ذكر الخير).

٢ - ١ - ١) الاستيعاب: (قال: كتاب إلى أمير المؤمنين بالرضا عنى، قال: نعم، ثم دعا كاتبه فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من زياد بن أبي سفيان؛ فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو؛ أما بعد فإنه... و ذكر الخير).

و لكن كان أمر فيه لبس

و نحو قوله إن زيادا و نافعا و أبا بكره كان عبيد الله بن زياد يقول ما شجيت بشيء أشد على من قول ابن مفرغ فكر ففى ذاك
إن فكرت معتبر

و يقال إن الأبيات النونية المنسوبة إلى عبد الرحمن بن أم الحكم ليزيد بن مفرغ و إن أولها أ لا أبلغ معاويه بن حرب مغلغله من
الرجل اليماني.

و نحو قوله و قد باع برد غلامه لما حبسه عباد بن زياد بسجستان يا برد ما مسنا دهر أضر بنا

و نحو قوله أبلغ لديك بنى قحطان مألکه

ص: ١٩٢

و روى ابن الكلبي أن عبادة استلحقه زياد كما استلحق معاوية زيادا كلاهما لدعوه قال لما أذن لزياد فى الحج تجهز فينا هو يتجهز و أصحاب القرب يعرضون عليه قريهم إذ تقدم عبادة و كان خرازا فصار يعرض عليه و يحاوره و يجيبه فقال زياد ويحك من أنت قال أنا ابنك قال ويحك و أى بنى قال قد وقعت على أمى فلانه و كانت من بنى كذا فولدتنى و كنت فى بنى قيس بن ثعلبه و أنا مملوك لهم فقال صدقت و الله إنى لأعرف ما تقول فبعث فاشتره و ادعاه و ألحقه و كان يتعهد بنى قيس بن ثعلبه بسببه و يصلهم و عظم أمر عبادة حتى و لاه معاوية سجستان بعد موت زياد و لى أخاه عبيد الله البصره فتزوج عبادة السبويه (١) ابنه أنيف بن زياد الكلبي فقال الشاعر يخاطب أنيفا و كان سيد كلب فى زمانه أبلغ لديك أبا تركان مألکه (٢)

و قال الحسن البصرى ثلاث كن فى معاوية لو لم تكن فيه إلا واحده منهن لكانت موبقه انتزأه على هذه الأمه بالسفهاء حتى ابتزها أمرها و استلحقه زيادا مراغمه

٤٣٠٤

لقول رسول الله الولد للفراش و للعاهر الحجر.

و قتله حجر بن عدى فيا و يله من حجر و أصحاب حجر .

ص: ١٩٣

١-١) كذا فى ب: «الشتره».

٢-٢) ب: «بركان».

١٤، ٢- و روى الشرقى بن القطامى قال كان سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس شيعه لعلى بن أبى طالب ع فلما قدم زياد الكوفه طلبه و أخافه فأتى الحسن بن على ع مستجيرا به فوثب زياد على أخيه و ولده و امرأته فحبسهم و أخذ ماله و نقض داره فكتب الحسن بن على ع إلى زياد أما بعد فإنك عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم و عليه ما عليهم فهدمت داره و أخذت ماله و حبست أهله و عياله فإن أتاك كتابى هذا فابن له داره و اردد عليه عياله و ماله و شفعنى فيه فقد أجرته و السلام.

فكتب إليه زياد من زياد بن أبى سفيان إلى الحسن بن فاطمه أما بعد فقد أتانى كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلى و أنت طالب حاجه و أنا سلطان و أنت سوقه و تأمرنى فيه بأمر المطاع المسلط على رعيته كتبت إلى فى فاسق آويته إقامه منك على سوء الرأى و رضا منك بذلك و ايم الله لا- تسبقنى به و لو كان بين جلدك و لحمك و إن نلت بعضك غير رفيق بك و لا مرع عليك فإن أحب لحم على أن آكله للحم الذى أنت منه فسلمه بجريته إلى من هو أولى به منك فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك فيه و إن قتلته لم أقتله إلا لحبه أباك الفاسق و السلام.

فلما ورد الكتاب على الحسن ع قرأه و تبسم و كتب بذلك إلى معاويه و جعل كتاب زياد عطفه و بعث به إلى الشام و كتب جواب كتابه كلمتين لا ثالثه لهما من الحسن بن فاطمه إلى زياد بن سمييه أما بعد فإن رسول الله ص قال الولد للفراش و للعاهر الحجر و السلام.

فلما قرأ معاويه كتاب زياد إلى الحسن ضاقت به الشام و كتب إلى زياد أما بعد فإن الحسن بن على بعث إلى بكتابك إليه جوابا عن كتاب كتبه

إليك في ابن سرح فأكثر العجب منك و علمت أن لك رأيين أحدهما من أبي سفيان و الآخر من سميهِ فأما الذي من أبي سفيان فحلم و حزم و أما الذي من سميهِ فما يكون من رأى مثلها من ذلك كتابك إلى الحسن تشتم أباه و تعرض له بالفسق و لعمرى إنك الأولى بالفسق من أبيه فأما أن الحسن بدأ بنفسه ارتفاعاً عليك فإن ذلك لا يضعك لو عقلت و أما تسلطه عليك بالأمر فحق لمثل الحسن أن يتسلط و أما تركك تشفيعه فيما شفع فيه إليك فحظ دفعته عن نفسك إلى من هو أولى به منك فإذا ورد عليك كتابي فخل ما في يديك لسعيد بن أبي سرح و ابن له داره و اردد عليه ماله و لا تعرض له فقد كتبت إلى الحسن أن يخيره إن شاء أقام عنده و إن شاء رجع إلى بلده و لا سلطان لك عليه لا بيد و لا لسان و أما كتابك إلى الحسن باسمه و اسم أمه و لا- تنسبه إلى أبيه فإن الحسن ويحك من لا يرمى به الرجوان (١) و إلى أى أم و كلته لا- أم لك أ ما علمت أنها فاطمه بنت رسول الله ص فذاك أفخر له لو كنت تعلمه (٢) و تعقله و كتب في أسفل الكتاب شعراً من جملته أما حسن فابن الذي كان قبله

ص: ١٩٥

١ - ١) الرجا: ناحيه كل شىء، و خص بعضهم به ناحيه البئر من أعلاها إلى أسفلها و حافتيها؛ و يقال: رمى به الرجوان: استهين به، فكأنه رمى به هنالك؛ أرادوا أنه طرح في المهالك؛ قال: لقد هزئت منى بنجران أن رأيت مقامى فى الكبلين أم أبان كأن لم ترى قبلى أميرا مكبلا و لا رجلا يرمى به الرجوان أى لا يستطيع أن يستمسك.
٢ - ٢) ساقطه من ب.

و روى الزبير بن بكار فى الموفقيات أن عبد الملك أجرى خيلا فسبقه عباد بن زياد فأنشد عبد الملك سبق عباد و صلت لحيته و كان خرازا تجود قربته.

فشكا عباد قول عبد الملك إلى خالد بن يزيد بن معاوية فقال له أما و الله لأنصفنك منه بحيث يكره فزوجه أخته فكتب الحجاج إلى عبد الملك يا أمير المؤمنين إن مناكح آل أبي سفيان قد ضاعت فأخبر عبد الملك خالد بما كتب به الحجاج فقال خالد يا أمير المؤمنين ما أعلم امرأه منا ضاعت و نزلت إلا عاتكة بنت يزيد بن معاوية فإنها عندك و لم يعن الحجاج غيرك قال عبد الملك بل عنى الدعى ابن الدعى عبادا قال خالد يا أمير المؤمنين ما أنصفتنى أدعى رجلا ثم لا أزوجه إنما كنت ملوما لو زوجت دعيك فأما دعى فلم لا أزوجه.

فأما أول ما ارتفع به زياد فهو استخلاف ابن عباس له على البصره فى خلافه على ع و بلغت عليا عنه هنات فكتب إليه يلومه و يؤنبه فمنها الكتاب الذى ذكر الرضى رحمه الله بعضه و قد شرحنا فيما تقدم ما ذكر الرضى منه

٤٣٠٦

١٤،١- و كان على ع أخرج إليه سعدا مولاه يحثه على حمل مال البصره إلى الكوفه و كان بين سعد و زياد ملاحاه و منازعه و عاد سعد و شكاه إلى على ع و عابه فكتب على ع إليه أما بعد فإن سعدا ذكر أنك شتمته ظلما و هددته و جبهته تجبرا و تكبرا فما دعاك إلى التكبر و قد قال رسول الله ص الكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه قصمه و قد أخبرنى أنك تكثر من الألوان المختلفه فى الطعام فى اليوم الواحد

ص: ١٩٦

و تدهن كل يوم فما عليك لو صمت لله أياما و تصدقت ببعض ما عندك محتسبا و أكلت طعامك مرارا قفارا فإن ذلك شعار الصالحين أفتطمع و أنت متمرغ في النعيم تستأثر به على الجار و المسكين و الضعيف و الفقير و الأرملة و اليتيم أن يحسب لك أجر المتصدقين و أخبرني أنك تتكلم بكلام الأبرار و تعمل عمل الخاطئين فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت و عملك أحبطت فتب إلى ربك يصلح لك عملك و اقتصد في أمرك و قدم إلى ربك الفضل ليوم حاجتك و ادهن غبا فإنى سمعت رسول الله ص يقول ادهنوا غبا و لا تدهنوا رفها (١).

فكتب إليه زياد أما بعد يا أمير المؤمنين فإن سعدا قدم على فأساء القول و العمل فانتهرته و زجرته و كان أهلا لأكثر من ذلك و أما ما ذكرت من الإسراف و اتخاذ الألوان من الطعام و النعم فإن كان صادقا فأثابه الله ثواب الصالحين و إن كان كاذبا فوقاه الله أشد عقوبه الكاذبين و أما قوله إنى أصف العدل و أخالفه إلى غيره فإنى إذن من الأخسرين فخذ يا أمير المؤمنين بمقال قلته فى مقام قمته الدعوى بلا بينه كالسهم بلا نصل فإن أتاك بشاهدى عدل و إلا تبين لك كذبه و ظلّمه

و من كلام زياد تأخير جزاء المحسن لئوم و تعجيل عقوبه المسىء طيش.

و كتب إليه معاويه أما بعد فاعزل حريث بن جابر عن العمل فإنى لا أذكر مقاماته بصفين إلا كانت حزازه فى صدرى فكتب إليه زياد أما بعد فخفض عليك يا أمير المؤمنين فإن حريثا قد سبق شرفا لا يرفعه معه عمل و لا يضعه معه عزل.

ص: ١٩٧

(١-١) الرفه و الإرفاه: كثره التدهن و التنعم.

و قال لابنه عبيد الله عليك بالحجاب و إنما اجترأت الرعاه على السباع بكثرة نظرها إليها.

و من كلامه أحسنوا إلى أهل الخراج فإنكم لا تزالون سمانا ما سمنا.

قدم رجل خصما له إلى زياد في حق له عليه و قال أيها الأمير إن هذا يدل بخاصه ذكر أنها له منك قال زياد صدق و سأخبرك بما ينفعه عندي من خاصته و مودته إن يكن له الحق عليك آخذك به أخذنا عنيفا و إن يكن الحق لك قضيت عليه ثم قضيت عنه.

و قال ليس العاقل من يحتال للأمر إذا وقع فيه لكن العاقل من يحتال للأمر ألا يقع فيه.

و قال في خطبه له إلا رب مسرور بقدمنا لا نسرره و خائف ضرنا لا نضره.

كان مكتوبا في الحيطان الأربعة في قصر زياد كتابه بالجص أربعة أسطر أولها الشده في غير عنف و اللين في غير ضعف و الثاني المحسن مجازي يا حسانه و المسيء يكافأ بإساءته و الثالث العطيات و الأرزاق في إبانها و أوقاتها و الرابع لا احتجاب عن صاحب ثغر و لا عن طارق ليل.

و قال يوما على المنبر إن الرجل ليتكلم بالكلمه يشفى بها غيظه لا يقطع بها ذنب عنز فتضره لو بلغتنا عنه لسفكنا دمه.

و قال ما قرأت كتاب رجل قط إلا عرفت عقله منه.

و قال في خطبه استوصوا بثلاثة منكم خيرا الشريف و العالم و الشيخ فو الله لا يأتيني و ضيع بشريف يستخف به إلا انتقمته منه أو شاب بشيخ يستخف به إلا أوجعته ضربا و لا جاهل بعالم يستخف به إلا نكلت به.

وقيل لزياد ما الحظ قال أن يطول عمر ك و ترى فى عدوك ما يسرك.

قيل كان زياد يقول هما طريقان للعامه الطاعه و السيف.

و كان المغيره يقول لا و الله حتى يحملوا على سبعين طريقا غير السيف.

و قال الحسن البصرى لرجل أ لا تحدثنى بخطبتى زياد و الحجاج حين دخلا العراق قال بلى أما زياد فلما قدم البصره حمد الله و أثنى عليه ثم قال أما بعد فإن معاويه غير مخوف على قومه و لم يكن ليلحق بنسبه من ليس منه و قد شهدت الشهود بما قد بلغكم و الحق أحق أن يتبع و الله حيث وضع البيئات كان أعلم و قد رحلت عنكم و أنا أعرف صديقى من عدوى ثم قدمت عليكم و قد صار العدو صديقا مناصحا و الصديق عدوا مكاشحا فليشتمل كل امرئ على ما فى صدره و لا يكونن لسانه شفره تجرى على أوداجه و ليعلم أحدكم إذا خلا بنفسه أنى قد حملت سيفى بيدي فإن أشهره لم أغمده و إن أغمده لم أشهره ثم نزل و أما الحجاج فإنه قال من أعياه داؤه فعلى دواؤه و من استبطأ أجله فعلى أن أعجله ألا إن الحزم و العزم استلبا منى سوطى و جعللا سوطى سيفى فنجاهه فى عنقى و قائمه بيدي و ذبابه قلاده لمن اغتربى.

فقال الحسن البؤس لهما ما أغرهما بربهما اللهم اجعلنا ممن يعتبر بهما .

و قال بعضهم ما رأيت زيادا كاسرا إحدى عينيه واضعا إحدى رجله على الأخرى يخاطب رجلا إلا رحمت المخاطب.

و من كلامه نعم الشىء الإمارة لو لا قعقه لجام البريد و تسنم ذروه المنبر.

قال لحاجبه يا عجلان إنى قد وليتك هذا الباب و عزلتك عن أربعه المنادى إذا جاء يؤذن بالصلاه فإنها كانت [□] كتاباً موقوتاً و رسول صاحب الثغر فإنه إن أبطأ

ساعه فسد تدبير سنه و طارق الليل فشر ما جاء به و الطباخ إذا فرغ من الطعام فإنه متى أعيد عليه التسخين فسد.

و كان حارثه بن بدر الغداني قد غلب على زياد و كان حارثه مشتهرا بالشراب فقيل ل زياد في ذلك فقال كيف بإطراح رجل هو يسايرني منذ قدمت العراق فلا يصل ركابه ركابي و لا تقدمني قط فنظرت إلى قفاه و لا تأخر عني فلويت عنقي إليه و لا أخذ على الشمس في شتاء قط و لا الروح في صيف قط و لا سألته عن علم إلا ظننته لا يحسن غيره.

و من كلامه كفى بالبخل عارا أن اسمه لم يقع في حمد قط و كفى بالجود فخرا أن اسمه لم يقع في ذم قط.

و قال ملاك السلطان الشده على المريب و اللين للمحسن و صدق الحديث و الوفاء بالعهد.

و قال ما أتيت مجلسا قط إلا تركت منه ما لو أخذته لكان لي و ترك ما لي أحب إلى من أخذ ما ليس لي.

و قال ما قرأت مثل كتب الربيع بن زياد الحارثي ما كتب إلى كتابا قط إلا في اجترار منفعه أو دفع مضره و لا شاورته يوما قط في أمر مبهم إلا و سبق إلى الرأي.

و قال يعجبني من الرجل إذا أتى مجلسا أن يعلم أين مكانه منه فلا يتعداه إلى غيره و إذا سيم خطه خسف أن يقول لا بلاء فيه.

فأما خطبه زياد المعروفه بالبراء و إنما سميت بذلك لأنه لم يحمد الله فيها و لا صلى على رسوله فقد ذكرها على بن محمد المدائني قال قدم زياد البصره أميرا عليها أيام معاويه و الفسق فيها فاش جدا و أموال الناس منتهبه و السياسه ضعيفه فصعد المنبر فقال

أما بعد فإن الجاهلية الجهلاء (١) و الضلالة العمياء و الغى الموفد لأهله على النار ما فيه سفهاؤكم و يشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ينبت فيها الصغير و لا يتحاشى منها الكبير كأنكم لم تقرأوا كتاب الله و لم تستمعوا ما أعد من الثواب الكثير لأهل طاعته و العذاب الأليم لأهل معصيته فى الزمن السرمذ الذى لا يزول.

أ تكونون كمن طرفت عينه (٢) الدنيا و سدت مسامعه الشهوات و اختار الفانيه على الباقيه لا تذكرون (٣) أنكم أحدثتم فى الإسلام الحدث الذى لم تسبقوا به من ترككم الضعيف يقهر و يؤخذ ماله (٤) و الضعيفه المسلوبه فى النهار المبصر هذا و العدد غير قليل.

أ لم يكن منكم نهاه تمنع الغواه عن دلج الليل (٥) و غاره النهار قربتم القرابه و باعدتم الذين يعتذرون بغير العذر و يعطون (٦) على المختلس كل امرئ منكم يذب عن سيفه صنيع (٧) من لا يخاف عاقبه و لا يرجو معادا ما أنتم بالحلماء و قد اتبعتم السفهاء فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرمه (٨) الإسلام ثم أطرقوا وراءكم كنوسا فى مكانس الريب حرم على الطعام و الشراب حتى أسويها بالأرض هدماء و إحراقا إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله لين فى غير ضعف و شدة فى غير عنف و أنا أقسم بالله لآخذن الولى بالولى و الظاعن بالظاعن و المقبل بالمدبر و الصحيح منكم فى نفسه بالسقيم حتى يلقي الرجل أخاه

ص: ٢٠١

١- (١) الجاهلية الجهلاء؛ ووصف على المبالغه، كما يقال: ليله ليلاء، و يوم أيوم، و همج هامج.

٢- (٢) طرفت عينه الدنيا؛ أى صرفته عن الحق.

٣- (٣) أ: «أ تذكرون».

٤- (٤) بعدها فى البيان: «و هذه المواخير المنصوبه».

٥- (٥) الدلج: السير من أول الليل؛ و قد أدلجوا، فإن ساروا من آخره فآدلجوا، بالثشديد.

٦- (٦) أ و البيان: «و يغضون على المختلس».

٧- (٧) أ و الطبرى: «صنع».

٨- (٨) البيان: «حرم الإسلام».

فيقول انج سعد فقد هلك سعيد (١) أو تستقيم لي قناتكم.

إن كذبه المنبر تلفى (٢) مشهوره فإذا تعلقتم على بكذبه فقد حلت لكم معصيتي من نقب عليه منكم فأنا ضامن لما ذهب منه فإياكم و دلج الليل فإني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه و قد أجلتكم بقدر ما يأتي الخبر الكوفه و يرجع إليكم.

إياكم و دعوى الجاهليه فإني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه و قد أحدثتم أحداثا و قد أحدثنا لكل ذنب عقوبه فمن غرق بيوت قوم غرقناه و من حرق على قوم حرقناه و من نقب على أحد بيتنا نقبنا على قلبه و من نبش قبرا دفناه فيه حيا.

كفوا عنى أيديكم و ألسنتكم أكف عنكم يدي و لسانی و لا- يظهرن من أحدكم خلاف ما عليه عامتكم فأضرب عنقه و قد كانت بيني و بين أقوام إحن فقد جعلت ذلك وراء أذني و تحت قدمي فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا و من كان مسيئا فليزرع عن إساءته إنني لو علمت أن أحدكم قد قتله السلال (٣) من بغضى لم أكشف عنه قناعا و لم أهتك له ستر حتى يبدي لي صفحته فإذا فعل لم أناظره فاستأنفوا أموركم و أعينوا على أنفسكم فرب مبتئس بقدمنا سيسر و مسرور بقدمنا سيأس أيها الناس إنا أصبحنا لكم ساسه و عنكم زاده نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا و نذود عنكم بفيء الله الذي حولناه فلنا عليكم السمع و الطاعه فيما أحببنا و لكم علينا العدل و الإنصاف فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا و فيئنا بمناصحتكم لنا و اعلموا أني مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث لست محتجبا عن طالب حاجه منكم

ص: ٢٠٢

١- ١) سعد و سعيد، هما ابنا ضبه بن أد، خرجا في طلب إبل لأبيهما، فوجدها سعد فردّها، و قتل سعيد، فكان ضبه إذا رأى سوادا تحت الليل قال: سعد أم سعيد!.

٢- ٢) ا: «تبقى»، و في البيان: «بلقاء مشهوره».

٣- ٣) البيان: «السل».

ولا- حابسا عطاء ولا مجمرًا (١). بعثا فادعوا الله بالصالح لأئمتكم فإنهم ساستكم المؤدبون و كهفكم الذى إليه تأوون و متى يصلحوا تصلحوا فلا- تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم و يطول لذلك حزنكم و لا- تدركوا حاجتكم مع أنه لو استجيب لأحد منكم لكان شرا لكم أسأل الله أن يعين كلا على كل و إذا رأيتمنى أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على أذلاله (٢). و ايم الله إن لى فيكم لصرعى كثيره فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاى.

فقام عبد الله بن الأهمم فقال أشهد أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة و فضل الخطاب .

فقال كذبت ذاك نبي الله داود .

فقام الأحنف فقال إنما الثناء بعد البلاء و الحمد بعد العطاء و إنا لا ننسى حتى نبتلى و لا نحمد حتى نعطي فقال زياد صدقت فقام أبو بلال مرداس بن أدية يهمس و يقول أنبأنا الله بغير ما قلت فقال و إبراهيم الذى وفى الأ- ترز وازرة و زر أخرى (٣) فسمعها زياد فقال يا أبا بلال إنا لا نبلغ ما نريد بأصحابك حتى نخوض إليهم الباطل خوضا (٤) .

و روى الشعبى قال قدم زياد الكوفة لما جمعت له مع البصره فدنوت من المنبر لأسمع كلامه فلم أر أحدا يتكلم فيحسن إلا تمنيت أن يسكت مخافه أن يسىء إلا زيادا فإنه كان لا يزداد إكتارا إلا ازداد إحسانا فكنت أتمنى ألا يسكت.

ص: ٢٠٣

١- ١) تجمير الجند: أن يحبسهم فى أرض العدو و يحبسهم عن العود إلى أهلهم.

٢- ٢) على أذلاله؛ على طرفه و وجوهه؛ واحده ذل؛ و هو ما ذلل و مهد من الطريق. (٣) من البيان.

٣- ٤) بعدها فى البيان: «و أنت تزعم أنك تأخذ البرىء بالسقيم، و المطيع يا لعاصى و المقبل بالمدبر».

٤ - ٥) الخطبه رواها الجاحظ فى البيان و التبيين ٢:٦١؛ و هى أيضا فى عيون الأخبار ٢:٢٤١، و نوادر القالى ١:١٨٥، و الطبرى (حوادث ٤٥).

و روى الشعبي أيضا قال لما خطب زياد خطبته البتراء بالبصره و نزل سمع تلك الليله أصوات الناس يتحارسون فقال ما هذا قالوا إن البلد مفتونه و إن المرأه من أهل المصر لتأخذها الفتیان الفساق فيقال لها نادى ثلاث أصوات فإن أجابك أحد و إلا فلا لوم علينا فيما نضع فغضب فقال فقيم أنا و فيم قدمت فلما أصبح أمر فنودى فى الناس فاجتمعوا فقال أيها الناس إنى قد نبث بما أنتم فيه و سمعت ذروا (١) منه و قد أنذرتكم و أجلتكم شهرا مسير الرجل إلى الشام و مسيره إلى خراسان و مسيره إلى الحجاز فمن وجدناه بعد شهر خارجا من منزله بعد العشاء الآخرة قدمه هدر فانصرف الناس يقولون هذا القول كقول من تقدمه من الأمراء فلما كمل الشهر دعا صاحب شرطته عبد الله بن حصين اليربوعي و كانت رجال الشرطه معه أربعة آلاف فقال له هبى خيلك و رجلك فإذا صليت العشاء الآخرة و قرأ القارئ مقدار سبع من القرآن و رفع الطن القصب من القصر فسر و لا تلقين أحدا عبيد الله بن زياد فمن دونه إلا جئتنى برأسه و إن راجعتنى فى أحد ضربت عنقك.

قال فصبح على باب القصر تلك الليله سبعمائه رأس ثم خرج الليله الثانيه فجاء بخمسين رأسا ثم خرج الليله الثالثه فجاء برأس واحد ثم لم يجىء بعدها بشىء و كان الناس إذا صلوا العشاء الآخرة أحضروا إلى منازلهم شدا حثيثا و قد يترك بعضهم نعاله.

كتبت عائشه إلى زياد كتابا فلم تدر ما تكتب عنوانه إن كتبت زياد بن عبيد أو ابن أبيه أغضبتة و إن كتبت زياد بن أبى سفيان أثمت فكتبت من أم المؤمنين إلى ابنها زياد فلما قرأه ضحك و قال لقد لقيت أم المؤمنين من هذا العنوان نصبا

ص: ٢٠٤

١-١) ذروا: أى طرفا.

و قد بلغه أنه دعى إلى وليمه قوم من أهلها فمضى إليها قوله أَمَا بَعِيدٌ يَا ابْنَ حَنِيفٍ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا - مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ - دَعَاكَ إِلَى مَا دُيِّبَ فَاسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ وَ تُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجَفَانُ وَ مَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوفٌ وَ غَيْبُهُمْ مَدْعُوفٌ فَانظُرْ إِلَى مَا تَقْضِيهِ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظُهُ وَ مَا أَيَقَنَّتْ بِطَيْبِ [وَجْهِهِ]

وَجُوهِهِ فَنِلَ مِنْهُ أَلَا - وَ إِنَّ لِكُلِّ مِأْمُومٍ إِمَامًا يَتَّقِدِي بِهِ وَ يَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ أَلَا وَ إِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمْرِيهِ وَ مِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصِيهِ أَلَا وَ إِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَ لَكِنْ أَعْيُونِي بِوَرَعٍ وَ اجْتِهَادٍ وَ عَفْوٍ وَ سَدَادٍ فَوَاللَّهِ (١) مَا كَنْزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَبْرًا وَ لَا - ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفَرًّا وَ لَا أَعِيدْتُ لِبَالِي ثُوبِي طَمْرًا وَ لَا حُرْتُ مِنْ أَرْضِهَا شَبْرًا وَ لَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبْرَهُ وَ لَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَى مِنْ عَفْصِهِ مَقْرَهُ.

عثمان بن حنيف و نسبه

هو عثمان بن حنيف -بضم الحاء- بن واهب بن العكم بن ثعلبه بن الحارث الأنصاري

ص: ٢٠٥

ثم الأوسى أخو سهل بن حنيف يكنى أبا عمرو و قيل أبا عبد الله عمل لعمر ثم لعلى ع و ولاه عمر مساحه الأرض و جبايتها بالعراق و ضرب الخراج و الجزية على أهلها و ولاه على ع على البصره فأخرجه طلحه و الزبير منها حين قدماها و سكن عثمان الكوفه بعد وفاه على ع و مات بها فى زمن معاويه .

قوله من فتيه البصره أى من فتيانها أى من شبابها أو من أسخياها يقال للسخرى هذا فتى و الجمع فتيه و فتيان و فتو و يروى أن رجلا من قطان البصره أى سكانها.

و المأدبه بضم الدال الطعام يدعى إليه القوم و قد جاءت بفتح الدال أيضا و يقال أدب فلان القوم يأدبهم بالكسر أى دعاهم إلى طعامه و الأدب الداعى إليه قال طرفه نحن فى المشتاه ندعو الجفلى لا ترى الأدب فىنا ينتقر (١).

و يقال أيضا آدبهم إلى طعامه يؤدبهم إيدابا و يروى و كثر عليك الجفان فكرعت و أكلت أكل ذئب نهم أو ضبع قرم .
و روى و ما حسبتك تأكل طعام قوم.

ثم ذم أهل البصره فقال عائلهم مجفو و غنيهم مدعو و العائل الفقير و هذا كقول الشاعر فإن تملق فأنت لنا عدو فإن تثر فأنت لنا صديق.

ص: ٢٠٦

١- ١) ديوانه ٧٩.المشتاه: زمن الشتاء. و الجفلى: أن يعم المرء بدعوته إلى الطعام و لا يخص أحدا دون الآخر. و الانتقار: أن يدعو النقرى؛ و هى أن يخص بدعوته و لا يعمها.

ثم أمره بأن يترك ما فيه شبهه إلى ما لا شبهه فيه وسمى ذلك قضمًا ومقضمًا وإن كان مما لا يقضم لاحتقاره له وازدراؤه إياه وأنه عنده ليس مما يستحق أن يسمى بأسماء المرغوب فيه المتنافس عليه وذلك لأن القضم يطلق على معنيين أحدهما على أكل الشيء اليابس والثاني على ما يؤكل ببعض الفم وكلاهما يدلان على أن ذلك المقضم المرغوب عنه لا فيه .

ثم ذكر ع حال نفسه فقال إن إمامكم قد قنع من الدنيا بطمريه و الطمر الثوب الخلق البالى و إنما جعلهما اثنين لأنهما إزار و رداء لا بد منهما أى للجسد و الرأس .

قال و من طعمه بقرصيه أى قرصان يفطر عليهما لا ثالث لهما و روى قد اكتفى من الدنيا بطمريه و سد فوره جوعه بقرصيه لا يطعم الفلذه فى حويله إلا فى يوم أضحيه .

ثم قال إنكم لن تقدرُوا على ما أقدر عليه و لكنى أسألكم أن تعينونى بالورع و الاجتهاد .

ثم أقسم أنه ما كثر ذهبًا و لا ادخر مالا و لا أعد ثوبا باليا سملا لبالى ثوبيه فضلا عن أن يعد ثوبا قشيبا كما يفعلهُ الناس فى إعداد ثوب جديد ليلبسوه عوض الأسمال التى يتزعونها و لا حاز من أرضها شبرا و الضمير فى أرضها يرجع إلى دنياكم و لا أخذ منها إلا كقوت أتان دبره و هى التى عقر ظهرها فقل أكلها .

ثم قال و لهى فى عينى أهون من عفضه مقره أى مره مقر الشيء بالكسر أى صار مرا و أمقره بالهمز أيضا قال لبيد مقرر مر على أعدائه و على الأذنين حلو كالعسل (١)

ص: ٢٠٧

بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكِّ مِنْ كُلِّ مَا أَظْلَمْتَهُ السَّمَاءُ فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ وَ سَخَتْ عَنْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ آخِرِينَ وَ نِعَمَ الْحَكْمِ اللَّهُ وَ مَا أَضْنَعُ بِفَدَكِّ وَ غَيْرِ فَدَكِّ وَ النَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي عَدِّ جَدَثٍ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا وَ تَغِيْبُ أَخْبَارُهَا وَ حُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُشْحَتِهَا وَ أَوْسِيَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لَأَضْغَطَهَا الْحَجْرُ وَ الْمِيدَرُ وَ سَيِّدُ فُرْجِهَا التُّرَابُ الْمُتْرَاكِمُ وَ إِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمَنَهُ يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ وَ تَثْبَتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَرْلِقِ .

الجدث القبر و أضغطها الحجر جعلها ضاغطة و الهمزه للتعديده و يروى و ضغطها.

و قوله مظانها في غد جدث المظان جمع مظنه و هو موضع الشيء و مألفه الذي يكون فيه قال فإن يك عامر قد قال جهلا فإن مظنه الجهل الشباب (١) يقول لا مال لي و لا اقتنيت فيما مضى مالا و إنما كانت في أيدينا فدك فشحت عليها نفوس قوم أي بخلت و سخت عنها نفوس آخرين سامحت و أغضت و ليس يعني هاهنا بالسخاء إلا هذا لا السخاء الحقيقي لأنه ع و أهله لم يسمحوا بفدك إلا غصبا و قسرا و قد قال هذه الألفاظ في موضع آخر فيما تقدم و هو يعني الخلافة بعد وفاه رسول الله ص .

ص: ٢٠٨

(١ - ١) للنابغه الذبياني، ديوانه ١٤.

ثم قال و نعم الحكم الله الحكيم الحاكم و هذا الكلام كلام شاك متظلم ثم ذكر مال الإنسان و أنه لا ينبغي أن يكثرث بالقينات و الأموال فإنه يصير عن قريب إلى دار البلى و منازل الموتى.

ثم ذكر أن الحفرة ضيقه و أنه لو وسعها الحافر لألجأها الحجر المتداعي و المدر المتهافت إلى أن تضغط الميت و تزحمه و هذا كلام محمول على ظاهره لأنه خطاب للعامه و إلا- فأى فرق بين سعه الحفرة و ضيقها على الميت اللهم إلا أن يقول قائل إن الميت يحس في قبره فإذا قيل ذلك فالجاعل له حساسا بعد عدم الحس هو الذى يوسع الحفرة و إن كان الحافر قد جعلها ضيقه فإذا هذا الكلام جيد لخطاب العرب خاصة و من يحمل الأمور على ظواهرها .

ثم قال و إنما هي نفسى أروضها بالتقوى يقول تقللى و اقتصارى من المطعم و الملبس على الجشب و الخشن رياضه لنفسى لأن ذلك إنما أعمله خوفا من الله أن أنغمس فى الدنيا فالرياضه بذلك هي رياضه فى الحقيقه بالتقوى لا بنفس التقلل و التقشف لتأتى نفسى آمنه يوم الفزع الأكبر و تثبت فى مداحض الزلق

ذكر ما ورد من السير و الأخبار فى أمر فدى

إشاره

و اعلم أنا نتكلم فى شرح هذه الكلمات بثلاثه فصول الفصل الأول فيما ورد فى الحديث و السير من أمر فدى و الفصل الثانى فى هل النبى ص يورث أم لا و الفصل الثالث فى أن فدى هل صح كونها نحلته من رسول الله ص لفاطمه أم لا.

الفصل الأول فيما ورد من الأخبار و السير المنقوله من أفواه أهل الحديث و كتبهم لا من كتب الشيعة و رجالهم

لأننا مشترطون على أنفسنا ألا نحفل بذلك جميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في السقيفه و فدك و ما وقع من الاختلاف و الاضطراب عقب وفاه النبي ص و أبو بكر الجوهري هذا عالم محدث كثير الأدب ثقه و رع أثنى عليه المحدثون و رووا عنه مصنفاته.

٤٣٠٧

١٤- قال أبو بكر حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنا حيان بن بشر قال حدثنا يحيى بن آدم قال أخبرنا ابن أبي زائدة عن محمد بن إسحاق عن الزهري قال بقيت بقيه من أهل خيبر تحصنوا فسألوا رسول الله ص أن يحقن دماءهم و يسيرهم ففعل فسمع ذلك أهل فدك (١) فتنزلوا (٢) على مثل ذلك و كانت للنبي ص خاصه لأنه لم يوجف عليها ب خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ

٤٣٠٨

١٤- قال أبو بكر و روى محمد بن إسحاق أيضا أن رسول الله ص لما فرغ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك فبعثوا إلى رسول الله ص فصالحوه على النصف من فدك فقدمت عليه رسلهم بخيبر أو بالطريق أو بعد ما أقام بالمدينه فقبل ذلك منهم و كانت فدك لرسول الله ص خالصه له لأنه لم يوجف عليها ب خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ .

قال و قد روى أنه صالحهم عليها كلها الله أعلم أي الأمرين كان.

٤٣٠٩

١٤- قال و كان مالك بن أنس يحدث عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم أنه صالحهم على النصف فلم يزل الأمر كذلك حتى أخرجهم عمر بن الخطاب و أجلاهم بعد أن عوضهم عن النصف الذي كان لهم عوضا من إبل و غيرها .

ص: ٢١٠

١- (١) فدك: قريه بالحجاز، بينها و بين المدينه يومان.

٢- (٢) في «و كانوا».

وقال غير مالك بن أنس لما أجلاهم عمر بعث إليهم من يقوم الأموال بعث أبا الهيثم بن التيهان و فروه بن عمرو و حباب بن صخر و زيد بن ثابت فقوموا أرض فدك و نخلها فأخذها عمر و دفع إليهم قيمه النصف الذى لهم و كان مبلغ ذلك خمسين ألف درهم أعطاهم إياها من مال أتاه من العراق و أجلاهم إلى الشام .

٤٣١٠

١٤،١٥- قال أبو بكر فحدثني محمد بن زكريا قال حدثني جعفر بن محمد بن عماره الكندى قال حدثني أبي عن الحسين بن صالح بن حى قال حدثني رجلان من بنى هاشم عن زينب بنت علي بن أبي طالب ع قال و قال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه . قال أبو بكر و حدثني عثمان بن عمران العجيفى عن نائل بن نجيح بن عمير بن شمر عن جابر الجعفى عن أبي جعفر محمد بن علي ع . قال أبو بكر و حدثني أحمد بن محمد بن يزيد عن عبد الله بن محمد بن سليمان عن أبيه عن عبد الله بن حسن بن الحسن قالوا جميعا لما بلغ فاطمه ع إجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها و أقبلت فى لمة من حفدتها و نساء قومها تطأ فى ذيولها ما تخرم مشيتها مشيه رسول الله ص حتى دخلت على أبي بكر و قد حشد الناس من المهاجرين و الأنصار فضرب بينها و بينهم ريطه بيضاء و قال بعضهم قبطيه و قالوا قبطيه بالكسر و الضم ثم أنت أنه أجهش لها القوم بالبكاء ثم أمهلت طويلا حتى سكنوا من فورتهم ثم قالت أبتدىء بحمد من هو أولى بالحمد و الطول و المجد الحمد لله على ما أنعم و له الشكر بما ألهم و ذكر خطبه طويله جيده قالت فى آخرها ف اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ و أطيعوه فيما أمركم به ف إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ و احمداوا الله الذى لعظمته و نوره يبتغى من فى السموات و الأرض إليه الوسيله و نحن وسيلته فى خلقه و نحن خاصته و محل قدسه و نحن حجته فى غيبه و نحن ورثه

ص: ٢١١

أنبيائه ثم قالت أنا فاطمه ابنه محمد أقول عودا على بدء و ما أقول ذلك سرفا و لا شططا فاسمعوا بأسماع واعيه و قلوب راعيه ثم قالت لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (١) فإن تعزوه تجدوه أبى دون آبائكم و أخا ابن عمى دون رجالكم ثم ذكرت كلاما طويلا سنذكره فيما بعد فى الفصل الثانى-تقول فى آخره ثم أنتم الآن تزعمون أن لا- إرث لى أَفْحُكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢) إيها معاشر المسلمين ابتر إرث أبى أبى الله أن ترث يا ابن أبى قحافه أباك و لا أرث أبى لقد جئت شيئا فريا فدونهاها مخطومه مرحوله تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله و الزعيم محمد و الموعد القيامة و عند الساعة يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ وَ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ يَجِدُ عَلَيْهِ عِذَابٌ مُّقِيمٌ ثم التفتت إلى قبر أبيها فتمثلت بقول هند بنت أثنائه قد كان بعدك أنباء و هينمه قال و لم ير الناس أكثر باك و لا باكيه منهم يومئذ ثم عدلت إلى مسجد الأنصار فقالت يا معشر البقيه و أعضاء المله و حضنه الإسلام ما هذه الفتره عن نصرتى و الونيه عن معونتى و الغمزه فى حقى و السنه عن ظلامتى أ ما كان رسول الله ص يقول المرء يحفظ فى ولده سرعان ما أحدثتم و عجلان ما أتيتم لأن مات رسول الله ص أتم دينه ها إن موته لعمرى خطب جليل استوسع وهنه

ص: ٢١٢

١-١) سورة التوبه ١٢٩،١٢٨.

٢-٢) سورة المائده ٥٠.

و استبهم فتقه و فقد راتقه و أظلمت الأرض له و خشعت الجبال و أكدت الآمال أضيع بعدهم الحريم و هتكت الحرمه و أذيلت المصونه و تلك نازله أعلن بها كتاب الله قبل موته و أنباكم بها قبل وفاته فقال **وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١)** إيها بنى قبله اهتضم تراث أبى و أنتم بمراى و مسمع تبلغكم الدعوه و يشملكم الصوت و فيكم العده و العدد و لكم الدار و الجنن و أنتم نخبه الله التى انتخب و خيرته التى اختار باديتم العرب و بادهتم الأمور و كافحتم اليهم حتى دارت بكم رحى الإسلام و در حلبه و خبت نيران الحرب و سكنت فوره الشرك و هدأت دعوه الهرج و استوثق نظام الدين أفتأخرتم بعد الإقدام و نكصتم بعد الشده و جبنتم بعد الشجاعه عن قوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم و طعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمه الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ألا و قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض و ركنتم إلى الدعاه فجحدتم الذى وعيتم و سغتم الذى سوغتم و إن تكفروا أنتم و من فى الأرض جميعاً فإن الله لغنى حميدٌ ألا و قد قلت لكم ما قلت على معرفه منى بالخذله التى خامرتكم و خور القناه و ضعف اليقين فدوونكموها فاحتووها مدبره الظهر ناقبه الخف باقيه العار موسومه الشعار موصوله بنار الله الموقده التى تطلع على الأفئده فبعين الله ما تعملون و سيغلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون

٤٣١١

١٥- قال و حدثنى محمد بن زكريا قال حدثنا محمد بن الضحاك قال حدثنا هشام بن محمد عن عوانه بن الحكم قال لما كلمت فاطمه ع أبا بكر بما كلمته به حمد أبو بكر الله و أثنى عليه و صلى على رسوله ثم قال يا خيرها النساء و ابنه خير الآباء و الله ما عدوت رأى رسول الله ص و ما عملت إلا بأمره و إن الرائد

ص: ٢١٣

١- (١) سورة آل عمران ١٤٤.

لا- يكذب أهله و قد قلت فأبلغت و أغلظت فأهجرت فغفر الله لنا و لك أما بعد فقد دفعت آله رسول الله و دابته و حذاءه إلى على ع و أما ما سوى ذلك فإنى سمعت رسول الله ص يقول إنا معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا و لا فضة و لا أرضا و لا عقارا و لا دارا و لكننا نورث الإيمان و الحكمة و العلم و السنه فقد عملت بما أمرنى و نصحت له و مَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

٤٣١٢

١٤،١٥- قال أبو بكر و روى هشام بن محمد عن أبيه قال قالت فاطمه لأبى بكر إن أم أيمن تشهد لى أن رسول الله ص أعطانى فدك فقال لها يا ابنه رسول الله و الله ما خلق الله خلقا أحب إلى من رسول الله ص أبيك و لوددت أن السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك و الله لأين تفتقر عائشه أحب إلى من أن تفتقرى أترانى أعطى الأحمر و الأبيض حقه و أظلمك حقك و أنت بنت رسول الله ص إن هذا المال لم يكن للنبي ص و إنما كان مالا من أموال المسلمين يحمل النبي به الرجال و ينفقه فى سبيل الله فلما توفى رسول الله ص وليته كما كان يليه قالت و الله لا كلمتك أبدا قال و الله لا هجرتك أبدا قالت و الله لأدعون الله عليك قال و الله لأدعون الله لك فلما حضرتها الوفاه أوصت ألا يصلى عليها فدفنت ليلا و صلى عليها عباس بن عبد المطلب و كان بين وفاتها و وفاه أبيها اثنتان و سبعون ليله

٤٣١٣

١٥- قال أبو بكر و حدثنى محمد بن زكريا قال حدثنا جعفر بن محمد بن عماره بالإسناد الأول قال فلما سمع أبو بكر خطبتها شق عليه مقالتها فصعد المنبر و قال أيها الناس ما هذه الرعه إلى كل قاله أين كانت هذه الأمانى فى عهد رسول الله ص

ص: ٢١٤

ألا- من سمع فليقل و من شهد فليتكلم إنما هو ثعالب شهيد ذنبه مرب لكل فتنه هو الذى يقول كروها جذعه بعد ما هربت يستعينون بالضعفه و يستنصرون بالنساء كأم طحال أحب أهلها إليها البغى ألا إنى لو أشاء أن أقول لقلت و لو قلت لبحت إنى ساكت ما تركت ثم التفت إلى الأنصار فقال قد بلغنى يا معشر الأنصار مقاله سفهائكم و أحق من لزم عهد رسول الله ص أنتم فقد جاءكم فأوئتم و نصرتم ألا إنى لست باسطا يدا و لا لسانا على من لم يستحق ذلك منا.

ثم نزل فانصرفت فاطمه ع إلى منزلها

قلت قرأت هذا الكلام على النقيب أبى يحيى جعفر بن يحيى بن أبى زيد البصرى و قلت له بمن يعرض فقال بل يصرح قلت لو صرح لم أسألك فضحك و قال بعلى بن أبى طالب ع قلت هذا الكلام كله لعللى يقوله قال نعم إنه الملك يا بنى قلت فما مقاله الأنصار قال هتفوا بذكر على فخاف من اضطراب الأمر عليهم فنهاهم فسألته عن غريبه فقال أما الرعه بالتخفيف أى الاستماع و الإصغاء و القاله القول و ثعالب اسم الثعلب علم غير مصروف و مثل ذؤاله للذئب و شهيد ذنبه أى لا شاهد له على ما يدعى إلا بعضه و جزء منه و أصله مثل قالوا إن الثعلب أراد أن يغرى الأسد بالذئب فقال إنه قد أكل الشاه التى كنت قد أعددتها لنفسك و كنت حاضرا قال فمن يشهد لك بذلك فرفع ذنبه و عليه دم و كان الأسد قد افتقد الشاه فقبل شهادته و قتل الذئب و مرب ملازم أرب بالمكان و كروها جذعه أعيدوها إلى الحال الأولى يعنى الفتنه و الهرج و أم طحال امرأه بغى فى الجاهليه و يضرب بها المثل فيقال أرنى من أم طحال .

ص: ٢١٥

١٥١- قال أبو بكر وحدثني محمد بن زكريا قال حدثني ابن عائشه قال حدثني أبي عن عمه قال لما كلمت فاطمه أبا بكر بكى ثم قال يا ابنه رسول الله و الله ما ورث أبوك ديناراً و لا درهما و إنه قال إن الأنبياء لا يورثون فقالت إن فدك و هبها لى رسول الله ص قال فمن يشهد بذلك فجاء على بن أبى طالب ع فشهد و جاءت أم أيمن فشهدت أيضا فجاء عمر بن الخطاب و عبد الرحمن بن عوف فشهد أن رسول الله ص كان يقسمها قال أبو بكر صدقت يا ابنه رسول الله ص و صدق على و صدقت أم أيمن و صدق عمر و صدق عبد الرحمن بن عوف و ذلك أن مالك لأبيك كان رسول الله ص يأخذ من فدك قوتكم و يقسم الباقي و يحمل منه فى سبيل الله فما تصنعين بها قالت أصنع بها كما يصنع بها أبى قال فلك على الله أن أصنع فيها كما يصنع فيها أبوك قالت الله لتفعلن قال الله لأفعلن قالت اللهم اشهد

. و كان أبو بكر يأخذ غلتها فيدفع إليهم منها ما يكفيهم و يقسم الباقي و كان عمر كذلك ثم كان عثمان كذلك ثم كان على كذلك فلما ولى الأمر معاوية بن أبى سفيان أقطع مروان بن الحكم ثلثها و أقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها و أقطع يزيد بن معاوية ثلثها و ذلك بعد موت الحسن بن على ع فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت كلها لمروان بن الحكم أيام خلافته فوهبها لعبد العزيز ابنه فوهبها عبد العزيز لابنه عمر بن عبد العزيز فلما ولى عمر بن العزيز الخلفه كانت أول ظلامه ردها دعا حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع و قيل بل دعا على بن ٣٣ الحسين ع فردها عليه و كانت بيد أولاد فاطمه ع مده و لايه عمر بن عبد العزيز فلما ولى يزيد بن عاتكه قبضها منهم فصارت فى أيدي بنى مروان كما كانت يتداولونها حتى انتقلت الخلفه عنهم فلما ولى أبو العباس السفاح ردها على عبد الله

بن الحسن بن الحسن ثم قبضها أبو جعفر لما حدث من بنى حسن ما حدث ثم ردها المهدي ابنه علي ولد فاطمه ع ثم قبضها موسى بن المهدي و هارون أخوه فلم تزل أيديهم حتى ولي المأمون فردها على الفاطميين

٤٣١٥

١٤,١٥- قال أبو بكر حدثني محمد بن زكريا قال حدثني مهدي بن سابق قال جلس المأمون للمظالم فأول رقعه وقعت في يده نظر فيها و بكى و قال للذي على رأسه ناد أين وكيل فاطمه فقام شيخ عليه دراعه و عمامه و خف تعزى فتقدم فجعل يناظره في فدك و المأمون يحتج عليه و هو يحتج على المأمون ثم أمر أن يسجل لهم بها فكتب السجل و قرئ عليه فأنفذه فقام دعبيل إلى المأمون فأنشده الأبيات التي أولها أصبح وجه الزمان قد ضحكا برد مأمون هاشم فدكا (١).

فلم تزل في أيديهم حتى كان في أيام المتوكل فأقطعها عبد الله بن عمر البازيار و كان فيها إحدى عشره نخله غرسها رسول الله ص بيده فكان بنو فاطمه يأخذون ثمرها فإذا قدم الحجاج أهدوا لهم من ذلك التمر فيصلونهم فيصير إليهم من ذلك مال جزيل جليل فصرم (٢) عبد الله بن عمر البازيار ذلك التمر و وجه رجلا يقال له بشران بن أبي أمية الثقفي إلى المدينة فصرمه ثم عاد إلى البصرة ففلج

٤٣١٦

١,١٤,١٥- قال أبو بكر أخبرنا أبو زيد عمر بن شبه قال حدثنا سويد بن سعيد و الحسن بن عثمان قالا حدثنا الوليد بن محمد عن الزهري عن عروه عن عائشه أن فاطمه ع أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ص و هي حينئذ تطلب ما كان لرسول الله ص بالمدينة و فدك و ما بقى من خمس خيبر فقال أبو بكر

ص: ٢١٧

١- (١) ديوانه ١١٩، معجم البلدان (فدك).

٢- (٢) صرم النخل: جذه و قطعه.

إن رسول الله ص قال لا نورث ما تركناه صدقه إنما يأكل آل محمد من هذا المال و إنى و الله لا أغير شيئاً من صدقات رسول الله ص عن حالها التى كانت عليها فى عهد رسول الله ص و لأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله ص فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمه منها شيئاً فوجدت من ذلك على أبى بكر و هجرته فلم تكلمه حتى توفيت و عاشت بعد أبيها ستة أشهر فلما توفيت دفنها على ع ليلا و لم يؤذن بها أبى بكر

٤٣١٧

١٥,١٤- قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد قال حدثنا إسحاق بن إدريس قال حدثنا محمد بن أحمد عن معمر عن الزهرى عن عروه عن عائشه أن فاطمه و العباس أتيا أبى بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ص و هما حينئذ يطلبان أرضه بفدك و سهمه بخبير فقال لهما أبو بكر إنى سمعت رسول الله ص يقول لا نورث ما تركناه صدقه إنما يأكل آل محمد ص من هذا المال و إنى و الله لا أغير أمراً رأيت رسول الله ص يصنعه إلا صنعه قال فهجرته فاطمه فلم تكلمه حتى ماتت

٤٣١٨

١٥,١٤- قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد قال حدثنا عمر بن عاصم و موسى بن إسماعيل قال حدثنا حماد بن سلمه عن الكلبي عن أبى صالح عن أم هانئ أن فاطمه قالت لأبى بكر من يرثك إذا مت قال ولدى و أهلى قالت فما لك ترث رسول الله ص دوننا قال يا ابنه رسول الله ما ورث أبوك داراً و لا مالاً و لا ذهباً و لا فضة قالت بلى سهم الله الذى جعله لنا و صار فيتنا الذى بيدك فقال لها سمعت رسول الله ص يقول إنما هى طعمه أطعمناها الله فإذا مت كانت بين المسلمين

٤٣١٩

١٥,١٤- قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد قال حدثنا أبو بكر بن أبى شيبه قال حدثنا محمد بن الفضل عن الوليد بن جميع عن أبى الطفيل قال أرسلت فاطمه إلى أبى بكر

ص: ٢١٨

أنت ورثت رسول الله ص أم أهله قال بل أهله قالت فما بال سهم رسول الله ص قال إني سمعت رسول الله ص يقول إن الله أطعم نبيه طعمه ثم قبضه و جعله للذي يقوم بعده فوليت أنا بعده على أن أرده على المسلمين قالت أنت و ما سمعت من رسول الله ص أعلم

قلت في هذا الحديث عجب لأنها قالت له أنت ورثت رسول الله ص أم أهله قال بل أهله و هذا تصريح بأنه ص موروث يرثه أهله و هو خلاف قوله لا نورث و أيضا فإنه يدل على أن أبا بكر استنبط من قول رسول الله ص أن الله أطعم نبياً طعمه أن يجرى رسول الله ص عند وفاته مجرى ذلك النبي ص أو يكون قد فهم أنه عنى بذلك النبي المنكر لفظاً نفسه كما فهم من قوله في خطبته إن عبداً خيره الله بين الدنيا و ما عند ربه فاختر ما عند ربه فقال أبو بكر بل نفديك بأنفسنا.

٤٣٢٠

١٥،١٤- قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد قال أخبرنا القعنبى قال حدثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عمر عن أبي سلمه أن فاطمه طلبت فدك من أبي بكر فقال إني سمعت رسول الله ص يقول إن النبي لا- يورث من كان النبي يعوله فأنا أعوله و من كان النبي ص ينفق عليه فأنا أنفق عليه فقالت يا أبا بكر أ يرثك بناتك و لا يرث رسول الله ص بناته فقال هو ذاك

٤٣٢١

١٥،١٤،١- قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير قال حدثنا فضيل بن مرزوق قال حدثنا البحترى بن حسان قال قلت لزيد بن علي ع و أنا أريد أن أهجن أمر أبي بكر إن أبا بكر انتزع فدك من فاطمه ع فقال إن أبا بكر كان رجلاً

ص: ٢١٩

رحيما و كان يكره أن يغير شيئا فعله رسول الله ص فأتته فاطمه فقالت إن رسول الله ص أعطاني فداك فقال لها هل لك على هذا بينه فجاءت بعلي ع فشهد لها ثم جاءت أم أيمن فقالت أ لستما تشهدان أني من أهل الجنة قالوا بلى قال أبو زيد يعني أنها قالت لأبي بكر و عمر قالت فأنا أشهد أن رسول الله ص أعطها فداك فقال أبو بكر فرجل آخر أو امرأه أخرى لتستحقي بها القضيه ثم قال أبو زيد و ايم الله لو رجع الأمر إلى لقضيت فيها بقضاء أبي بكر

٤٣٢٢

٥- قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد قال حدثنا محمد بن الصباح قال حدثنا يحيى بن المتوكل أبو عقيل عن كثير النوال قال قلت لأبي جعفر محمد بن علي ع جعلني الله فداك أ رأيت أبا بكر و عمر هل ظلماكم من حاكم شيئا أو قال ذهبا من حاكم بشيء فقال لا- و الذي أنزل القرآن علي عبيده ليكونن للعالمين نذيرا ما ظلمنا من حقنا مثقال حبه من خردل قلت جعلت فداك أ فأتولاهما قال نعم ويحك تولهما في الدنيا و الآخرة و ما أصابك ففى عنقى ثم قال فعل الله بالمغيره و بنان فإنهما كذبا علينا أهل البيت

٤٣٢٣

قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد قال حدثنا عبد الله بن نافع و القعنبى عن مالك عن الزهرى عن عروه عن عائشه أن أزواج النبى ص أردن لما توفى أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبى بكر يسألنه ميراثهن أو قال ثمنهن قالت فقلت لهن أ ليس قد قال النبى ص لا نورث ما تركنا صدقه.

٤٣٢٤

قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد قال حدثنا عبد الله بن نافع و القعنبى و بشر بن عمر عن مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريره عن النبى ص قال لا يقسم ورثتى ديناراً و لا درهما ما تركت بعد نفقه نسائى و مئونه عيالى فهو صدقه.

ص: ٢٢٠

قلت هذا حديث غريب لأن المشهور أنه لم يرو حديث انتفاء الإرث إلا أبو بكر وحده.

٤٣٢٥

١٤,١,٢,٣,٤- قال أبو بكر وحدثنا أبو زيد عن الحزامي عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن عبد الرحمن الأعرج أنه سمع أبا هريره يقول سمعت رسول الله ص يقول و الذي نفسى بيده لا- يقسم ورثتى شيئا ما تركت صدقه قال و كانت هذه الصدقه بيد على ع غلب عليها العباس و كانت فيها خصومتها فأبى عمر أن يقسمها بينهما حتى أعرض عنها العباس و غلب عليها ع ثم كانت بيد حسن و حسين ابني على ع ثم كانت بيد على بن الحسين ع و الحسن بن الحسن كلاهما يتداولانها (١) ثم بيد زيد بن على ع

٤٣٢٦

١٤,١- قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد قال حدثنا عثمان بن عمر بن فارس قال حدثنا يونس عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان أن عمر بن الخطاب دعاه يوما بعد ما ارتفع النهار قال فدخلت عليه و هو جالس على سرير رمال ليس بينه و بين الرمال فراش على وساده آدم فقال يا مالك إنه قد قدم من قومك أهل أبيات حضروا المدينة و قد أمرت لهم برضخ (٢) فاقسمه بينهم فقلت يا أمير المؤمنين مر بذلك غيرى قال اقسام أيها المرء قال فبيننا نحن على ذلك إذ دخل يرفأ فقال هل لك في عثمان و سعد و عبد الرحمن و الزبير يستأذنون عليك قال نعم فأذن لهم قال ثم لبث قليلا- ثم جاء فقال هل لك في على و العباس يستأذنان عليك قال ائذن لهما فلما دخلا- قال عباس يا أمير المؤمنين اقض بيني و بين هذا يعنى عليا و هما يختصمان في الصوافى (٣) التى أفاء الله على رسوله

ص: ٢٢١

١-١) ب: «يتولانها» تصحيف، صوابه من ا.

٢-٢) الرضخ هنا: المال.

٣-٣) الصوافى: الأملاك الواسعه. و الخبر فى اللسان (صفا).

من أموال بنى النضير قال فاستتب على و العباس عند عمر فقال عبد الرحمن يا أمير المؤمنين اقض بينهما و أرح أحدهما من الآخر فقال عمر أنشدكم الله الذى تقوم بإذنه السماوات و الأرض هل تعلمون أن رسول الله ص قال لا نورث ما تركناه صدقه يعنى نفسه قالوا قد قال ذلك فأقبل على العباس و على فقال أنشدكما الله هل تعلمان ذلك قالوا نعم قال عمر فإنى أحدثكم عن هذا الأمر أن الله تبارك و تعالى خص رسوله ص فى هذا الفىء بشىء لم يعطه غيره قال تعالى وَ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُم مَّا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لَاحِرٍ رِكَابٍ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) و كانت هذه خاصة لرسول الله ص فما اختارها دونكم و لا استأثر بها عليكم لقد أعطاكموها و ثبتها فيكم حتى بقى منها هذا المال و كان ينفق منه على أهله سنتهم ثم يأخذ ما بقى فيجعله فيما يجعل مال الله عز و جل فعل ذلك فى حياته ثم توفى فقال أبو بكر أنا ولى رسول الله ص فقبضه الله و قد عمل فيها بما عمل به رسول الله ص و أنتما حينئذ و التفت إلى على و العباس تزعمان أن أبا بكر فيها ظالم فاجر و الله يعلم أنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله أبا بكر فقلت أنا أولى الناس بأبى بكر و برسول الله ص فقبضتها سنتين أو قال سنين من إمارتى أعمل فيها مثل ما عمل به رسول الله ص و أبو بكر ثم قال و أنتما و أقبل على العباس و على تزعمان أنى فيها ظالم فاجر و الله يعلم أنى فيها بار راشد تابع للحق ثم جئتمانى و كلمتكما واحده و أمركما جميع فجئتنى يعنى العباس تسألنى نصيبك من ابن أخيك و جاءنى هذا يعنى عليا يسألنى نصيب امرأته من أبيها فقلت لكما أن رسول الله ص قال لا نورث ما تركناه صدقه فلما بدا لى أن

ص: ٢٢٢

أدفعها إليكما قلت أدفعها على أن عليكما عهد الله و ميثاقه لتعملان فيها بما عمل رسول الله ص و أبو بكر و بما عملت به فيها و إلا فلا تكلماني فقلتما ادفعها إلينا بذلك فدفعتها إليكما بذلك أفتلتمسان مني قضاء غير ذلك و الله الذي تقوم بإذنه السماوات و الأرض لا أفضي بينكما بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما عنها فادفعها إلي فأنا أكفيكماها

٤٣٢٧

قال أبو بكر و حدثنا أبو زيد قال حدثنا إسحاق بن إدريس قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثني يونس عن الزهري قال حدثني مالك بن أوس بن الحدثان بنحوه قال فذكرت ذلك لعروه فقال صدق مالك بن أوس أنا سمعت عائشه تقول أرسل أزواج النبي ص عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسأل لهن ميراثهن من رسول الله ص مما أفاء الله عليه حتى كنت أردهن عن ذلك فقلت أ لا تتقين الله ألم تعلمن أن رسول الله ص كان يقول لا نورث ما تركناه صدقه يريد بذلك نفسه إنما يأكل آل محمد من هذا المال فاتتهى أزواج النبي ص إلى ما أمرتهن به.

قلت هذا مشكل لأن الحديث الأول يتضمن

٤٣٢٨

أن عمر أقسم على جماعه فيهم عثمان فقال نشدتكم الله أ لستم تعلمون أن رسول الله ص قال لا نورث ما تركناه صدقه يعنى نفسه فقالوا نعم.

و من جملتهم عثمان فكيف يعلم بذلك فيكون مترسلا لأزواج النبي ص يسأله أن يعطيهم الميراث اللهم إلا أن يكون عثمان و سعد و عبد الرحمن و الزبير صدقوا عمر على سبيل التقليد لأبي بكر فيما رواه و حسن الظن و سموا ذلك علما لأنه قد يطلق على الظن اسم العلم.

ص: ٢٢٣

فإن قال قائل فهلا- حسن ظن عثمان بروايه أبي بكر في مبدأ الأمر فلم يكن رسولا لزوجات النبي ص في طلب الميراث قيل له يجوز أن يكون في مبدأ الأمر شاكا ثم يغلب على ظنه صدقه لأمارات اقتضت تصديقه و كل الناس يقع لهم مثل ذلك.

و هاهنا إشكال آخر

٤٣٢٩

١- و هو أن عمر ناشد عليا و العباس هل تعلمان ذلك فقالا نعم فإذا كانا يعلمانه .

فكيف جاء العباس و فاطمه إلى أبي بكر يطلبان الميراث على ما ذكره في خبر سابق على هذا الخبر و قد أوردناه نحن و هل يجوز أن يقال كان العباس يعلم ذلك ثم يطلب الإرث الذي لا يستحقه و هل يجوز أن يقال أن عليا كان يعلم ذلك و يمكن زوجته أن تطلب ما لا تستحقه خرجت من دارها إلى المسجد و نازعت أبا بكر و كلمته بما كلمته إلا بقوله و إذنه و رأيه و أيضا فإنه إذا كان ص لا يورث فقد أشكل دفع آله و دابته و حذائه إلى علي ع لأنه غير وارث في الأصل و إن كان أعطاه ذلك لأن زوجته بعرضه أن ترث لو لا الخبر فهو أيضا غير جائز لأن الخبر قد منع أن يرث منه شيئا قليلا كان أو كثيرا.

فإن قال قائل

٤٣٣٠

نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا و لا فضه و لا أرضا و لا عقارا و لا دارا.

قيل هذا الكلام يفهم من مضمونه أنهم لا يورثون شيئا أصلا لأن عادة العرب جاريه بمثل ذلك و ليس يقصدون نفى ميراث هذه الأجناس المعدوده دون غيرها بل يجعلون ذلك كالتصريح بنفى أن يورثوا شيئا ما على الإطلاق.

و أيضا فإنه جاء في خبر الدابة و الآله و الحذاء أنه

٤٣٣١

روى عن النبي ص لا نورث ما تركناه صدقه.

و لم يقل لا نورث كذا و لا كذا و ذلك يقتضى عموم انتفاء الإرث عن كل شيء

ص: ٢٢٤

١٤،١٥- قال إنها طلبت فدك و قالت إن أبى أعطانيها و إن أم أيمن تشهد لى بذلك فقال لها أبو بكر فى الجواب إن هذا المال لم يكن لرسول الله ص و إنما كان مالا من أموال المسلمين يحمل (١) به الرجال و ينفقه فى سبيل الله

فلقائل أن يقول له أ يجوز للنبي ص أن يملك ابنته أو غير ابنته من أفناء الناس ضيعه مخصوصه أو عقارا مخصوصا من مال المسلمين لوحى أوحى الله تعالى إليه أو لاجتهاد رأيه على قول من أجاز له أن يحكم بالاجتهاد أو لا يجوز للنبي ص ذلك فإن قال لا يجوز قال ما لا يوافق العقل و لا المسلمون عليه و إن قال يجوز ذلك قيل فإن المرأه ما اقتضت على الدعوى بل قالت أم أيمن تشهد لى فكان ينبغى أن يقول لها فى الجواب شهاده أم أيمن وحدها غير مقبوله و لم يتضمن هذا الخبر ذلك بل قال لها لما ادعت و ذكرت من يشهد لها هذا مال من مال الله لم يكن لرسول الله ص و هذا ليس بجواب صحيح.

و أما الخبر الذى رواه محمد بن زكريا عن عائشه ففيه من الإشكال مثل ما فى هذا الخبر لأنه إذا شهد لها على ع و أم أيمن أن رسول الله ص وهب لها فدك لم يصح اجتماع صدقها و صدق عبد الرحمن و عمر و لا- ما تكلفه أبو بكر من تأويل ذلك بمستقيم لأن كونها هبه من رسول الله ص لها يمنع من قوله كان يأخذ منها قوتكم و يقسم الباقي و يحمل منه فى سبيل الله لأن هذا ينافى كونها هبه لها لأن معنى كونها لها انتقالها إلى ملكيتها و أن تتصرف فيها خاصة دون كل أحد من الناس و ما هذه صفته كيف يقسم و يحمل منه فى سبيل الله.

فإن قال قائل هو ص أبوها و حكمه فى مالها كحكمه فى ماله و فى بيت مال المسلمين فلعله كان بحكم الأبوه يفعل ذلك قيل فإذا كان يتصرف (١) فيها تصرف الأب فى مال ولده لا- يخرج ذلك عن كونه مال ولده فإذا مات الأب لم يجر لأحد أن يتصرف فى مال ذلك الولد لأنه ليس باب له فيتصرف فى ماله تصرف الآباء فى أموال أولادهم على أن الفقهاء أو معظمهم لا يجيزون للأب أن يتصرف فى مال الابن.

و هاهنا إشكال آخر و هو قول عمر لعلى ع و العباس و أنتما حيثنذ تزعمان أن أبا بكر فيها ظالم فاجر ثم قال لما ذكر نفسه و أنتما تزعمان أنى فيها ظالم فاجر فإذا كانا يزعمان ذلك فكيف يزعم هذا الزعم مع كونهما يعلمان أن رسول الله ص قال لا أورث إن هذا لمن أعجب العجائب و لو لا أن هذا الحديث أعنى حديث خصومه العباس و على عند عمر المذكور فى الصحاح المجمع عليها لما أطلت العجب من مضمونه إذ لو كان غير المذكور فى الصحاح لكان بعض ما ذكرناه يطعن فى صحته و إنما الحديث فى الصحاح لا ريب فى ذلك.

٤٣٣٣

١- قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد قال حدثنا ابن أبى شيبه قال حدثنا ابن عليه عن أيوب عن عكرمه عن مالك بن أوس بن الحدثان قال جاء العباس و على إلى عمر فقال العباس اقض بينى و بين هذا الكذا و كذا أى يشتمه فقال الناس أفصل بينهما فقال لا أفصل بينهما قد علما أن رسول الله ص قال لا نورث ما تركناه صدقه

قلت و هذا أيضا مشكل لأنهما حضرا يتنازعا لا فى الميراث بل فى ولايه صدقه رسول الله ص أيهما يتولاها ولايه لا إرثا و على هذا كانت الخصومه

ص: ٢٢٤

(١- ١) ب: «قد يتصرف».

فهل يكون جواب ذلك قد علما أن رسول الله ص قال لا نورث.

٤٣٣٤

١٤- قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد قال حدثني يحيى بن كثير أبو غسان قال حدثنا شعبه عن عمر بن مره عن أبي البختری قال جاء العباس و على إلى عمر و هما يختصمان فقال عمر لطلحه و الزبير و عبد الرحمن و سعد أنشدكم الله أ سمعتم رسول الله ص يقول كل مال نبي فهو صدقه إلا ما أطعمه أهله إنا لا نورث فقالوا نعم قال و كان رسول الله يتصدق به و يقسم فضله ثم توفي فوليه أبو بكر سنتين يصنع فيه ما كان يصنع رسول الله ص و أنتما تقولان أنه كان بذلك خاطئا و كان بذلك ظالما و ما كان بذلك إلا راشدا ثم وليته بعد أبي بكر فقلت لكما إن شئتما قبلتماه على عمل رسول الله ص و عهده الذي عهد فيه فقلتما نعم و جئتماني الآن تختصمان يقول هذا أريد نصيبي من ابن أخي و يقول هذا أريد نصيبي من امرأتي و الله لا أفضى بينكما إلا بذلك

قلت و هذا أيضا مشكل لأن أكثر الروايات أنه لم يرو هذا الخبر إلا أبو بكر وحده ذكر ذلك أعظم المحدثين حتى إن الفقهاء فى أصول الفقه أطبقوا على ذلك فى احتجاجهم فى الخبر بروايه الصحابي الواحد و قال شيخنا أبو على لا تقبل فى الروايه إلا روايه اثنين كالشهاده فخالفه المتكلمون و الفقهاء كلهم و احتجوا (١) عليه بقبول الصحابه

٤٣٣٥

روايه أبو بكر وحده نحن معاصر الأنبياء لا نورث.

حتى إن بعض أصحاب أبي على تكلف لذلك جوابا فقال

٤٣٣٦

١٤,١٥- قد روى أن أبا بكر يوم حاج فاطمه ع قال أنشد الله امرأ سمع من رسول الله ص فى هذا شيئا فروى مالك بن أوس بن الحدثان أنه سمعه من رسول الله ص .

و هذا الحديث ينطق

ص: ٢٢٧

(١-١) ساقطه من ب.

بأنه استشهد عمر و طلحه و الزبير و عبد الرحمن و سعدا فقالوا سمعناه من رسول الله ص فأين كانت هذه الروايات أيام أبي بكر ما نقل أن أحدا من هؤلاء يوم خصومه فاطمه ع و أبي بكر روى من هذا شيئا.

٤٣٣٧

١٤،١٥- قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد عمر بن شبه قال حدثنا محمد بن يحيى (١) عن إبراهيم بن أبي يحيى عن الزهرى عن عروه عن عائشه أن أزواج النبي ص أرسلن عثمان إلى أبي بكر فذكر الحديث قال عروه و كانت فاطمه قد سألت ميراثها من أبي بكر مما تركه النبي ص فقال لها بأبى أنت و أمى و بأبى أبوك و أمى و نفسى إن كنت سمعت من رسول الله ص شيئا أو أمرت بشىء لم أتبع غير ما تقولين و أعطيتك ما تبتغين و إلا فإنى أتبع ما أمرت به

٤٣٣٨

١٥،١٤- قال أبو بكر و حدثنا أبو زيد قال حدثنا عمرو بن مرزوق عن شعبه عن عمرو بن مره عن أبي البخترى قال قال لها أبو بكر لما طلبت فدىك بأبى أنت و أمى أنت عندى الصادقة الأمينه إن كان رسول الله ص عهد إليك فى ذلك عهدا أو وعدك به وعدا صدقتك و سلمت إليك فقالت لم يعهد إلى فى ذلك بشىء و لكن الله تعالى يقول يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ (٢) فقال أشهد لقد سمعت (٣) رسول الله ص يقول إنا معاشر الأنبياء لا نورث

قلت و فى هذا من الإشكال ما هو ظاهر لأنها قد ادعت أنه عهد إليها رسول الله ص فى ذلك أعظم العهد و هو النحلة فكيف سكتت عن ذكر هذا لما سألها أبو بكر و هذا أعجب من العجب.

ص: ٢٢٨

١- (١) ب: «عيسى».

٢- (٢) سورة النساء ١١.

٣- (٣) كذا فى: «و فى ب: «كان».

١٤,١- قال أبو بكر و حدثنا أبو زيد قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عبد الله الأنصاري عن ابن شهاب عن مالك بن أوس بن الحدثان قال سمعت عمر و هو يقول للعباس و علي و عبد الرحمن بن عوف و الزبير و طلحه أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ص قال إنا لا- نورث معاشر الأنبياء ما تركنا صدقه قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ص يدخل في فيئه أهله السنه من صدقاته (١) ثم يجعل ما بقى في بيت المال قالوا اللهم نعم فلما توفى رسول الله ص قبضها أبو بكر فجئت يا عباس تطلب ميراثك من ابن أخيك و جئت يا علي تطلب ميراث زوجتك من أبيها و زعمت ما أن أبا بكر كان فيها خائنا فاجرا و الله لقد كان امرأ مطيعا تابعا للحق ثم توفى أبو بكر فقبضتها فجئتماني تطلبان ميراثكما أما أنت يا عباس فتطلب ميراثك من ابن أخيك و أما علي فيطلب ميراث زوجته من أبيها و زعمت ما أنى فيها خائن و فاجر و الله يعلم أنى فيها مطيع تابع للحق فأصلحا أمركما و إلا و الله لم ترجع إليكما فقاما و تركا الخصومه و أمضيت صدقه

٤٣٤٠

١,٢,٣,٤- قال أبو زيد قال أبو غسان فحدثنا عبد الرزاق الصنعاني عن معمر بن شهاب عن مالك بن نحوه و قال في آخره فغلب علي عباسا عليها فكانت بيد علي ثم كانت بيد الحسن ثم كانت بيد الحسين ثم علي بن الحسين ثم الحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن

قلت و هذا الحديث يدل صريحا على أنهما جاءا يطلبان الميراث لا الولاية و هذا من المشكالات لأن أبا بكر حسم المادة أولا و قرر عند العباس و علي و غيرهما أن النبي ص لا يورث و كان عمر من المساعدين له على ذلك فكيف يعود

ص: ٢٢٩

العباس و على بعد وفاه أبى بكر يحاولان امرأ قد كان فرغ منه و يئس من حصوله اللهم إلا أن يكونا ظنا أن عمر ينقض قضاء أبى بكر فى هذه المسأله و هذا بعيد لأن عليا و العباس كانا (١) فى هذه المسأله (٢) يتهمان عمر بممالة أبى بكر على ذلك ألا تراه يقول نسبتمانى و نسبتما أبى بكر إلى الظلم و الخيانه فكيف يظنان أنه ينقض قضاء أبى بكر و يورثهما و اعلم أن الناس يظنون أن نزاع فاطمه أبى بكر كان فى أمرين فى الميراث و النحل و قد وجدت فى الحديث أنها نازعت فى أمر ثالث و منعها أبو بكر إياه أيضا و هو سهم ذوى القربى

٤٣٤١

١٤,١٥- قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري أخبرنى أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنى هارون بن عمير قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنى صدقه أبو معاوية عن محمد بن عبد الله عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك أن فاطمه ع أتت أبى بكر فقالت لقد علمت الذى ظلمتنا عنه أهل البيت من الصدقات و ما أفاء الله علينا من الغنائم فى القرآن من سهم ذوى القربى ثم قرأت عليه قوله تعالى وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى (٣) الآيه فقال لها أبو بكر بأبى أنت و أمى و والدك السهم و الطاعه لكتاب الله و لحق رسول الله ص و حق قرابته و أنا أقرأ من كتاب الله الذى تقرءين منه و لم يبلغ علمى منه أن هذا السهم من الخمس يسلم إليكم كاملا قالت أ فلك هو و لأقربائك قال لا بل أنفق عليكم منه و أصرف الباقى فى مصالح المسلمين قالت ليس هذا حكم الله تعالى قال هذا حكم الله فإن كان رسول الله عهد إليك

ص: ٢٣٠

١-١-١) ساقط من ب.

٢-٢) سورة الأنفال ٤١.

٣-٢) سورة الأنفال ٤١.

فى هذا عهدا أو أوجه لكم حقا (١) صدقتك و سلمته كله إليك و إلى أهلك قالت إن رسول الله ص لم يعهد إلى فى ذلك بشىء إلا أنى سمعته يقول لما أنزلت هذه الآية أبشروا آل محمد فقد جاءكم الغنى قال أبو بكر لم يبلغ علمى من هذه الآية أن أسلم إليكم هذا السهم كله كاملا و لكن لكم الغنى الذى يغنيكم و يفضل عنكم و هذا عمر بن الخطاب و أبو عبيده بن الجراح فأسألهم عن ذلك و انظرى هل يوافقك على ما طلبت أحد منهم فانصرفت إلى عمر فقالت له مثل ما قالت لأبى بكر فقال لها مثل ما قاله لها أبو بكر فعجبت فاطمه ع من ذلك و تظنت أنهما كانا قد تذاكرا ذلك و اجتمعا عليه

٤٣٤٢

١٥- قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد قال حدثنا هارون بن عمير قال حدثنا الوليد عن ابن أبى لهيعة عن أبى الأسود عن عروه قال أرادت فاطمه أبا بكر على فدك و سهم ذوى القربى فأبى عليها و جعلهما فى مال الله تعالى .

٤٣٤٣

قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد قال حدثنا أحمد بن معاوية عن هيثم عن جوير عن أبى الضحاك عن الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب ع أن أبا بكر منع فاطمه و بنى هاشم سهم ذوى القربى و جعله فى سبيل الله فى السلاح و الكراع.

٤٣٤٤

٥١- قال أبو بكر و أخبرنا أبو زيد قال حدثنا حيان بن هلال عن محمد بن يزيد بن ذريع عن محمد بن إسحاق قال سألت أبا جعفر محمد بن على ع قلت أ رأيت عليا حين ولى العراق و ما ولى من أمر الناس كيف صنع فى سهم ذوى القربى قال سلك بهم طريق أبى بكر و عمر قلت و كيف و لم و أنتم تقولون ما تقولون قال أما و الله ما كان أهله يصدرون إلا عن رأيه فقلت فما منعه قال كان يكره

ص: ٢٣١

(١- ١) كذا فى ا، و فى ب: «أوجه لك على».

١٥- قال أبو بكر و حدثني المؤمل بن جعفر قال حدثني محمد بن ميمون عن داود بن المبارك قال أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن الحسن و نحن راجعون من الحج في جماعه فسألناه عن مسائل و كنت أحد من سأله فسألته عن أبي بكر و عمر فقال سئل جدى عبد الله بن الحسن بن الحسن عن هذه المسأله فقال كانت أمى صديقه بنت نبى مرسل فماتت و هى غضبى على إنسان فنحن غضاب لغضبها و إذا رضيت رضينا .

قال أبو بكر و حدثني أبو جعفر محمد بن القاسم قال حدثني على بن الصباح قال أنشدنا أبو الحسن روايه المفضل للكميت أهوى عليا أمير المؤمنين و لا

قال ابن الصباح فقال لى أبو الحسن أ تقول إنه قد أكفرهما فى هذا الشعر قلت نعم قال كذاك هو.

١٤,١٥- قال أبو بكر حدثنا أبو زيد عن هارون بن عمير عن الوليد بن مسلم عن إسماعيل بن عباس عن محمد بن السائب عن أبي صالح عن مولى أم هانئ قال دخلت فاطمه على أبي بكر بعد ما استخلف فسألته ميراثها من أبيها فمنعها فقالت له لئن مت اليوم من كان يرثك قال ولدى و أهلى قالت فلم ورثت أنت رسول الله ص دون ولده و أهله قال فما فعلت يا بنت رسول الله ص قالت بلى إنك عمدت إلى فذك و كانت صافيه لرسول الله ص فأخذتها و عمدت إلى ما أنزل الله من السماء فرفعته عنا فقال يا بنت رسول الله ص

لم أفعل حدثني رسول الله ص أن الله تعالى يطعم النبي ص الطعمه ما كان حيا فإذا قبضه الله إليه رفعت فقالت أنت و رسول الله أعلم ما أنا بسائلتك بعد مجلسي ثم انصرفت

٤٣٤٧

١٤، ١٥، ١٦- قال أبو بكر و حدثنا محمد بن زكريا قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهلبى عن عبد الله بن حماد بن سليمان عن أبيه عن عبد الله بن حسن بن حسن عن أمه فاطمه بنت الحسين ع قالت لما اشتد بفاطمه بنت رسول الله ص الوجع و ثقلت فى علتها اجتمع عندها نساء من نساء المهاجرين و الأنصار فقلن لها كيف أصبحت يا ابنه رسول الله ص قالت و الله أصبحت عائفه (١) لدنياكم قاله لرجالكم لفظتهم بعد أن عجمتهم (٢) و شنتهم (٣) بعد أن سبرتهم (٤) فقبحا لفلول الحد و خور القناه و خطل الرأى و بسما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم و فى العذاب هم خالدون لا جرم قد قلدتهم ربقتها و شنت عليهم غارتها فجدعا و عقرا و سحقا للقوم الظالمين و يحهم أين زحزحوها عن رواسى الرساله و قواعد النبوه و مهبط الروح الأمين و الطيبين بأمر الدنيا و الدين ^{□□}ألا ذلك هو الخسران المبين و ما الذى نقموا من أبى حسن نقموا و الله نكير سيفه و شده و طأته و نكال وقعته و نمره فى ذات الله و تالله لو تكافوا عن زمام نبذه إليه رسول الله ص لا اعتلقه و لسا ر إليهم سيرا سجحا لا تكلم حشاشته و لا يتتبع راكبه و لأوردهم منهلا نميرا فضفاضا يطفح ضفتاه و لأصدرهم بطانا قد تحير بهم الرأى غير متحل بطائل إلا بغمر الناهل و ردعه سوره الساعب و لفتحت عليهم ^{□□}بركات من السماء و الأرض و سيأخذهم الله بما ^{□□}كانوا يكسبون ألا هلم فاستمع و ما عشت

ص: ٢٣٣

١- ١) عائفه لدنياكم، أى قاله لها كارهه.

٢- ٢) عجمتهم: بلوتهم و خبرتهم.

٣- ٣) شنتهم: أبغضتهم.

٤- ٤) سبرتهم: علمت أمورهم.

أراك الدهر عجبه و إن تعجب فقد أعجبك الحادث إلى أى لجأ استندوا و بأى عروه تمسكوا لِبَسِّ الْمَوْلَى وَ لِبَسِّ الْعَشِيرِ وَ لِبَسِّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا استبدلوا و الله الذنابى بالقوادم و العجز بالكاهل فرغما لمعاطس قوم يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صِينَةً إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لَكِنَّ لَا يَشْعُرُونَ وَيَحْتَمِلُونَ أَمَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَلَمَّا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أما لعمر الله لقد لقت فنظره ريثما تنتج (١) ثم احتلبوها طلاع العقب دما عبيطا و ذعاقا ممقرا هنالك يَحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ و يعرف التالون غب ما أسس الأولون ثم طيبوا عن أنفسكم نفسا و اطمئنوا للفتنه جأشا و أبشروا بسيف صارم و هرج شامل و استبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيدا و جمعكم حصيدا فيا حسره عليكم و أنى لكم و قد عميت عليكم أ نزلتكموها و أنتم لها كارهون وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ صَلَاتِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ

قلت هذا الكلام و إن لم يكن فيه ذكر فدك و الميراث إلا أنه من تتمه ذلك و فيه إيضاح لما كان عندها و بيان لشده غيظها و غضبها فإنه سيأتى فيما بعد ذكر ما يناقض به قاضى القضاء و المرتضى فى أنها هل كانت غضبى أم لا و نحن لا ننصر مذهباً بعينه و إنما نذكر ما قيل و إذا جرى بحث نظرى قلنا ما يقوى فى أنفسنا منه.

و اعلم أنا إنما نذكر فى هذا الفصل ما رواه رجال الحديث و ثقاتهم و ما أودعه أحمد بن عبد العزيز الجوهري فى كتابه و هو من الثقات الأمانة عند أصحاب الحديث و أما ما يرويه رجال الشيعة و الأخباريون منهم فى كتبهم من قولهم إنها أهاناها و أسمعاها كلاما غليظا و إن أبا بكر رق لها حيث لم يكن عمر حاضرا فكتب لها بفدك كتابا فلما خرجت به وجدها عمر فمد يده إليه ليأخذها مغالبه فمنعته فدفع بيده فى صدرها

ص: ٢٣٤

و أخذ الصحيفة فخرقها بعد أن تفل فيها فمحاها و إنها دعت عليه فقالت بقر الله بطنك كما بقرت صحيفتي فشىء لا يرويه أصحاب الحديث و لا ينقلونه و قدر الصحابه يجعل عنه و كان عمر أتقى لله و أعرف لحقوق الله من ذلك و قد نظمت الشيعة بعض هذه الواقعة التي يذكرونها شعرا أوله أبيات لمهيار بن مرزويه الشاعر من قصيدته التي أولها (١) يا ابنه القوم تراك بالغ قتلى رضاك (٢).

و قد ذيل عليها بعض الشيعة و أتمها و الأبيات يا ابنه الطاهر كم تفرع

ص: ٢٣٥

١-١) ديوانه ٣٦٨، ٣٦٧: ٢.

٢-٢) في الأصول: «براك» و الصواب ما أثبتته. من الديوان.

فانظر إلى هذه البلية التي صبت من هؤلاء على سادات المسلمين و أعلام المهاجرين و ليس ذلك بقادح في علو شأنهم و جلاله مكانهم كما أن مبغضى الأنبياء و حسدتهم و مصنفى الكتب في إلحاق العيب و التهجين لشرائعهم لم تزد لأبيائهم إلا رفعة و لا زادت شرائعهم إلا انتشارا في الأرض و قبولا في النفس و بهجه و نورا عند ذوى الألباب و العقول.

و قال لى علوى في الحلة (١) يعرف بعلى بن مهنا ذكى ذو فضائل ما تظن قصد أبى بكر و عمر بمنع فاطمه فدك قلت ما قصدا قال أرادا ألا يظهر لعلى و قد اغتصباه الخلافة رقه ولينا و خذلانا و لا يرى عندهما خورا فأتبعوا القرع بالقرع.

و قلت لمتكلم من متكلمى الإماميه يعرف بعلى بن تقي من بلده النيل (٢) و هل كانت فدك إلا نخلا يسيرا و عقارا ليس بذلك الخطير فقال لى ليس الأمر كذلك بل كانت جليله جدا و كان فيها من النخل نحو ما بالكوفه الآن من النخل و ما قصد أبو بكر و عمر بمنع فاطمه عنها إلا ألا يتقوى على بحاصلها و غلتها على المنازعه فى الخلافة و لهذا أتبعوا ذلك بمنع فاطمه و على و سائر بنى هاشم و بنى المطلب حقهم فى الخمس فإن

ص: ٢٣٦

١- (١) الحلة: تطلق على عدة مواضع؛ منها موضع بين الكوفه و البصره؛ و هى حله بنى مزيد.

٢- (٢) النيل هنا: بليده فى سواد الكوفه؛ قرب حله بنى مزيد.

الفقير الذى لا مال له تضعف همته و يتصاغر عند نفسه و يكون مشغولا بالاحتراف و الاكتساب عن طلب الملك و الرئاسة فانظر إلى ما قد وقر فى صدور هؤلاء و هو داء لا دواء له و ما أكثر ما تزول الأخلاق و الشيم فأما العقائد الراسخه فلا سبيل إلى زوالها

الفصل الثانى فى النظر فى أن النبى ص هل يورث أم لا

نذكر فى هذا الموضوع ما حكاه المرتضى رحمه الله فى الشافى (١) عن قاضى القضاة فى هذا المعنى و ما اعترضه به و إن استضعفنا شيئا من ذلك قلنا ما عندنا و إلا تركناه على حاله.

قال المرتضى أول ما ابتدأ به قاضى القضاة حكايته عنا استدلالنا على أنه ص مورث (٢) بقوله تعالى يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ (٣) و هذا الخطاب عام يدخل فيه النبى و غيره.

ثم أجاب يعنى قاضى القضاة عن ذلك فقال إن الخبر الذى احتج به أبو بكر يعنى

٤٣٤٨

قوله نحن معاشر الأنبياء لا نورث.

لم يقتصر على روايته هو وحده حتى استشهد عليه عمر و عثمان و طلحة و الزبير و سعدة و عبد الرحمن فشهدوا به فكان لا يحل لأبى بكر و قد صار الأمر إليه أن يقسم التركة ميراثا و قد خبر رسول الله ص بأنها صدقه و ليست بميراث و أقل ما فى هذا الباب أن يكون الخبر من أخبار الآحاد

ص: ٢٣٧

١- ١) الشافى ص ٢٢٨ و ما بعدها.

٢- ٢) ا: «موروث».

٣- ٣) سورة النساء ١١.

فلو أن شاهدين شهدا في التركة أن فيها حقا أليس كان يجب أن يصرف ذلك عن الإرث فعلمه بما قال رسول الله ص مع شهادته غيره أقوى ولسنا نجعله مدعيا لأنه لم يدع ذلك لنفسه وإنما بين أنه ليس بميراث وأنه صدقه ولا يمتنع تخصيص القرآن بذلك كما يخص في العبد والقاتل وغيرهما وليس ذلك بنقص في الأنبياء بل هو إجلال لهم يرفع الله به قدرهم عن أن يورثوا المال و صار ذلك من أوكد الدواعي ألا يتشاغلوا بجمعه لأن أحد الدواعي القوية إلى ذلك تركه على الأولاد والأهلين و لما سمعت فاطمه ع ذلك من أبي بكر كفت عن الطلب فيما ثبت من الأخبار الصحيحة فلا يمتنع أن تكون غير عارفه بذلك فطلبت الإرث فلما روى لها ما روى كفت فأصابت أولا و أصابت ثانيا.

و ليس لأحد أن يقول كيف يجوز أن يبين النبي ص ذلك للقوم و لا- حق لهم في الإرث و يدع أن يبين ذلك لمن له حق في الإرث مع أن التكليف يتصل به و ذلك لأن التكليف في ذلك يتعلق بالإمام فإذا بين له جاز ألا يبين لغيره و يصير البيان له بيانا لغيره و إن لم يسمعه من الرسول لأن هذا الجنس من البيان يجب أن يكون بحسب المصلحة.

قال ثم حكى عن أبي علي أنه قال أ تعلمون كذب أبي بكر في هذه الرواية أم تجوزون أن يكون صادقا (١) قال و قد علم أنه لا شيء يقطع به على كذبه فلا- بد من تجويز كونه صادقا و إذا صح ذلك قيل لهم فهل كان يحل له مخالفه الرسول فإن قالوا لو كان صادقا لظهر و اشتهر قيل لهم إن ذلك من باب العمل و لا يمتنع أن ينفرد بروايته جماعه يسيره بل الواحد و الاثنان مثل سائر الأحكام و مثل الشهادات فإن قالوا نعلم أنه لا يصح لقوله تعالى في كتابه وَ وَرَثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ (٢) قيل لهم

ص: ٢٣٨

١- (١) الشافعي: «أم تجوزون كذبه و صدقه».

٢- (٢) سورة النمل ١٦.

و من أين أنه ورثه الأموال مع تجويز أن يكون ورثه العلم و الحكمه فإن قالوا إطلاق الميراث لا يكون إلا في الأموال قيل لهم إن كتاب الله يبطل قولكم لأنه قال ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (١) و الكتاب ليس بمال و يقال في اللغه ما ورثت الأبناء عن الآباء شيئا أفضل من أدب حسن و قالوا العلماء ورثه الأنبياء و إنما ورثوا منهم العلم دون المال على أن في آخر الآيه ما يدل على ما قلناه و هو قوله تعالى حاكيا عنه وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (٢) فنبه على أن الذي ورث هو هذا العلم و هذا الفضل و إلا لم يكن لهذا القول تعلق بالأول فإن قالوا فقد قال تعالى فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ (٣) و ذلك يبطل الخبر قيل لهم ليس في ذلك بيان المال أيضا و في الآيه ما يدل على أن المراد النبوه و العلم لأن زكريا خاف على العلم أن يندرس و قوله وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا تَحْرُسُ عَلَى الْأَمْوَالِ حَرَصًا يَتَعَلَّقُ خَوْفُهَا بِهَا و إنما أراد خوفه على العلم أن يضيع فسأل الله تعالى وليا يقوم بالدين مقامه و قوله وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ الْعِلْمَ وَ الْحُكْمَ لِأَنَّهُ لَا يَرِثُ أَمْوَالَ يَعْقُوبَ فِي الْحَقِيقَةِ (٤) و إنما يرث ذلك غيره قال فأما من يقول إن المراد أنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه أى ما جعلناه صدقه في حال حياتنا لا نورثه فركيك من القول لأن إجماع الصحابه يخالفه لأن أحدا لم يتأوله على هذا الوجه لأنه لا يكون في ذلك تخصيص الأنبياء و لا مزيه لهم و لأن قوله ما تركناه صدقه جمله من الكلام مستقله بنفسها كأنه

ص: ٢٣٩

١-١ (١) سورة فاطر ٣٢.

١٦-٢ (٢) سورة النمل ١٦.

٥٦-٣ (٣) سورة مريم ٥٦.

٤-٤ (٤) ب: «الحقيقه» تحريف صوابه من ا و الشافى.

ع مع بيانه أنهم لا يورثون المال بين أنه صدقه لأنه كان يجوز ألا يكون ميراثا و يصرف إلى وجه آخر غير الصدقه.

قال فأما خبر السيف و البغله و العمامه و غير ذلك فقد قال أبو على إنه لم يثبت أن أبا بكر دفع ذلك إلى أمير المؤمنين ع على جهة الإرث كيف يجوز ذلك مع الخبر الذى رواه و كيف يجوز لو كان وارثا أن يخصه بذلك و لا إرث له مع العم لأنه عصبه فإن كان وصل إلى فاطمه ع فقد كان ينبغى أن يكون العباس شريكا فى ذلك و أزواج رسول الله ص و لوجب أن يكون ذلك ظاهرا مشهورا ليعرف أنهم أخذوا نصيبهم من ذلك أو بدله و لا- يجب إذا لم يدفع أبو بكر ذلك إليه على جهة الإرث ألا يحصل ذلك فى يده لأنه قد يجوز أن يكون النبى ص نحله ذلك و يجوز أيضا أن يكون أبو بكر رأى الصلاح فى ذلك أن يكون بيده لما فيه من تقويه الدين و تصدق ببده بعد التقويم لأن الإمام له أن يفعل ذلك.

قال و حكى عن أبى على فى البرد و القضيبي أنه لم يمتنع أن يكون جعله عده فى سبيل الله و تقويه على المشركين فتداولته الأئمه لما فيه من التقويه و رأى أن ذلك أولى من أن يتصدق به إن ثبت (1) أنه ع لم يكن قد نحله غيره فى حياته ثم عارض نفسه بطلب أزواج النبى ص الميراث و تنازع أمير المؤمنين ع و العباس بعد موت فاطمه ع و أجاب عن ذلك بأن قال يجوز أن يكونوا لم يعرفوا روايه أبى بكر و غيره للخبر.

و قد روى أن عائشه لما عرفتهن الخبر أمسكن و قد بينا أنه لا يمتنع فى مثل ذلك أن يخفى على من يستحق الإرث و يعرفه من يتقلد الأمر كما يعرف العلماء و الحكام من أحكام الموارث ما لا يعلمه أرباب الإرث و قد بينا أن روايه أبى بكر مع الجماعه

ص: ٢٤٠

أقوى من شاهدين لو شهد أن بعض تركته ع دين و هو أقوى من روايه سلمان و ابن مسعود لو روي ذلك.

قال و متى تعلقوا بعموم القرآن أريناهم جواز التخصيص بهذا الخبر كما أن عموم القرآن يقتضى كون الصدقات للفقراء و قد ثبت أن آل محمد لا تحل لهم الصدقه.

هذا آخر ما حكاه المرتضى من كلام قاضى القضاة (١).

ثم قال نحن نبين أولا- ما يدل على أنه ص يورث المال و نرتب الكلام فى ذلك الترتيب الصحيح ثم نعطف على ما أورده و نتكلم عليه.

قال رضى الله عنه و الذى يدل على ما ذكرنا قوله تعالى مخبرا عن زكريا ع وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَ كَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٢) فخير أنه خاف من بنى عمه لأن الموالى هاهنا هم بنو العم بلا- شبهه و إنما خافهم أن يرثوا ماله فينفقوه فى الفساد لأنه كان يعرف ذلك من خلائقهم و طرائقهم فسأل ربه ولدا يكون أحق بميراثه منهم و الذى يدل على أن المراد بالميراث المذكور ميراث المال دون العلم و النبوه على ما يقولون إن لفظه الميراث فى اللغة و الشريعة لا يفيد (٣) إطلاقها إلا على ما يجوز أن ينتقل على الحقيقه من الموروث إلى الوارث كالأموال و ما فى معناها و لا يستعمل فى غير المال إلا تجوزا و اتساعا و لهذا لا يفهم من قول القائل لا وارث لفلان إلا فلان و فلان يرث مع فلان بالظاهر و الإطلاق إلا- ميراث الأموال و الأعراض دون العلوم و غيرها و ليس لنا أن نعدل عن ظاهر الكلام و حقيقته إلى مجازه بغير دلالة و أيضا فإنه تعالى خبر عن نبيه أنه اشترط فى وارثه أن يكون رضىا و متى لم يحمل الميراث فى الآيه على المال دون العلم

ص: ٢٤١

١- (١) الشافى ٢٢٩، ٢٢٨.

٢- (٢) سورة مريم ٥٦.

٣- (٣) ١ و الشافى: «لا يعهد».

و النبوه لم يكن للاشتراط معنى و كان لغوا و عبثا لأنه إذا كان إنما سأل من يقوم مقامه و يرث مكانه فقد دخل الرضا و ما هو أعظم من الرضا فى جملة كلامه و سؤاله فلا مقتضى لاشتراطه أ لا ترى أنه لا يحسن أن يقول اللهم ابعث إلينا نبيا و اجعله عاقلا [و مكلفا]

(١) فإذا ثبتت هذه الجملة صح أن زكريا موروث ماله و صح أيضا لصحتها أن نبينا ص ممن يورث المال لأن الإجماع واقع على أن حال نبينا لا يخالف حال الأنبياء المتقدمين فى ميراث المال فمن مثبت للأمرين و ناف للأمرين (٢).

قلت إن شيخنا أبا الحسين قال فى كتاب الغرر صورته الخبر الوارد فى هذا الباب و هو الذى رواه أبو بكر لا نورث و لم يقل نحن معاشر الأنبياء لا نورث فلا يلزم من كون زكريا يورث الطعن فى الخبر و تصفحت أنا كتب الصحاح فى الحديث فوجدت صيغته الخبر كما قاله أبو الحسين و إن كان رسول الله ص عنى نفسه خاصة بذلك فقد سقط احتجاج الشيعة بقصه زكريا و غيره من الأنبياء إلا أنه يبعد عندى أن يكون أراد نفسه خاصة لأنه لم تجر عادته أن يخبر عن نفسه فى شىء بالنون.

فإن قلت أ يصح من المرتضى أن يوافق على أن صورته الخبر هكذا ثم يحتج بقصه زكريا بأن يقول إذا ثبت أن زكريا موروث ثبت أن رسول الله ص يجوز أن يكون موروثا لإجماع الأمة على أن لا فرق بين الأنبياء كلهم فى هذا الحكم.

قلت و إن ثبت له هذا الإجماع صح احتجاجه و لكن ثبوته يبعد لأن من نفى كون زكريا موروثا من الأمة إنما نفاه لاعتقاده أن رسول الله ص قال نحن معاشر الأنبياء فإذا كان لم يقل هكذا لم يقل إن زكريا غير موروث

ص: ٢٤٢

١-١) من الشافى الشافى.

٢-٢) ٢٢٩.

قال المرتضى و مما يقوى ما قدمناه أن زكريا ع خاف بنى عمه فطلب وارثا لأجل خوفه و لا يليق خوفه منهم إلا بالمال دون العلم و النبوه لأنه ع كان أعلم بالله تعالى من أن يخاف أن يبعث نبيا ليس بأهل للنبوه و أن يورث علمه و حكمه من ليس أهلا لهما و لأنه إنما بعث لإذاعه العلم و نشره فى الناس فلا يجوز أن يخاف من الأمر الذى هو الغرض فى البعثه (١) فإن (٢) قيل هذا يرجع عليكم فى الخوف عن إرث المال لأن ذلك غايه الضن و البخل قلنا معاذ الله أن يستوى الحال لأن المال قد يصح أن يرزقه الله تعالى المؤمن و الكافر و العدو و الولي و لا يصح ذلك فى النبوه و علومها و ليس من الضن أن يأسى على بنى عمه و هم من أهل الفساد أن يظفروا بماله فينفقوه على المعاصى و يصرفوه فى غير وجوهه المحبوه بل ذلك غايه الحكمه و حسن التدبير فى الدين لأن الدين يحظر تقويه الفساد و إمدادهم بما يعينهم على طرائقهم المذمومه و ما يعد ذلك شحا و لا بخلا إلا من لا تأمل له.

فإن قيل أ فلا (٣) جاز أن يكون خاف من بنى عمه أن يرثوا علمه و هم من أهل الفساد على ما ادعيتم فيستفسدوا به الناس و يموهوا به عليهم قلنا لا يخلو هذا العلم الذى أشرتتم إليه من أن يكون هو كتب علمه و صحف حكمته لأن ذلك قد يسمى علما على طريق المجاز أو يكون هو العلم الذى يحل القلب فإن كان الأول فهو يرجع إلى معنى المال و يصحح أن الأنبياء يورثون أموالهم و ما فى معناها و إن كان الثانى لم يخل هذا من أن يكون هو العلم الذى بعث النبى لنشره و أدائه أو أن يكون علما مخصوصا لا يتعلق بالشريعة و لا يجب إطلاع جميع الأمة عليه كعلم العواقب و ما يجرى فى مستقبل الأوقات و ما جرى مجرى ذلك و القسم الأول لا يجوز على النبى أن يخاف من وصوله إلى بنى عمه و هم من جمله أمته الذين بعث لإطلاعهم على ذلك و تأديته إليهم و كأنه على هذا الوجه يخاف مما هو الغرض من بعثته و القسم الثانى فاسد أيضا لأن

ص: ٢٤٣

١-١) ا و الشافى: «بعثته».

٢-٢) د: «قال فإن قيل».

٣-٣) د: «فألا».

هذا العلم المخصوص إنما يستفاد من جهته و يوقف عليه بإطلاعه و إعلامه و ليس هو مما يجب نشره في جميع الناس فقد كان يجب إذا خاف من إلقائه إلى بعض الناس فسادا ألا يلقيه إليه فإن ذلك في يده و لا يحتاج إلى أكثر من ذلك (١).

قلت لعاكس أن يعكس هذا على المرتضى رحمه الله حينئذ و يقول له و قد كان يجب إذا خاف من أن يرث بنو عمه أمواله فينفقوها في الفساد أن يتصدق بها على الفقراء و المساكين فإن ذلك في يده فيحصل له ثواب الصدقه و يحصل له غرضه من حرمان أولئك المفسدين ميراثه.

قال المرتضى رضى الله عنه و مما يدل على أن الأنبياء يورثون قوله تعالى وَ وَّرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ (٢) و الظاهر من إطلاق لفظه الميراث يقتضى الأموال و ما في معناها على ما دللنا به من قبل.

قال و يدل على ذلك أيضا قوله تعالى يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ (٣) الآية و قد أجمعت الأمه على عموم هذه اللفظه إلا- من أخرجه الدليل فيجب أن يتمسك بعمومها لمكان هذه الدلاله و لا يخرج عن حكمها إلا من أخرجه دليل قاطع (٤).

قلت أما قوله تعالى وَ وَّرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ فظاهرها يقتضى وراثه النبوه أو الملك أو العلم الذى قال فى أول الآية وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا لِأَنَّهُ لآ- معنى لذكر ميراث سليمان المال فإن غيره من أولاد داود قد ورث أيضا أباه داود و فى كتب اليهود و النصرارى أن بنى داود كانوا تسعه عشر و قد قال بعض المسلمين أيضا ذلك فأى معنى فى تخصيص سليمان بالذكر إذا كان إرث المال و أما يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ فالبحث فى تخصيص ذلك بالخبر فرع من فروع مسأله خبر الواحد هل هو حجه فى

ص: ٢٤٤

١- (١) الشافى ٢٣٠، ٢٢٩.

٢- (٢) سوره النمل ١٦.

٣- (٣) سوره النساء ١١.

٤- (١) الشافى ٢٣٠، ٢٢٩.

الشرعيات أم لا- فإن ثبت مذهب المرتضى في كونه ليس بحجه فكلامه هنا جيد و إن لم يثبت فلا مانع من تخصيص العموم بالخبر فإن الصحابه قد خصصت عمومات (١) الكتاب بالأخبار في مواضع كثيره.

قال المرتضى و أما تعلق صاحب الكتاب بالخبر الذى رواه أبو بكر و ادعاؤه أنه استشهد عمر و عثمان و فلانا و فلانا فأول ما فيه أن الذى ادعاه من الاستشهاد غير معروف و الذى روى أن عمر استشهد هؤلاء نفر لما تنازع (٢) أمير المؤمنين ع و العباس رضى الله عنه فى الميراث فشهدوا بالخبر المتضمن لنفى الميراث و إنما مقول مخالفينا فى صححه الخبر الذى رواه أبو بكر عند مطالبه فاطمه ع بالإرث على إمساك الأمه عن النكير عليه و الرد لقضيته (٣).

قلت صدق المرتضى رحمه الله فيما قال أما عقيب وفاه النبى ص و مطالبه فاطمه ع بالإرث فلم يرو الخبر إلا أبو بكر وحده و قيل إنه رواه معه مالك بن أوس بن الحدثان و أما المهاجرون الذين ذكرهم قاضى القضاء فإنما شهدوا بالخبر فى خلافه عمر و قد تقدم ذكر ذلك.

قال المرتضى ثم لو سلمنا استشهاد من ذكر على الخبر لم يكن فيه حجه لأن الخبر على كل حال لا يخرج من أن يكون غير موجب للعلم و هو فى حكم أخبار الآحاد و ليس يجوز أن يرجع عن ظاهر القرآن بما يجرى هذا المجرى لأن المعلوم لا يخص إلا بمعلوم و إذا كانت دلالة الظاهر معلومه لم يجوز أن يخرج عنها بأمر مطلق.

قال و هذا الكلام مبنى على أن التخصيص للكتاب و السنه المقطوع بها لا يقع

ص: ٢٤٥

١- (١) د: «عموم».

٢- (٢) ا و الشافى: «نازع».

٣- (٣) الشافى ٢٣٠.

بأخبار الآحاد و هو المذهب الصحيح و قد أشرنا إلى ما يمكن أن يعتمد في الدلالة عليه من أن الظن لا يقابل العلم و لا يرجع عن المعلوم بالمظنون قال و ليس لهم أن يقولوا إن التخصيص بأخبار الآحاد يستند أيضا إلى علم و إن كان الطريق مضمونا و يشيروا إلى ما يدعونه من الدلالة على وجوب العمل بخبر الواحد في الشريعة و أنه حجة لأن ذلك مبنى من قولهم على ما لا نسلمه و قد دل الدليل على فساده أعنى قولهم خبر الواحد حجة في الشرع على أنهم لو سلم لهم ذلك لاحتاجوا إلى دليل مستأنف على أنه يقبل في تخصيص القرآن لأن ما دل على العمل به في الجملة لا يتناول هذا الموضوع كما لا يتناول جواز النسخ به (١).

قلت أما قول المرتضى لو سلمنا أن هؤلاء المهاجرين الستة رووه لما خرج عن كونه خبرا واحدا و لما جاز أن يرجع عن عموم الكتاب به لأنه معلوم و الخبر مضمون.

و لقائل أن يقول ليته حصل في كل واحد من آيات القرآن روايه مثل هذه الستة حيث جمع القرآن على عهد عثمان و من قبله من الخلفاء فإنهم بدون هذا العدد كانوا يعملون في إثبات الآيه في المصحف بل كانوا يحلفون من أتهم بالآيه و من نظر في كتب التواريخ عرف ذلك فإن كان هذا العدد إنما يفيد الظن فالقول في آيات الكتاب كذلك و إن كانت آيات الكتاب أثبتت عن علم مستفاد من روايه هذا العدد و نحوه فالخبر مثل ذلك.

فأما مذهب المرتضى في خبر الواحد فإنه قول انفراد (٢) به عن سائر الشيعة لأن من قبله من فقهاءهم ما عولوا في الفقه إلا على أخبار الآحاد كزراره و يونس و أبي بصير و ابني بابويه و الحلبي و أبي جعفر القمي و غيرهم ثم من كان في عصر المرتضى منهم

ص: ٢٤٦

١- (١) الشافعي ٢٣٠.

٢- (٢) د تفرد: (١).

كأبى جعفر الطوسى وغيره وقد تكلمت فى اعتبار الذريعه على ما أعتمد عليه فى هذه المسأله و أما تخصيص الكتاب بخبر الواحد فالظاهر أنه إذا صح كون خير الواحد حجه فى الشرع جاز تخصيص الكتاب به و هذا من فن أصول الفقه فلا معنى لذكره هنا.

قال المرتضى رضى الله عنه و هذا يسقط قول صاحب الكتاب إن الشاهدين لو شهدا أن فى التركه حقا لكان يجب أن ينصرف (١) عن الإرث و ذلك لأن الشهاده و إن كانت مظنونه فالعمل بها يستند (٢) إلى علم لأن الشريعه قد قررت العمل بالشهاده و لم تقرر العمل بخبر الواحد و ليس له أن يقيس خبر الواحد على الشهاده من حيث اجتماعا فى غلبه الظن لأننا لا نعمل على الشهاده من حيث غلبه الظن دون ما ذكرناه من تقرير الشريعه العمل بها ألا ترى أنا قد نظن بصدق الفاسق و المرأه و الصبى و كثير ممن لا يجوز العمل بقوله فبان أن المعول فى هذا على المصلحه التى نستفيدها على طريق الجمله من دليل الشرع.

قال و أبو بكر فى حكم المدعى لنفسه و الجار إليها بخلاف ما ظنه صاحب الكتاب و كذلك من شهد له إن كانت هناك شهاده (٣) و ذلك أن أبا بكر و سائر المسلمين سوى أهل بيت الرسول ص يحل لهم الصدقه و يجوز أن يصيبوا فيها و هذه تهمه فى الحكم و الشهاده.

قال و ليس له أن يقول فهذا يقتضى ألا يقبل شهاده شاهدين فى تركه فيها صدقه لمثل ما ذكرتم.

ص: ٢٤٧

١- (١) د: «يصرف».

٢- (٢) الشافى: «استند».

٣- (٣) بعدها فى الشافى: «قد وجدت».

قال و ذلك لأن الشاهدين إذا شهدا فى الصدقه (١) فحظهما منها كحظ صاحب الميراث بل سائر المسلمين و ليس كذلك حال تركه الرسول لأن كونها صدقه يحرمها على ورثته و يبيحها لسائر المسلمين (٢).

قلت هذا فرق غير مؤثر اللهم إلا أن يعنى به تهمه أبى بكر و الشهود الستة فى جر النفع إلى أنفسهم يكون أكثر من تهمتهم لو شهدوا على أبى هريره مثلا- أن ما تركه صدقه لأن أهل أبى هريره يشاركون فى القسمة و أهل النبى ص لا يشاركون الشهود فيما يصيبهم إذ هم لا- تحل لهم الصدقه فتكون حصه أبى بكر و الشهود مما تركه رسول الله أكثر من حصتهم مما يتركه أبو هريره فيكون تطرق التهمه إلى أبى بكر و الشهود أكثر حسب زياده حصتهم و ما وقفت للمرتضى على شىء أطرف من هذا لأن رسول الله ص مات و المسلمون أكثر من خمسين ألف إنسان لأنه قاد فى غزاه تبوك عشرين ألفا ثم وفدت إليه الوفود كلها بعد ذلك فليت شعرى كم مقدار ما يتوفر على أبى بكر و ستة نفر معه و هم من جمله خمسين ألفا بين ما إذا كان بنو هاشم و بنو المطلب و هم حينئذ عشره نفر لا- يأخذون حصه و بين ما إذا كانوا يأخذون أ ترى أ يكون المتوفر على أبى بكر و شهوده من التركه عشر عشر درهم ما أظن أنه يبلغ ذلك و كم مقدار ما يقلل حصص الشهود على أبى هريره إذا شركهم أهله فى التركه لتكون هذه القله موجب رفع التهمه و تلك الزياده و الكثره موجب حصول التهمه و هذا الكلام لا أرتضيه للمرتضى .

قال المرتضى رضى الله عنه و أما قوله يخص القرآن بالخبر (٣) كما خصصناه فى العبد و القاتل فليس بشىء لأننا إنما خصصنا من ذكر بدليل مقطوع عليه معلوم و ليس هذا موجودا فى الخبر الذى ادعاه فأما قوله و ليس ذلك ينقص الأنبياء بل هو إجلال لهم

ص: ٢٤٨

١- (١) كذا فى ا،د و الشافى،و فى ب: «بالصدق».

٢- (٢) الشافى ٢٣٠.

٣- (٣) الشافى: «بذلك».

فمن الذى قال له إن فيه (١) نقصا و كما أنه لا نقص فيه فلا إجلال فيه و لا فضيله لأن الداعى و إن كان قد يقوى على جمع المال ليخلف على الورثه فقد يقويه أيضا إرادته صرفه فى وجوه الخير و البر و كالا- الأمرين يكون داعيا إلى تحصيل المال بل الداعى الذى ذكرناه أقوى فيما يتعلق بالدين.

قال و أما قوله إن فاطمه لما سمعت ذلك كفت عن الطلب فأصابته أولا- و أصابت ثانيا فلعمري إنها كفت عن المنازعه و المشاحه لكنها انصرفت مغضبه متظلمه متألمه و الأمر فى غضبها و سخطها أظهر من أن يخفى على منصف فقد روى أكثر الرواه الذين لا يتهمون بتشيع و لا عصبية فيه من كلامها فى تلك الحال و بعد انصرافها عن مقام المنازعه و المطالبه ما يدل على ما ذكرناه من سخطها و غضبها.

٤٣٤٩

١٥- أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى قال حدثنى محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوى قال حدثنى الزيادى قال حدثنا الشرقى بن القظامى عن محمد بن إسحاق قال حدثنا صالح بن كيسان عن عروه عن عائشه قالت لما بلغ فاطمه إجماع أبى بكر على منعها فدك لاثت خمارها على رأسها و اشتملت بجلبايها و أقبلت فى لمة (٢) من حفدتها...

٤٣٥٠

١٥,١٤- قال المرتضى و أخبرنا المرزبانى قال حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد المكى قال حدثنا أبو العيناء بن القاسم اليمانى قال حدثنا ابن عائشه قال لما قبض رسول الله ص أقبلت فاطمه إلى أبى بكر فى لمة من حفدتها ثم اجتمعت الروايتان من هاهنا (٣) ... و نساء قومها تطأ ذبولها ما تخرم مشيتها مشيه رسول الله ص

ص: ٢٤٩

١- ١) د و الشافى: «إنه نقص».

٢- ٢) اللمه، بالضم و التشديد: الرفقه و الجماعه.

٣- ٣) الشافى: «اتفقا من هاهنا».

حتى دخلت على أبي بكر و هو فى حشد من المهاجرين و الأنصار و غيرهم فنيطت (١) دونها ملاءه ثم أنت أنه أجهدس لها القوم بالبكاء و ارتج المجلس ثم أمهلت هنيهه حتى إذا سكن نشيج القوم و هدأت فورتهم افتتحت كلامها بالحمد لله عز و جل و الثناء عليه و الصلاه على رسول الله ص ثم قالت لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (٢) فإن تعزوه تجدوه أبى دون آباءكم و أخا ابن عمى دون رجالكم فبلغ الرساله صادعا بالنداره (٣) مائلا عن سنن المشركين ضاربا ثبجهم يدعو إلى سبيل ربه بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ آخِذًا بِأَكْظَامِ (٤) المشركين يهشم الأصنام و يفلق الهام حتى انهزم الجمع و ولوا الدبر و حتى تفرى (٥) الليل عن صبحه و أسفر الحق عن محضه و نطق زعيم الدين و خرست شقائق الشياطين و تمت كلمه الإخلاص وَ كُنْتُمْ عَلَيَّ شَفَا حُفْرِهِ مِنَ الدَّارِ نَهْزَهُ الطَّمَعِ وَ مَذْقَهُ الشَّارِبِ وَ قَبَسَهُ الْعِجْلَانَ وَ مَوَطَأِ الْأَقْدَامِ تشربون الطرق (٦) و تقتاتون القد أذله خاسئين يختطفكم الناس من حولكم حتى أنقذكم الله برسوله ص بعد اللتيا و التى و بعد أن منى بهم الرجال و ذؤبان العرب و مرده أهل الكتاب و كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ (٧) أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغره (٨) قذف أخاه فى لهواتها و لا ينكفى (٩) حتى يطاء صماخها بأخمصه و يطفى عاديه لهيها بسيفه أو قالت يخمد لهيها بحده مكدودا فى ذات الله و أنتم فى رفاهيه فكهون آمنون وادعون .

ص : ٢٥٠

- ١-١) نيطة: أى وصلت و علقت.
- ٢-٢) سورة التوبه ١٢٨.
- ٣-٣) د: «صادرا بالتذكره».
- ٤-٤) الأكظام: جمع كظم، بالتحريك؛ و هو مخرج النفس من الحلق.
- ٥-٥) تفرى: انشق.
- ٦-٦) الطرق: الماء الذى بالت الإبل فيه.
- ٧-٧) سورة المائده ٦٤.
- ٨-٨) فغرت فاغره: أى فتحت فاها.
- ٩-٩) د: «فلا تكفى».

إلى هنا انتهى خبر أبي العيناء عن ابن عائشه .

و أما

٤٣٥١

١٥- عروه عن عائشه فزاد بعد هذا حتى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه ظهرت حسيكه النفاق و شمل جلباب الدين و نطق كاظم الغاوين و نبغ حامل الآفكين و هدر فنيق المبطلين فخطر في عرصاتكم و أطلع الشيطان رأسه صارخا بكم فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين و لقربه متلاحظين ثم استنهضكم فوجدكم خفافا و أحمشكم فألفاكم غضابا فوسمتم غير إبلكم و وردتم غير شربكم هذا و العهد قريب و الكلم رحيب (١) و الجرح لما يندمل إنما زعمتم ذلك خوف الفتنة ألا في الفتنه سَقَطُوا وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٢) فهيها ت و أنى بكم و أنى تؤفكون و كتاب الله بين أظهركم زواجه بينه و شواهد لائحه و أوامره واضحه أرغبه عنه تريدون أم لغيره تحكمون بئس للظالمين بدلا و من يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها تسرون حسوا في ارتغاء و نحن نصبر منكم على مثل حز المدى و أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا أ فحكم الجاهلته ينعون و من أحسن من الله حكما لقوم يوقنون (٣) يا ابن أبي قحافه أ ترث أباك و لا أرث أبي لقد جئت شيئا فريا فدونكها مخطومه مرحوله تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله و الزعيم محمد و الموعد القيامة و عند الساعة يخسر المبطلون ثم انكفأت إلى قبر أبيها ع فقالت قد كان بعدك أبناء و هنثه .

٤٣٥٢

و روى حر مى بن أبى العلاء مع هذين البيتين بيتا ثالثا

فليت بعدك كان الموت صادفنا

لما قضيت و حالت دونك الكتب .

ص : ٢٥١

١-١) رحيب، أى واسع.

٢-٢) سورة التوبة ٤٩.

٣-٣) سورة المائدة ٥٠.

١٤,١٥- قال فحمد أبو بكر الله و أثنى عليه و صلى على رسوله ص و قال يا خير (١) النساء و ابنه خير الآباء (٢) و الله ما عدوت رأى رسول الله ص و لا عملت إلا بإذنه و إن الرائد لا يكذب أهله و إنى أشهد الله و كفى بالله شهيداً أنى سمعت رسول الله يقول إنا معاشر الأنبياء لا- نورث ذهباً و لا فضة و لا داراً و لا عقاراً و إنما نورث الكتاب و الحكمة و العلم و النبوه قال فلما وصل الأمر إلى على بن أبى طالب ع كلم فى رد فدك فقال إنى لأستحيى من الله أن أرد شيئاً منع منه أبو بكر و أمضاه عمر

(٣)

قال المرتضى و أخبرنا أبو عبد الله المرزبانى قال حدثنى على بن هارون قال أخبرنى عبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر عن أبيه قال ذكرت لأبى الحسين زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ع كلام فاطمه ع عند منع أبى بكر إياها فدك و قلت له إن هؤلاء يزعمون أنه مصنوع و أنه من كلام أبى العيناء لأن الكلام منسوق البلاغه فقال لى رأيت مشايخ آل أبى طالب يروونه عن آبائهم و يعلمونه أولادهم و قد حدثنى به أبى عن (٤) جدى يبلغ به فاطمه ع (٥) على هذه الحكاياه. و قد رواه مشايخ الشيعة و تدارسوه قبل أن يوجد جد أبى العيناء و قد حدث الحسين بن علوان عن عطيه العوفى أنه سمع عبد الله بن الحسن بن الحسن يذكر (٦) عن أبيه هذا الكلام.

ثم قال أبو الحسن زيد و كيف (٧) تنكرون هذا من كلام فاطمه ع و هم

ص: ٢٥٢

١- (١) د: «يا خير».

٢- (٢) الشافى: «الأنبياء».

٣- (٣) الشافى ٢٣٠.

٤- (٤) ساقط من د.

٥- (٥) ساقط من د.

٦- (٦) د: «كيف».

يروون من كلام عائشه عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمه ع و يحققونه لو لا عداوتهم لنا أهل البيت ثم ذكر الحديث بطوله على نسقه و زاد فى الأبيات بعد البيتين الأولين ضاقت على بلادى بعد ما رحبت

قال فما رأينا يوماً أكثر باكياً أو باكية من ذلك اليوم.

قال المرتضى و قد روى هذا الكلام على هذا الوجه من طرق مختلفه و وجوه كثيره فمن أرادها أخذها من مواضعها فكيف يدعى أنها ع كفت راضيه و أمسكت قانعه لو لا البهت و قله الحياء (١).

قلت ليس فى هذا الخبر ما يدل على فساد ما ادعاه قاضى القضاة لأنه ادعى أنها نازعت و خاصمت ثم كفت لما سمعت الروايه و انصرفت تاركة للنزاع راضيه بموجب الخبر المروى و ما ذكره المرتضى من هذا الكلام لا يدل إلا على سخطها حال حضورها و لا يدل على أنها بعد روايه الخبر و بعد أن أقسم لها أبو بكر بالله تعالى أنه ما روى عن رسول الله ص إلا ما سمعه منه انصرفت ساخطه و لا فى الحديث المذكور و الكلام المروى ما يدل على ذلك و لست أعتقد أنها انصرفت راضيه كما قال قاضى القضاة بل أعلم أنها انصرفت ساخطه و ماتت و هى على أبى بكر واجده و لكن لا- من هذا الخبر بل من أخبار آخر كان الأولى بالمرتضى أن يحتج بها على

ص: ٢٥٣

ما يرويه في انصرافها ساخطه و موتها على ذلك السخط و أما هذا الخبر و هذا الكلام فلا يدل على هذا المطلوب.

قال المرتضى رحمه الله فأما قوله إنه يجوز أن يبين ع أنه لا- حق لميراثه في ورثته لغير الورثه و لا يمتنع أن يرد من جهة الآحاد لأنه من باب العمل و كل (١) هذا بناء منه على أصوله الفاسده في أن خبر الواحد حجه في الشرع و أن العمل به واجب و دون صحه ذلك خرط القتاد و إنما يجوز أن يبين من جهة أخرى (٢) إذا تساويا في الحجه و وقوع العمل فأما مع تباينهما فلا يجوز التخيير فيهما و إذا كان ورثه النبي ص متعبدين بالألا- يرثوه فلا- بد من إزاحه علتهم في هذه العباده بأن يوقفهم على الحكم و يشافهم به و يلقيه إلى من يقيم الحجه عليهم بنقله و كل ذلك لم يكن.

فأما قوله أ تجوزون صدقه في الروايه أم لا تجوزون ذلك فالجواب إنا لا نجوزه لأن كتاب الله أصدق منه و هو يدفع روايته و يبطلها فأما اعتراضه على قولنا إن إطلاق الميراث لا يكون إلا في الأموال بقوله تعالى ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (٣) و قولهم ما ورثت الأبناء من الآباء شيئا أفضل من أدب حسن و قولهم العلماء ورثه الأنبياء فعجيب لأن كل ما ذكر مقيد غير مطلق و إنما قلنا إن مطلق لفظ الميراث من غير قرينه و لا تقييد يفيد بظاهره ميراث الأموال فبعد ما ذكره و عارض به لا يخفى على متأمل.

فأما استدلاله على أن سليمان ورث داود علمه دون ماله بقوله يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (٤) و أن المراد أنه

ص: ٢٥٤

١- ١) الشافى: «فكل».

٢- ٢) الشافى: «من جهة دون جهة».

٣- ٣) سورة فاطر ٣٢.

٤- ٤) سورة النمل ١٦.

ورث العلم و الفضل و إلا لم يكن لهذا القول تعلق بالأول فليس بشيء يعول عليه لأنه لا يمتنع أن يريد به أنه ورث المال بالظاهر و العلم بهذا المعنى من الاستدلال فليس يجب إذا دلت الدلالة فى بعض الألفاظ على معنى المجاز أن يقتصر (١) بها عليه بل يجب أن يحملها على الحقيقة التى هى الأصل إذا لم يمنع من ذلك مانع على أنه لا يمتنع أن يريد ميراث المال خاصة ثم يقول مع ذلك إنا عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ و يشير الْفَضْلُ الْمُبِينُ إلى العلم و المال جميعا فله بالأمرين جميعا فضل على من لم يكن عليهما و قوله وَ أُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَحْتَمِلُ الْمَالُ كَمَا يَحْتَمِلُ الْعِلْمُ فَلَيْسَ بِخَالِصٍ مَا ظَنَّهُ.

فأما قوله فى قصه زكريا إنه خاف على العلم أن يندرس لأن الأنبياء و إن كانوا لا يحرصون على الأموال و إنما خاف أن يضيع العلم فسأل الله تعالى وليا يقوم بالدين مقامه فقد بينا أن الأنبياء و إن كانوا لا يحرصون على الأموال و لا يبخلون بها فإنهم يجتهدون فى منع المفسدين من الانتفاع بها على الفساد و لا يعد ذلك بخلا و لا حرصا (٢) بل فضلا و دينا و ليس يجوز من زكريا أن يخاف على العلم الاندراست و الضياع لأنه يعلم أن حكمه الله تعالى تقتضى حفظ العلم الذى هو الحجة على العباد و به تنزاح علمهم فى مصالحهم فكيف يخاف ما لا يخاف من مثله.

فإن قيل فهبوا أن الأمر كما ذكرتم من أن زكريا كان يأمن على العلم أن يندرس أليس لا بد أن يكون مجوزا (٣) أن يحفظه الله تعالى بمن هو من أهله و أقاربه كما يجوز حفظه بغريب أجنبى فما أنكرتم أن يكون خوفه إنما كان من بنى عمه ألا يتعلموا العلم و لا يقوموا فيه مقامه فسأل الله ولدا يجمع فيه هذه العلوم حتى لا يخرج العلم عن بيته و يتعدى إلى غير قومه فيلحقه بذلك و صمه.

ص: ٢٥٥

١- ١) الشافى: «يقتصرها».

٢- ٢) ب: «بخلا و حرصا».

٣- ٣) الشافى «لأن».

قلنا أما إذا رتب السؤال هذا الترتيب فالجواب عنه ما أجبتنا به صاحب الكتاب و هو أن الخوف الذى أشاروا إليه ليس من ضرر دينى و إنما هو من ضرر دنيوى و الأنبياء إنما بعثوا لتحمل المضار الدنيويه و منازلهم فى الثواب إنما زادت على كل المنازل لهذا الوجه و من كانت حاله هذه الحال فالظاهر من خوفه إذا لم يعلم وجهه بعينه أن يكون محمولا على مضار الدين لأنها هى وجه خوفهم و الغرض فى بعثهم تحمل ما سواها من المضار فإذا قال النبى ص أنا خائف فلم يعلم وجهه خوفه على التفصيل يجب أن يصرف خوفه بالظاهر إلى مضار الدين دون الدنيا لأن أحوالهم و بعثهم (١) يقتضى ذلك فإذا كنا لو اعتدنا من بعضنا الزهد فى الدنيا و أسبابها و التعفف عن منافعها و الرغبة فى الآخرة و التفرد (٢) بالعمل لها لكننا نحمل على ما يظهر لنا من خوفه الذى لا يعلم وجهه بعينه على ما هو أشبه و أليق بحاله و نضيفه إلى الآخرة دون الدنيا و إذا كان هذا واجبا فيمن ذكرناه فهو فى الأنبياء ع أوجب (٣).

قلت ينبغى ألا يقول المعترض فيلحقه بذلك و صمه فيجعل الخوف من هذه الوصمه بل يقول إنه خاف ألا يفلح بنو عمه و لا يتعلموا العلم لما رأى من الأمارات الداله على ذلك فالخوف على هذا الترتيب يتعلق بأمر دينى لا دنيوى فسأل الله تعالى أن يرزقه ولدا يرث عنه علمه أى يكون عالما بالدينيات كما أنا عالم بها و هذا السؤال متعلق بأمر دينى لا دنيوى و على هذا يندفع ما ذكره المرتضى على أنه لا يجوز إطلاق القول بأن الأنبياء بعثوا لتحمل المضار الدنيويه و لا القول الغرض فى بعثهم تحمل ما سوى المضار الدينيه من المضار فإنهم ما بعثوا لذلك و لا الغرض فى بعثهم ذلك و إنما بعثوا لأمر آخر و قد تحصل المضار فى أداء الشرع ضمنا و تبعا لا على أنها الغرض و لا داخله

ص: ٢٥٦

١- ١) الشافى: «بعثهم».

٢- ٢) د: «و التعود الشافى».

٣- ٣) ٢٣٢.

فى الغرض و على أن قول المرتضى لا يجوز أن يخاف زكريا من تبديل الدين و تغييره لأنه محفوظ من الله فكيف يخاف ما لا يخاف من مثله غير مستمر على أصوله لأن المكلفين الآن قد حرموا بغيه الإمام عنده أظافا كثيره الوصله بالشرعيات كالحدود و صلاحه الجمعه و الأعياد و هو و أصحابه يقولون فى ذلك أن اللوم على المكلفين لأنهم قد حرموا أنفسهم اللطف فهلا جاز أن يخاف زكريا من تبديل الدين و تغييره و إفساد الأحكام الشرعيه لأنه إنما يجب على الله تعالى التبليغ بالرسول إلى المكلفين فإذا أفسدوا هم الأديان و بدلوها لم يجب عليه أن يحفظها عليهم لأنهم هم الذين حرموا أنفسهم اللطف.

و اعلم أنه قد قرئ و إني خفتُ الموالى مِنْ ورائى (١) و قيل إنها قراءة زين العابدين و ابنه عن محمد بن على الباقر ع و عثمان بن عفان و فسروه على وجهين أحدهما أن يكون ورائى بمعنى خلفى و بعدى أى قلت الموالى و عجزوا عن إقامة الدين تقول قد خف بنو فلان أى قل عددهم فسأل زكريا ربه تقويتهم و مظاهرتهم بولى يرزقه.

و ثانيهما أن يكون ورائى بمعنى قدامى أى خف الموالى و أنا حى و درجوا و انقضوا و لم يبق منهم من به اعتضاد و على هذه القراءة لا يبقى متعلق بلفظه الخوف.

و قد فسر قوم قوله و إني خفتُ الموالى أى خفت الذين يلون الأمر من بعدى لأن الموالى يستعمل فى الوالى و جمعه موال أى خفت أن يلى بعد موتى أمراء و رؤساء يفسدون شيئاً من الدين فارزقنى ولدا تنعم عليه بالنبوه و العلم كما أنعمت

ص: ٢٥٧

١- ١) انظر الجامع لأحكام القرآن ١١: ٧٧.

(١) و هذا التأويل غير منكر و فيه أيضا دفع لكلام المرتضى .

قال المرتضى و أما تعلق صاحب الكتاب فى أن الميراث محمول على العلم بقوله وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ لأنه لا يرث أموال آل يعقوب فى الحقيقة و إنما يرث ذلك غيره فبعيد من الصواب لأن ولد زكريا يرث بالقرايه من آل يعقوب أموالهم على أنه لم يقل يرث آل يعقوب بل قال يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ تنبيها (٢) بذلك على أنه يرث (٣) من كان أحق بميراثه فى القرايه (٤) .

فأما طعنه على من تأول الخبر بأنه ع لا يورث ما تركه للصدقه بقوله إن أحدا من الصحابه لم يتأوله على هذا الوجه فهذا التأويل الذى ذكرناه أحد ما قاله أصحابنا فى هذا الخبر فمن أين له إجماع الصحابه على خلافه و إن أحدا لم يتأوله على هذا الوجه.

فإن قال لو كان ذلك لظهر و اشتهر و لوقف أبو بكر عليه فقد مضى من الكلام فيما يمنع من الموافقه على هذا المعنى ما فيه كفايه.

قلت لم يكن ذلك اليوم أعنى يوم حضور فاطمه ع و قولها لأبى بكر ما قالت يوم تقيه و خوف و كيف يكون يوم تقيه و هى تقول له و هو الخليفه يا ابن أبى قحافه أترث أباك و لا أرث أبى و تقول له أيضا لقد جئت شئنا فرياً فكان ينبغى إذا لم يؤثر أمير المؤمنين ع أن يفسر لأبى بكر معنى الخبر أن يعلم فاطمه ع

ص: ٢٥٨

١- ١) تكمله من د.

٢- ٢) د: «منبها».

٣- ٣) د: «يورث».

٤- ٤) الشافى ٢٣٢.

تفسيره فتقول لأبي بكر أنت غلط فيما ظننت إنما قال أبي ما تركناه صدقه فإنه لا يورث.

و اعلم أن هذا التأويل كاد يكون مدفوعا بالضرورة لأن من نظر في الأحاديث التي ذكرناها و ما جرت عليه الحال يعلم بطلانه علما قطعيا.

قال المرتضى و قوله إنه لا يكون إذ ذلك تخصيص للأنبياء و لا مزيه ليس بصحيح و قد قيل في الجواب عن هذا إن النبي ص يجوز أن يريد أن ما ننوى فيه الصدقه و نفرده لها من غير أن نخرجه عن أيدينا لا تناله و رثتنا و هذا تخصيص للأنبياء و مزيه ظاهره (١).

قلت هذه مخالفه لظاهر الكلام و إحاله اللفظ (٢) عن وضعه و بين قوله ما ننوى فيه الصدقه و هو بعد في ملكنا ليس بموروث و قوله ما نخلفه صدقه ليس بموروث فرق عظيم فلا يجوز أن يراد أحد المعنيين باللفظ المفيد للمعنى الآخر لأنه إلباس و تعمييه و أيضا فإن العلماء ذكروا خصائص الرسول في الشرعيات عن أمته و عددوها نحو حل الزيادة في النكاح على أربع و نحو النكاح بلفظ الهبه على قول فرقه من المسلمين و نحو تحريم أكل البصل و الثوم عليه و إباحه شرب دمه و غير ذلك و لم يذكروا في خصائصه أنه إذا كان قد نوى أن يتصدق بشيء فإنه لا يناله و رثته لو قدرنا أنه يورث الأموال و لا الشيعة قبل المرتضى ذكرت ذلك و لا رأينا في كتاب من كتبهم و هو مسبق بإجماع طائفته عليه و إجماعهم عندهم حجه.

قال المرتضى فأما قوله إن

٤٣٥٤

قوله ع

ما تركناه صدقه.

جملة من الكلام

ص: ٢٥٩

١- (١) الشافى ٢٣٢.

٢- (٢) د: «اللفظ».

مستقله بنفسها فصحيح إذا كانت لفظه ما مرفوعه على الابتداء و لم تكن منصوبه بوقوع الفعل عليها و كانت لفظه صدقه أيضا مرفوعه غير منصوبه و فى هذا وقع النزاع فكيف يدعى أنها جمله مستقله بنفسها و أقوى ما يمكن أن نذكره أن نقول الروايه جاءت بلفظ صدقه بالرفع و على ما تأولتموه لا تكون إلا منصوبه و الجواب عن ذلك إنا لا نسلم الروايه بالرفع و لم تجر عاده الرواه بضبط ما جرى هذا المجرى من الإعراب و الاشتباه يقع فى مثله فمن حقق منهم و صرح بالروايه بالرفع يجوز أن يكون اشتبه عليه فظنها مرفوعه و هى منصوبه (١) قلت و هذا أيضا خلاف الظاهر و فتح الباب فيه يؤدى إلى إفساد الاحتجاج بكثير من الأخبار.

قال و أما حكايته عن أبى على أن أبا بكر لم يدفع إلى أمير المؤمنين ع السيف و البغله و العمامه على جهه الإرث و قوله كيف يجوز ذلك مع الخبر الذى رواه و كيف خصصه بذلك دون العم الذى هو العصبه فما نراه زاد على التعجب و مما عجب منه عجبنا و لم يثبت عصمه أبى بكر فينتفى عن أفعاله التناقض (٢).

قلت لا يشك أحد فى أن أبا بكر كان عاقلا و إن شك قوم فى ذلك فالعاقل فى يوم واحد لا يدفع فاطمه ع عن الإرث و يقول إن أباك قال لى إننى لا- أورث ثم يورث فى ذلك اليوم شخصا آخر من مال ذلك المتوفى الذى حكى عنه أنه لا يورث و ليس انتفاء هذا التناقض عن أفعاله موقوفا على العصمه بل على العقل.

ص: ٢٦٠

١-١) الشافى ٢٣٢.

١-٢) الشافى ٢٣٢.

قال المرتضى وقوله يجوز أن يكون النبي ص نحله إياه وتركه أبو بكر في يده لما في ذلك من تقوية الدين وصدق ببدله و كل ما ذكره جائر إلا أنه قد كان يجب أن يظهر أسباب النحله والشهادة بها والحجه عليها ولم يظهر من ذلك شىء فنعرفه و من العجائب أن تدعى فاطمه فدك نحله و تستشهد على قولها أمير المؤمنين ع وغيره فلا يصغى إلى قولها و يترك السيف و البغله و العمامه فى يد أمير المؤمنين على سبيل النحله بغير بينه ظهرت و لا شهاده قامت (١).

قلت لعل أبا بكر سمع الرسول ص و هو ينحل ذلك عليا فلذلك لم يحتج إلى البينه و الشهاده فقد روى أنه أعطاه خاتمه و سيفه فى مرضه و أبو بكر حاضر و أما البغله فقد كان نحله إياها فى حجه الوداع على ما وردت به الروايه و أما العمامه فسلب الميت و كذلك القميص و الحجزه (٢) و الحذاء فالعاده أن يأخذ ذلك ولد الميت و لا ينازع فيه لأنه خارج أو كالخارج عن التركه فلما غسل ع أخذت ابنته ثيابه التى مات فيها و هذه عاده الناس على أنا قد ذكرنا فى الفصل الأول كيف دفع إليه آله النبي ص و حذاءه و دابته و الظاهر أنه فعل ذلك اجتهادا لمصلحه رآها و للإمام أن يفعل ذلك.

قال المرتضى على أنه كان يجب على أبي بكر أن يبين ذلك و يذكر وجهه بعينه لما نازع العباس فيه فلا وقت لذكر الوجه فى ذلك أولى من هذا الوقت (٣).

قلت لم ينازع العباس فى أيام أبي بكر لا فى البغله و العمامه و نحوها و لا فى غير

ص: ٢٤١

١- (١) الشافى ٢٣٣، ٢٣٢.

٢- (٢) حجزه الإزار: معقده.

٣- (٣) الشافى ص ٢٣٣.

ذلك و إنما نازع عليا في أيام عمر و قد ذكرنا كيفيه المنازعه و فيما ذا كانت.

قال المرتضى رضى الله عنه في البرده و القضيبي إن كان نحلته أو على الوجه الآخر يجرى مجرى ما ذكرناه في وجوب الظهور و الاستشهاد و لسنا نرى أصحابنا يعنى المعتزله يطالبون أنفسهم في هذه المواضع بما يطالبوننا بمثله إذا ادعينا وجوها و أسبابا و عللا- مجوزه لأنهم لا- يقنعون منا بما يجوز و يمكن بل يوجبون فيما ندعيه الظهور و الاستشهاد و إذا كان هذا عليهم نسوه أو تناسوه (١).

قلت أما القضيبي فهو السيف الذى نحلته رسول الله ص عليا ع فى مرضه و ليس بذى الفقار بل هو سيف آخر و أما البرده فإنه وهبها كعب بن زهير ثم صار هذا السيف و هذه البرده إلى الخلفاء بعد تنقلات كثيره مذكوره فى كتب التواريخ.

قال المرتضى فأما قوله فإن أزواج النبي ص إنما طلبن الميراث لأنهن لم يعرفن روايه أبى بكر للخبر و كذلك إنما نازع على ع بعد موت فاطمه ع فى الميراث لهذا الوجه فمن أقبح ما يقال فى هذا الباب و أبعداه عن (٢) الصواب و كيف لا- يعرف أمير المؤمنين ع روايه أبى بكر و بها دفعت زوجته عن الميراث و هل مثل ذلك المقام الذى قامته و ما رواه أبو بكر فى دفعها يخفى على من هو فى أقاصى البلاد فضلا عمن هو فى المدينه حاضر شاهد يراعى (٣) الأخبار و يعنى بها إن هذا لخروج فى المكابره عن الحد و كيف يخفى على الأزواج ذلك حتى يطلبنه مره بعد أخرى و يكون عثمان الرسول لهن و المطالب عنهن و عثمان على زعمهم أحد من شهد

ص: ٢٤٢

١-١ (١) الشافى ص ٢٣٣.

٢-٢ (٢) ا و الشافى: «يعنى بالأخبار و يراعيها».

٣-٣ (٣) د: «من».

أن النبي ص لا يورث و قد سمعن على كل حال أن بنت النبي ص لم تورث ماله و لا بد أن يكن قد سألن عن السبب في دفعها فذكر لهن الخبر فكيف يقال إنهن لم يعرفنه (١).

قلت الصحيح أن أمير المؤمنين ع لم ينازع بعد موت فاطمه في الميراث و إنما نازع في الولاية لفدك و غيرها من صدقات رسول الله ص و جرى بينه و بين العباس في ذلك ما هو مشهور و أما أزواج النبي ص فما ثبت أنهن نازعن في ميراثه و لا أن عثمان كان المرسل لهن و المطالب عنهن إلا في روايه شاذه و الأزواج لما عرفن أن فاطمه ع قد دفعت عن الميراث أمسكن و لم يكن قد نازعن و إنما اكتفين بغيرهن و حديث فدك و حضور فاطمه عند أبي بكر كان بعد عشره أيام من وفاه رسول الله ص و الصحيح أنه لم ينطق أحد بعد ذلك من الناس من ذكر أو أنثى بعد عود فاطمه ع من ذلك المجلس بكلمه واحده في الميراث.

قال المرتضى فإن قيل فإذا كان أبو بكر قد حكم بالخطأ في دفع فاطمه ع عن الميراث و احتج بخبر لا حجه فيه فما بال الأمه أقرته على هذا الحكم و لم تنكر عليه و في رضاها و إمساكها دليل على صوابه (٢).

قلت قد مضى أن ترك النكير لا يكون دليل الرضا إلا في هذا الموضع الذي لا يكون له وجه سوى الرضا و ذكرنا في ذلك قولاً شافياً و قد أجاب أبو عثمان الجاحظ في كتاب العباسيه عن هذا السؤال جواباً حسن المعنى و اللفظ نحن

ص: ٢٦٣

١-١) الشافى ص ٢٣٣.

٢-٢) الشافى ص ٢٣٣.

نذكره على وجهه ليقابل بينه وبين كلامه في العثمانيه و غيرها (١).

قلت ما كناه المرتضى رحمه الله في غير هذا الموضوع أصلاً بل كان ساخطاً عليه و كناه في هذا الموضوع و استجاد قوله لأنه موافق غرضه فسبحان الله ما أشد حب الناس لعقائدهم.

قال قال أبو عثمان و قد زعم أناس أن الدليل على صدق خبرهما يعني أبا بكر و عمر في منع الميراث و براءه ساحتها ترك أصحاب رسول الله ص النكير عليهما ثم قال قد يقال لهم لئن كان ترك النكير دليلاً على صدقهما ليكون ترك النكير على المتظلمين و المحتجين عليهما و المطالبين لهما دليلاً على صدق دعواهم أو استحسان مقالتهن و لا سيما و قد طالت المناجاة و كثرت المراجعة و الملاحاه و ظهرت الشكيه و اشتدت الموجداه و قد بلغ ذلك من فاطمه ع حتى إنها أوصت ألا يصلى عليها أبو بكر و لقد كانت

٤٣٥٥

١٥- قالت له حين أتته طالبه بحقها و محتجه لرهطها من يرثك يا أبا بكر إذا مت قال أهلى و ولدى قالت فما بالنال نرث النبى ص فلما منعها ميراثها و بخسها حقها و اعتل عليها و جلع (٢) فى أمرها و عاينت التهضم (٣) و أيسر من التورع و وجدت نشوه الضعف و قله الناصر قالت و الله لأدعون الله عليك قال و الله لأدعون الله لك قالت و الله لا أكلمك أبدا قال و الله لا أهجرك أبدا

فإن يكن ترك النكير على أبى بكر دليلاً على صواب منعها إن فى ترك النكير على فاطمه ع دليلاً على صواب طلبها و أدنى ما كان يجب عليهم فى ذلك تعريفها ما جهلت و تذكيرها ما نسيت و صرفها عن الخطأ و رفع قدرها عن البذاء (٤) و أن تقول هجراً (٥) أو تجور عادلاً أو تقطع واصلاً فإذا لم تجد لهم أنكروا على الخصمين جميعاً فقد تكافأت

ص: ٢٦٤

١- (١) الشافى ٢٣٣.

٢- (٢) جلع فى أمرها: جاهر به و كاشفها.

٣- (٣) التهضم: الظلم، و فى ا: «التهضم».

٤- (٤) البذاء: الفحش.

٥- (٥) الهجر: القبيح من الكلام.

الأمر واستوت الأسباب والرجوع إلى أصل حكم الله من الموارث أولى بنا وبكم وأوجب علينا وعليكم.

قال فإن قالوا كيف تظن به ظلمها والتعدى عليها وكلما ازدادت عليه غلظه ازداد لها لنا ورقه حيث

٤٣٥٦

تقول له والله لا أكلمك أبدا فيقول والله لا أهجرك أبدا ثم تقول والله لأدعون الله عليك فيقول والله لأدعون الله لك.

ثم يحتمل منها هذا الكلام الغليظ والقول الشديد في دار الخلافه وبحضره قريش والصحابه مع حاجه الخلافه إلى البهائه والتزويه وما يجب لها من الرفعه والهيبة ثم لم يمنع ذلك أن قال معتذرا متقربا كلام المعظم لحقها المكبر لمقامها والصائن لوجهها المتحنن عليها ما أحد أعز على منك فقرا ولا أحب إلى منك غنى ولكنى

٤٣٥٧

سمعت رسول الله ص يقول إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقه.

قيل لهم ليس ذلك بدليل على البراءه من الظلم والسلامه من الجور وقد يبلغ من مكر الظالم ودهاء الماكر إذا كان أريبا وللخصومه معتادا أن يظهر كلام المظلوم وذله المنتصف (١) و حدب (٢) الوامق ومقه (٣) المحق وكيف جعلتم ترك النكير حجه قاطعه و دلالة واضحه وقد زعمتم أن عمر قال على منبره متعتان كانتا على عهد رسول الله ص متعه النساء و متعه الحج أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما فما وجدتم أحدا أنكر قوله ولا استشنع مخرج نهيه ولا خطأه في معناه ولا تعجب منه ولا استفهمه وكيف تقضون بترك النكير وقد شهد عمر يوم السقيفه وبعد ذلك

٤٣٥٨

أن النبي ص قال الأئمه من قريش .

ثم قال في شكاته لو كان سالم حيا ما تخالجنى فيه شك حين (٤) أظهر الشك في استحقاق كل واحد من الستة الذين

ص: ٢٦٥

١-١) المنتصف: المستوفى حقه.

٢-٢) و حدب الوامق؛ أى و انشاء الناظر.

٣-٣) المقه: التودد و الحب.

٤-٤) الشافى: «حتى».

جعلهم شورى و سالم عبد لامراه من الأنصار و هى أعتقته و حازت ميراثه ثم لم ينكر ذلك من قوله منكر و لا قابل إنسان بين قوله و لا- تعجب منه و إنما يكون ترك النكير على من لا رغبه و لا رهبه عنده دليلا على صدق قوله و صواب عمله فأما ترك النكير على من يملك الضعه و الرفعه و الأمر و النهى و القتل و الاستحياء و الحبس و الإطلاق فليس بحجه تشفى و لا دلاله تضىء.

قال و قال آخرون بل الدليل على صدق قولهما و صواب عملهما إمساك الصحابه عن خلعهما و الخروج عليهما و هم الذين وثوا على عثمان فى أيسر من جحد التنزيل و رد النصوص (١) و لو كان كما تقولون و ما تصفون ما كان سبيل الأمه فيهما إلا كسبيلهم فيه و عثمان كان أعز نفرا و أشرف رهطا و أكثر عددا و ثروه و أقوى عده.

قلنا إنهما لم يجحدا التنزيل و لم ينكرا النصوص و لكنهما بعد إقرارهما بحكم الميراث و ما عليه الظاهر من الشريعة ادعيا روايه و تحدثا بحديث لم يكن محالا كونه و لا ممتنعا فى حجج العقول مجيئه و شهد لهما عليه من علتة مثل علتها فيه و لعل بعضهم كان يرى تصديق الرجل إذا كان عدلا فى رهطه مأمونا فى ظاهره و لم يكن قبل ذلك عرفه بفجره (٢) و لا جرت عليه غدرة فيكون تصديقه له على جهه حسن الظن و تعديل الشاهد و لأنه لم يكن كثير منهم يعرف حقائق الحجج و الذى يقطع بشهادته على الغيب و كان ذلك شبيهه على أكثرهم فلذلك قل النكير و تواكل الناس فاشتبه الأمر فصار لا يتخلص إلى معرفه حق ذلك من باطله إلا العالم المتقدم أو المؤيد المرشد و لأنه لم يكن لعثمان فى صدور العوام و قلوب السفله و الطغام ما كان لهما من المحبه و الهيبة و لأنهما كانا أقل استثارا بالفىء و تفضلا بمال الله منه و من شأن الناس إهمال السلطان ما وفر عليهم أموالهم و لم يستأثر بخراجهم و لم يعطل ثغورهم و لأن الذى صنع أبو بكر

ص: ٢٦٦

١- (١) د: «المنصوص».

٢- (٢) الفجره: الانبعاث فى المعاصى و الفجور.

من منع العتره حقها و العمومه ميراثها قد كان موافقا لجله قريش و كبراء العرب و لأن عثمان أيضا كان مضعوفا في نفسه مستخفا بقدره لا يمنع ضيما و لا يجمع عدوا و لقد وثب ناس على عثمان بالشتيم و القذف و التشنيع و النكير لأمر لو أتى أضعافها و بلغ أقصاها لما اجترءوا على اغتيابه فضلا على مبادأته و الإغراء به و مواجهته كما أغلظ عينه بن حصن له فقال له أما إنه لو كان عمر لقمعك و منعك فقال عينه إن عمر كان خيرا لي منك أرهني فاتقاني.

ثم قال و العجب أنا وجدنا جميع من خالفنا في الميراث على اختلافهم في التشبيه و القدر و الوعيد يرد كل صنف منهم من أحاديث مخالفه و خصومه ما هو أقرب إسنادا و أصح رجالا- و أحسن اتصالا حتى إذا صاروا إلى القول في ميراث النبي ص نسخوا الكتاب و خصوا الخبر العام بما لا يدانى بعض ما ردوه و أكذبوا قائله و ذلك أن كل إنسان منهم إنما يجرى إلى هواه و يصدق ما وافق رضاه.

هذا آخر كلام الجاحظ (١) ثم قال المرتضى رضى الله عنه فإن قيل ليس ما عارض به الجاحظ من الاستدلال بترك النكير و قوله كما لم ينكروا على أبي بكر فلم ينكروا أيضا على فاطمه ع و لا على غيرها من الطالبين بالإرث كالأزواج و غيرهن معارضه صحيحه و ذلك أن نكير أبي بكر لذلك و دفعها و الاحتجاج عليها و يكفيهم و يغنيهم عن تكلف نكير آخر و لم ينكر على أبي بكر ما رواه منكر فيستغنوا بإنكاره (٢).

قلنا أول ما يبطل هذا السؤال أن أبا بكر لم ينكر عليها ما أقامت عليه بعد

ص: ٢٦٧

و قولها على ما روى و الله لأدعون الله عليك و لا أكلمك أبدا.

و ما جرى هذا المجرى فقد كان يجب أن ينكره غيره و من المنكر الغضب على المنصف و بعد فإن كان إنكار أبي بكر مقنعا و مغنيا عن إنكار غيره من المسلمين فإنكار فاطمه حكمه و مقامها على التظلم منه مغن عن نكير غيرها و هذا واضح (١)

الفصل الثالث فى أن فدك هل صح كونها نحلته رسول الله ص لفاطمه ع أم لا

نذكر فى هذا الفصل ما حكاه المرتضى عن قاضى القضاة فى المغنى و ما اعترض به عليه ثم نذكر ما عندنا فى ذلك.

قال المرتضى حاكيا عن قاضى القضاة و مما عظمت الشيعة القول فى أمر فدك

١٤،١٥- قالوا و قد روى أبو سعيد الخدرى أنه لما أنزلت وَ آتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ (٢) أعطى رسول الله ص فاطمه ع فدك .

ثم فعل عمر بن عبد العزيز مثل ذلك فردها على ولدها قالوا و لا شك أن أبا بكر أغضبها إن لم يصح كل الذى روى فى هذا الباب و قد كان الأجمل أن يمنعهم التكرم مما ارتكبوا منها فضلا عن الدين

١٥،١- ثم ذكروا أنها استشهدت أمير المؤمنين ع و أم أيمن فلم يقبل شهادتهما هذا مع تركه أزواج النبى ص فى حجرهن و لم يجعلها صدقه و صدقهن فى ذلك أن ذلك لهن و لم يصدقها .

١- (١) الشافى ٢٣٤.

٢- (٢) سورة الإسراء ٢٦.

قال و الجواب عن ذلك أن أكثر ما يروون فى هذا الباب غير صحيح و لسنا ننكر صحه ما روى من ادعائها فذك فأما أنها كانت فى يدها فغير مسلم بل إن كانت فى يدها لكان الظاهر أنها لها فإذا كانت فى جملة التركة فالظاهر أنها ميراث و إذا كان كذلك فغير جائز لأبى بكر قبول دعواها لأنه لا خلاف فى أن العمل على الدعوى لا يجوز و إنما يعمل على مثل ذلك إذا علمت صحته بمشاهده أو ما جرى مجراها أو حصلت بينه أو إقرار ثم إن البينه لا بد منها و إن أمير المؤمنين ع لما خصمه اليهودى حاكمه و أن أم سلمه التى يطبق على فضلها لو ادعت نحلا ما قبلت دعواها.

ثم قال و لو كان أمير المؤمنين ع هو الوالى و لم يعلم صحه هذه الدعوى ما الذى كان يجب أن يعمل فإن قلتم يقبل الدعوى فالشرع بخلاف ذلك و إن قلتم يلتمس البينه فهو الذى فعله أبو بكر .

ثم قال و أما قول أبى بكر رجل مع الرجل و امرأه مع المرأه فهو الذى يوجبه الدين و لم يثبت أن الشاهد فى ذلك كان أمير المؤمنين ع بل الروايه المنقوله أنه شهد لها مولى لرسول الله ص مع أم أيمن .

قال و ليس لأحد أن يقول فلما ذا ادعت و لا بينه معها لأنه لا يمتنع أن تجوز أن يحكم أبو بكر بالشاهد و اليمين أو تجوز عند شهاده من شهد لها أن تذكر غيره فيشهد لا و هذا هو الموجب على ملتمس الحق و لا عيب عليها فى ذلك و لا على أبى بكر فى التماس البينه و إن لم يحكم لها لما لم يتم و لم يكن لها خصم لأن التركة صدقه على ما ذكرنا و كان لا يمكن أن يعول فى ذلك على يمين أو نكول و لم يكن فى الأمر إلا ما فعله قال و قد أنكر أبو على ما قاله السائل من أنها لما ردت فى دعوى النحله ادعته إرثا و قال بل كان طلبت الإرث قبل ذلك فلما سمعت منه الخبر كفت و ادعت النحله (١).

ص: ٢٦٩

قال فأما فعل عمر بن عبد العزيز فلم يثبت أنه رده على سبيل النحلة بل عمل في ذلك ما عمله عمر بن الخطاب بأن أقره في يد أمير المؤمنين ع ليصرف غلاتها في المواضع التي كان يجعلها رسول الله ص فيه فقام بذلك مده ثم ردها إلى عمر في آخر سنته وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز و لو ثبت أنه فعل بخلاف ما فعل السلف لكان هو المحجوج بفعلهم و قولهم و أحد ما يقوى ما ذكرناه أن الأمر لما انتهى إلى أمير المؤمنين ع ترك فدك على ما كان و لم يجعله ميراثا لولد فاطمه و هذا يبين أن الشاهد كان غيره لأنه لو كان هو الشاهد لكان الأقرب أن يحكم بعلمه على أن الناس اختلفوا في الهبة إذا لم تقبض فعند بعضهم تستحق بالعقد و عند بعضهم أنها إذا لم تقبض يصير وجودها كعدمها فلا يمتنع من هذا الوجه أن يمتنع أمير المؤمنين ع من ردها و إن صح عنده عقد الهبة و هذا هو الظاهر لأن التسليم لو كان وقع لظهر أنه كان في يدها و لكان ذلك كافيا في الاستحقاق فأما حجر أزواج النبي ص فإنما تركت في أيديهن لأنها كانت لهن و نص الكتاب يشهد بذلك و قوله وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (١)

٤٣٤٢

١٤- و روى في الأخبار أن النبي ص قسم ما كان له من الحجر على نسائه و بناته .

و يبين صحه ذلك أنه لو كان ميراثا أو صدقه لكان أمير المؤمنين ع لما أفضى الأمر إليه يغيره.

قال و ليس لأحد أن يقول إنما لم يغير ذلك لأن الملك قد صار له فتبرع به و ذلك أن الذي يحصل له ليس إلا ربع ميراث فاطمه ع و هو الثمن من ميراث رسول الله ص فقد كان يجب أن ينتصف لأولاد العباس و أولاد فاطمه منهن في باب الحجر و يأخذ هذا الحق منهن فتركه ذلك يدل على صحه ما قلناه و ليس يمكنهم بعد ذلك إلا التعلق بالتقيه (٢) و قد سبق الكلام فيها.

ص : ٢٧٠

١- ١) سورة الأحزاب ٣٣.

٢- ٢) التقيه: الحيطه.

١٥- قال و مما يذكرونه أن فاطمه ع لغضبها على أبي بكر و عمر أوصت ألا يصليا عليها و أن تدفن سرا منهما فدفنت ليلا .

و هذا كما

١٥,١- ادعوا روايه رووها عن جعفر بن محمد ع و غيره أن عمر ضرب فاطمه ع بالسوط و ضرب الزبير بالسيف و أن عمر قصد منزلها و فيه على ع و الزبير و المقداد و جماعه ممن تخلف عن أبي بكر و هم مجتمعون هناك فقال لها ما أحد بعد أبيك أحب إلينا منك و ايم الله لئن اجتمع هؤلاء النفر عندك لنحرقن عليهم فمئنت القوم من الاجتماع .

قال و نحن لا نصدق هذه الروايات و لا نجوزها و أما أمر الصلاة فقد روى أن أبا بكر هو الذى صلى على فاطمه ع و كبر عليها أربعاً و هذا أحد ما استدل به كثير من الفقهاء فى التكبير على الميت و لا يصح أيضا أنها دفنت ليلا و إن صح ذلك فقد دفن رسول الله ص ليلا و دفن عمر ابنه ليلا و قد كان أصحاب رسول الله ص يدفنون بالنهار و يدفنون بالليل فما فى هذا مما يطعن به بل الأقرب فى النساء أن دفنهن ليلا أستر و أولى بالسنة.

ثم حكى عن أبي على تكذيب ما روى من الضرب بالسوط

٦- قال و المروى عن جعفر بن محمد ع أنه كان يتولاهما و يأتى القبر فيسلم عليهما مع تسليمه على رسول الله ص روى ذلك عباد بن صهيب و شعبه بن الحجاج و مهدي بن هلال و الدراوردي و غيرهم .

و قد روى عن أبيه محمد بن على ع و عن على بن الحسين مثل ذلك فكيف يصح ما ادعوه و هل هذه الروايه إلا كروايتهم على أن على بن أبي طالب ع هو إسرافيل و الحسن ميكائيل و الحسين جبرائيل و فاطمه ملك الموت و آمنه أم النبي ص ليله القدر فإن صدقوا ذلك أيضا قيل لهم فعمربن الخطاب كيف يقدر على ضرب ملك الموت و إن قالوا لا نصدق ذلك فقد جوزوا رد هذه الروايات و صح أنه لا يجوز التعويل على هذا الخبر

ص: ٢٧١

و إنما يتعلق بذلك من غرضه الإلحاد كالوراق و ابن الراوندى لأن غرضهم القدح فى الإسلام .

و حكى عن أبى على أنه قال و لم صار غضبها إن ثبت كأنه غضب رسول الله ص من حيث

٤٣٦٦

قال فمن أغضبها فقد أغضبنى .

أولى من أن يقال فمن أغضب أبا بكر و عمر فقد نافق و فارق الدين

٤٣٦٧

لأنه روى عنه ع قال حب أبى بكر و عمر إيمان و بغضهما نفاق .

و من يورد مثل هذا فقصد الطعن فى الإسلام و أن يتوهم الناس أن أصحاب النبى ص نافقوا مع مشاهده الأعلام ليضعفوا دلاله العلم فى النفوس .

قال و أما حديث الإحراق فلو صح لم يكن طعنا على عمر لأن له أن يهدد من امتنع من المبايعه إرادته للخلاف على المسلمين لكنه غير ثابت انتهى كلام قاضى القضاة (١) .

قال المرتضى نحن نبتدئ فندل على أن فاطمه ع ما ادعت من نحل فدك إلا ما كانت مصيبه فيه و إن مانعها و مطالبها بالبينه متعنت عادل عن الصواب لأنها لا تحتاج إلى شهاده و بينه ثم نعطف على ما ذكره على التفصيل فتكلم عليه .

أما الذى يدل على ما ذكرناه فهو أنها كانت معصومه من الغلط مأمونا منها فعل القبيح و من هذه صفته لا يحتاج فيما يدعيه إلى شهاده و بينه فإن قيل دللوا على الأمرين قلنا بيان الأول قوله تعالى **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** (٢) و الآيه تتناول جماعه منهم فاطمه

ص : ٢٧٢

١-١) نقله المرتضى فى الشافى ص ٢٣٥، ٢٣٤ .

٢-٢) سوره الأحزاب ٣٣ .

ع بما تواترت الأخبار في ذلك و الإرادة هاهنا دلالة على وقوع الفعل للمراد و أيضا فيدل على ذلك

٤٣٦٨

قوله ع

فاطمه بضعه مني من آذاها فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله عز و جل.

و هذا يدل على عصمتها لأنها لو كانت ممن تقارف الذنوب لم يكن من يؤذيها مؤذيا له على كل حال بل كان متى فعل المستحق من ذمها أو إقامه الحد عليها إن كان الفعل يقتضيه سارا له و مطيعا على أنا لا نحتاج أن ننبه هذا الموضع على الدلالة على عصمتها بل يكفي في هذا الموضع العلم بصدقها فيما ادعته و هذا لا خلاف فيه بين المسلمين لأن أحدا لا يشك أنها لم تدع ما ادعته كاذبه و ليس بعد ألا تكون كاذبه إلا أن تكون صادقه و إنما اختلفوا في هل يجب مع العلم بصدقها تسلم ما ادعته بغير بينه أم لا يجب ذلك قال الذي يدل على الفصل الثاني أن البينة إنما تراد ليغلب في الظن صدق المدعى ألا ترى أن العدالة معتبره في الشهادات لما كانت مؤثره في غلبه الظن لما ذكرناه و لهذا جاز أن يحكم الحاكم بعلمه من غير شهادة لأن علمه أقوى من الشهادة و لهذا كان الإقرار أقوى من البينة من حيث كان أغلب في تأثير غلبه الظن و إذا قدم الإقرار على الشهادة لقوه الظن عنده فأولى أن يقدم العلم على الجميع و إذا لم يحتج مع الإقرار إلى شهادة لسقوط حكم الضعيف مع القوى لا يحتاج أيضا مع العلم إلى ما يؤثر الظن من البيئات و الشهادات.

و الذي يدل على صحه ما ذكرناه أيضا

٤٣٦٩

١٤- أنه لا- خلاف بين أهل النقل في أن أعرابيا نازع النبي ص في ناقة فقال ع هذه لى و قد خرجت إليك من ثمنها فقال الأعرابي من يشهد لك بذلك فقال خزيمه بن ثابت أنا أشهد بذلك فقال النبي ص من أين علمت و ما حضرت ذلك قال لا و لكن علمت ذلك من حيث علمت أنك رسول الله فقال قد أجزت شهادتك و جعلتها شهادتين فسمى ذا الشهادتين

ص: ٢٧٣

و هذه القصة شبيهه لقصة فاطمه ع لأن خزيمة اکتفى فى العلم بأن الناقه له ص و شهد بذلك من حيث علم لأنه رسول الله ص و لا يقول إلا حقا و أمضى النبى ص ذلك له من حيث لم يحضر الاتباع و تسليم الثمن فقد كان يجب على من علم أن فاطمه ع لا تقول إلا حقا ألا يستظهر عليها بطلب شهاده أو بينه هذا

٤٣٧٠

١٥،١- و قد روى أن أبا بكر لما شهد أمير المؤمنين ع كتب بتسليم (١) فدك إليها فاعترض عمر قضيته و خرق ما كتبه .

٤٣٧١

١٤،١،١٥- روى إبراهيم بن السعيد الثقفى عن إبراهيم بن ميمون قال حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن على بن أبى طالب ع عن أبيه عن جده عن على ع قال جاءت فاطمه ع إلى أبى بكر و قالت إن أبى أعطانى فدك و على و أم أيمن يشهدان فقال ما كنت لتقولى على أبيك إلا الحق قد أعطيتكها و دعا بصحيفه من آدم فكتب لها فيها فخرجت فلقيت عمر فقال من أين جئت يا فاطمه قالت جئت من عند أبى بكر أخبرته أن رسول الله ص أعطانى فدك و أن عليا و أم أيمن يشهدان لى بذلك فأعطانيها و كتب لى بها (٢) فأخذ عمر منها الكتاب ثم رجع إلى أبى بكر فقال أعطيت فاطمه فدك و كتبت بها لها قال نعم فقال إن عليا يجر إلى نفسه و أم أيمن امرأه و بصق فى الكتاب فمحاها و خرقه

و قد روى هذا المعنى من طرق مختلفه على وجوه مختلفه فمن أراد الوقوف عليها و استقصاءها أخذها من مواضعها.

و ليس لهم أن يقولوا إنها أخبار آحاد لأنها و إن كانت كذلك فأقل أحوالها أن توجب الظن و تمنع من القطع على خلاف معناها و ليس لهم أن يقولوا كيف يسلم إليها

ص: ٢٧٤

١- (١) ب: «يسلم»؛ و الصواب ما أثبتته من ا، د و الشافى.

٢- (٢) الشافى: «و كتبها لى».

فدك و هو يروى عن الرسول أن ما خلفه صدقه و ذلك لأنه لا تنافى بين الأمرين لأنه إنما سلمها على ما وردت به الروايه على سبيل النحل (١) فلما وقعت المطالبه بالميراث روى الخبر فى معنى الميراث فلا اختلاف بين الأمرين.

فأما إنكار صاحب الكتاب لكون فدك فى يدها فما رأيناه اعتمد فى إنكار ذلك على حجه بل قال لو كان ذلك فى يدها لكان الظاهر أنها لها (٢) و الأمر على ما قال فمن أين أنه لم يخرج عن يدها على وجه يقتضى الظاهر خلافه

٤٣٧٢

١٤،١٥- و قد روى من طرق مختلفه غير طريق أبى سعيد الذى ذكره صاحب الكتاب أنه لما نزل قوله تعالى وَ آتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ (٣) دعا النبى ص فاطمه ع فأعطاهها فدك .

و إذا كان ذلك مرويا فلا معنى لدفعه بغير حجه.

و قوله لا خلاف أن العمل على الدعوى لا يجوز صحيح و قد بينا أن قولها كان معلوما صحته و إنما قوله إنما يعمل على ذلك متى علم صحته بشهاده أو ما يجرى مجراها أو حصلت بينه أو إقرار فيقال له إما علمت بمشاهده فلم يكن هناك و إما بينه فقد كانت على الحقيقه لأن شهاده أمير المؤمنين ع من أكبر البيئات و أعدلها و لكن على مذهبك أنه لم تكن هناك بينه فمن أين زعمت أنه لم يكن هناك علم و إن لم يكن عن مشاهده فقد أدخلت ذلك فى جمله الأقسام.

فإن قال لأن قولها بمجرد لا يكون جهه للعلم قيل له لم قلت ذلك أو ليس قد دللنا على أنها معصومه و أن الخطأ مأمون عليها ثم لو لم يكن كذلك لكان قولها فى تلك القضية معلوما صحته على كل حال لأنها لو لم تكن مصيبه لكانت مبطله عاصيه فيما ادعته إذ الشبهه لا تدخل فى مثله و قد أجمعت الأمة على أنها لم يظهر منها بعد

ص: ٢٧٥

١- (١) د: «النحله».

٢- (٢) ا و الشافى: «أنه».

٣- (٣) سورة الإسراء ٢٦.

رسول الله ص معصيه بلا شك و ارتياب بل أجمعوا على أنها لم تدع إلا الصحيح و إن اختلفوا فمن قائل يقول مانعها مخطئ و آخر يقول هو أيضا مصيب لفقد البينه و إن علم صدقها.

و أما قوله إنه لو حاكم غيره لطولب بالبينه فقد تقدم في هذا المعنى ما يكفى و قصه خزيمة بن ثابت و قبول شهادته تبطل هذا الكلام.

و أما قوله إن أمير المؤمنين ع حاكم يهوديا على الوجه الواجب فى سائر الناس فقد روى ذلك إلا أن أمير المؤمنين (١) لم يفعل من ذلك ما كان يجب عليه أن يفعله (٢) و إنما تبرع به و استظهر بإقامه الحجج فيه و قد أخطأ من طالبه ببينه كائنا من كان فأما اعتراضه بأم سلمه فلم يثبت من عصمتها ما ثبت من عصمه فاطمه ع فلذلك احتاجت فى دعواها إلى بينه فأما إنكاره و ادعاؤه أنه لم يثبت أن الشاهد فى ذلك كان أمير المؤمنين فلم يزد فى ذلك إلا مجرد [الدعوى و]

(٣) الإنكار و الأخبار مستفيضه بأنه ع شهد لها فدفع ذلك بالزيف (٤) لا يغنى شيئا و قوله إن الشاهد لها مولى لرسول الله ص هو المنكر الذى ليس بمعروف.

و أما قوله إنها جوزت أن يحكم أبو بكر بالشاهد و اليمين فطريف مع قوله فيما بعد إن التركة صدقه و لا خصم فيها فتدخل اليمين فى مثلها أفترى أن فاطمه لم تكن تعلم من الشريعة هذا المقدار الذى نبه صاحب الكتاب عليه و لو لم تعلمه ما كان أمير المؤمنين ع و هو أعلم الناس بالشريعة يوافقها عليه.

و قوله إنها جوزت عند شهاده من شهد لها أن يتذكر غيرهم فيشهد باطل لأن مثلها لا يتعرض للظنه و التهمه و يعرض قوله للرد و قد كان يجب أن تعلم من يشهد لها

ص: ٢٧٤

١-١-١) الشافى: «لم يفعل ذلك و هو واجب عليه».

١-١-٢) الشافى: «لم يفعل ذلك و هو واجب عليه».

٣-٣) الشافى: «باقتراح».

ممن لا يشهد حتى تكون دعواها على الوجه الذى يجب معه القبول و الإمضاء و من هو دونها فى الرتبة و الجلاله و الصيانه من أفناء الناس لا يتعرض لمثل هذه الخطه و يتورطها للتجوز الذى لا أصل له و لا أماره عليه.

فأما إنكار أبى على لأن يكون النحل قبل ادعاء الميراث و عكسه الأمر فيه فأول ما فيه أنا لا نعرف له غرضا صحيحا فى إنكار ذلك لأن كون أحد الأمرين قبل الآخر لا يصحح له مذهبا فلا يفسد على مخالفه مذهبا.

ثم إن الأمر فى أن الكلام فى النحل كان المتقدم ظاهرا و الروايات كلها به وارده و كيف يجوز أن تبتدىء بطلب الميراث فيما تدعيه بعينه نحلا- أ و ليس هذا يوجب أن تكون قد طالبت بحقها من وجه لا- تستحقه منه مع الاختيار و كيف يجوز ذلك و الميراث يشركها فيه غيرها و النحل تنفرد به و لا ينقلب مثل ذلك علينا من حيث طالبت بالميراث بعد النحل لأنها فى الابتداء طالبت بالنحل و هو الوجه الذى تستحق فذك منه فلما دفعت عنه طالبت ضروره بالميراث لأن للمدفع عن حقه أن يتوصل إلى تناوله بكل وجه و سبب و هذا بخلاف قول أبى على لأنه أضاف إليها ادعاء الحق من وجه لا تستحقه منه و هى مختاره.

و أما إنكاره أن يكون عمر بن عبد العزيز رد فذك على وجه النحل و ادعائه أنه فعل فى ذلك ما فعله عمر بن الخطاب من إقرارها فى يد أمير المؤمنين ع ليصرف غلاتها فى وجوها فأول ما فيه أنا لا نحتج عليه بفعل عمر بن عبد العزيز على أى وجه وقع لأن فعله ليس بحجه و لو أردنا الاحتجاج بهذا الجنس من الحجج لذكرنا فعل المأمون فإنه رد فذك بعد أن جلس مجلسا مشهورا حكم فيه بين خصمين نصبهما أحدهما لفاطمه و الآخر لأبى بكر و ردها بعد قيام الحجه و وضوح الأمر

و مع ذلك فإنه قد أنكر من فعل عمر بن عبد العزيز ما هو معروف مشهور بلا خلاف بين أهل النقل فيه و قد روى محمد بن زكريا الغلابي عن شيوخه عن أبي المقدم هشام بن زياد مولى آل عثمان قال لما ولي عمر بن عبد العزيز رد فدك على ولد فاطمه و كتب إلى واليه على المدينة أبي بكر بن عمرو بن حزم يأمره بذلك فكتب إليه إن فاطمه قد ولدت في آل عثمان و آل فلان و فلان فعلى من أرد منهم فكتب إليه أما بعد فإني لو كتبت إليك أمرك أن تذبح شاه لكتبت إلى أجماء أم قرناء (1) أو كتبت إليك أن تذبح بقره لسألتني ما لونها فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقسمها في ولد فاطمه ع من على ع و السلام.

قال أبو المقدم فنقمت بنو أميه ذلك على عمر بن عبد العزيز و عاتبوه فيه و قالوا له هجنت فعل الشيخين و خرج إليه عمر بن قيس في جماعه من أهل الكوفة فلما عاتبوه على فعله قال إنكم جهلتم و علمت و نسيتم و ذكرت

٤٣٧٣

إن أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم حدثني عن أبيه عن جده أن رسول الله ص قال

فاطمه بضعه مني يسخطها ما يسخطني و يرضيني ما أرضاها.

و إن فدك كان صافيه على عهد أبي بكر و عمر ثم صار أمرها إلى مروان فوهبها لعبد العزيز أبي فورثتها أنا و إخوتي عنه فسألتهم أن يبيعوني حصتهم منها فمن باع و واهب حتى استجمعت لي فرأيت أن أردّها على ولد فاطمه قالوا فإن أبيت إلا هذا فأمسك الأصل و اقسم الغله ففعل.

و أما ما ذكره من ترك أمير المؤمنين ع فدك لما أفضى الأمر إليه و استدلاله بذلك على أنه لم يكن الشاهد فيها فالوجه في تركه ع رد فدك هو الوجه في إقراره

ص: ٢٧٨

أحكام القوم و كفه عن نقضها و تغييرها و قد بينا ذلك فيما سبق و ذكرنا أنه كان فى انتهاء الأمر إليه فى بقيه من التقيه قويه.

فأما استدلاله على أن حجر أزواج النبى ص كانت لهن بقوله تعالى وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (١) فمن عجيب الاستدلال لأن هذه الإضافه لا تقتضى الملك بل العاده جاريه فيها أن تستعمل من جهه السكنى و لهذا يقال هذا بيت فلان و مسكنه و لا يراد بذلك الملك و قد قال تعالى لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ - إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ (٢) و لا شبهه فى أنه تعالى أراد منازل الرجال التى يسكنون فيها زوجاتهم و لم يرد بهذه الإضافه الملك.

٤٣٧٤

١٤- فأما ما رواه من أن رسول الله ص قسم حجره على نساءه و بناته .

فمن أين له إذا كان الخبر صحيحا أن هذه القسمه على وجه التملك دون الإسكان و الإنزال و لو كان قد ملكهن ذلك لوجب أن يكون ظاهرا مشهورا.

فأما الوجه فى ترك أمير المؤمنين لما صار الأمر إليه فى يده منازعه الأزواج فى هذه الحجر فهو ما تقدم و تكرر.

و أما قوله إن أبا بكر هو الذى صلى على فاطمه و كبر أربعا و إن كثيرا من الفقهاء يستدلون به فى التكبير على الميت و هو شىء ما سمع إلا منه و إن كان تلقاه عن غيره فممن يجرى مجراه فى العصبية و إلا فالروايات المشهوره و كتب الآثار و السير خاليه من ذلك

٤٣٧٥

١,١٥- و لم يختلف أهل النقل فى أن عليا ع هو الذى صلى على فاطمه .

إلا روايه نادره شاذه وردت بأن العباس رحمه الله صلى عليها.

٤٣٧٦

١,١٥- و روى الواقدى بإسناده فى تاريخه عن الزهرى قال سألت ابن عباس

ص: ٢٧٩

١- (١) سورة الأحزاب ٣٣.

٢- (٢) سورة الطلاق ١.

متى دفنتم فاطمه ع قال دفناها بليل بعد هدأه قال قلت فمن صلى عليها قال على

٤٣٧٧

١٥- و روى الطبرى عن الحارث بن أبى أسامه عن المدائنى عن أبى زكريا العجلانى أن فاطمه ع عمل لها نعش قبل وفاتها فنظرت إليه فقالت سترتمونى ستر كما الله .

قال أبو جعفر محمد بن جرير و الثبث فى ذلك أنها زينب لأن فاطمه دفنت ليلا و لم يحضرها إلا على و العباس و المقداد و الزبير .

٤٣٧٨

١,١٥,٢,٣- و روى القاضى أبو بكر أحمد بن كامل بإسناده فى تاريخه عن الزهرى قال حدثنى عروه بن الزبير أن عائشه أخبرته أن فاطمه (١) عاشت بعد رسول الله ص ستة أشهر فلما توفيت دفنها على ليلا و صلى عليها و ذكر فى كتابه هذا أن عليا و الحسن و الحسين ع دفنوها ليلا و غيبوا قبرها .

٤٣٧٩

و روى سفيان بن عيينه عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن محمد بن الحنفية أن فاطمه دفنت ليلا.

و روى عبد الله بن أبى شيبه عن يحيى بن سعيد القطان عن معمر عن الزهرى مثل ذلك.

٤٣٨٠

١٥- و قال البلاذرى فى تاريخه إن فاطمه ع لم تر متبسمة بعد وفاه النبى ص و لم يعلم أبو بكر و عمر بموتها .

و الأمر فى هذا أوضح و أشهر من أن نطنب فى الاستشهاد عليه و نذكر الروايات فيه

ص: ٢٨٠

١- (١) الشافى: «فاطمه بنت رسول الله».

فأما قوله و لا يصح أنها دفنت ليلا و إن صح فقد دفن فلان و فلان ليلا فقد بينا أن دفنها ليلا فى الصبحه أظهر من الشمس و أن منكر ذلك كالدافع للمشاهدات و لم يجعل دفنها ليلا- بمجردة هو الحجة ليقال لقد دفن فلان و فلان ليلا بل يقع الاحتجاج بذلك على

٤٣٨١

١٥١- ما وردت به الروايات المستفيضه الظاهره التى هى كالتواتر أنها أوصت بأن تدفن ليلا حتى لا يصلى الرجلان عليها و صرح بذلك و عهدت فيه عهدا بعد أن كانا (١) استأذنا عليها فى مرضها ليعوداها فأبت أن تأذن لهما فلما طالت عليهما المدافعه رغبا إلى أمير المؤمنين ع فى أن يستأذن لهما و جعلها حاجه إليه و كلمها ع فى ذلك و ألح عليها فأذنت لهما فى الدخول ثم أعرضت عنهما عند دخولهما و لم تكلمهما فلما خرجا قالت لأمير المؤمنين ع هل صنعت ما أردت قال نعم قالت فهل أنت صانع ما أمرك به قال نعم قالت فإنى أنشدك الله ألا يصليا على جنازتى و لا يقوموا على قبرى

٤٣٨٢

١- و روى أنه عفى قبرها (٢) و علم عليه (٣) و رش أربعين قبرا فى البقيع و لم يرش قبرها حتى لا يهتدى إليه و أنهما عاتباه على ترك إعلامهما بشأنها و إحضارهما الصلاة عليها .

فمن هاهنا احتججنا بالدفن ليلا و لو كان ليس غير الدفن بالليل من غير ما تقدم عليه و ما تأخر عنه لم يكن فيه حجه.

و أما حكايته عن أبى على إنكار ضرب الرجل لها و قوله إن جعفر بن محمد و أباه و جده كانوا يتولونها فكيف لا ينكر أبو على ذلك و اعتقاده فيهما اعتقاده و قد كنا نظن أن مخالفينا يقتنعون أن ينسبوا إلى أئمتنا الكف عن القوم و الإمساك و ما ظننا أنهم يحملون أنفسهم على أن ينسبوا إليهم الثناء و الولاء

ص: ٢٨١

١- (١) ب: «كان».

٢-٢-٢ (٢) ساقط من الشافى.

٣-٢-٢ (٢) ساقط من الشافى.

و قد علم كل أحد أن أصحاب هؤلاء الساده المختصين بهم قد رووا عنهم ضد ما روى شعبه بن الحجاج و فلان و فلان

٤٣٨٣

و قولهم هما أول من ظلمنا حقنا و حمل الناس على رقابنا.

٤٣٨٤

و قولهم أنهما أصفيا بإنائنا و اضطجعا بسبلنا و جلسا مجلسا نحن أحق به منهما.

إلى غير ذلك من فنون التظلم و الشكايه و هو طويل متسع و من أراد استقصاء ذلك فلينظر فى كتاب المعرفه لأبى إسحاق إبراهيم بن سعيد الثقفى فإنه قد ذكر عن رجل من أهل البيت بالأسانيد النيره ما لا زياده عليه ثم لو صح ما ذكره شعبه لجاز أن يحمل على التقيه.

و أما ذكره إسرافيل و ميكائيل فما كنا نظن أن مثله يذكر ذلك و هذا من أقوال الغلاه الذين ضلوا فى أمير المؤمنين ع و أهل البيت و ليسوا من الشيعة و لا من المسلمين فأى عيب علينا فيما يقولونه ثم إن جماعه من مخالفينا قد غلوا فى أبى بكر و عمر و رووا روايات مختلفه فيهما تجرى مجرى ما ذكره فى الشناعه و لا يلزم العقلاء و ذوى الألباب من المخالفين عيب من ذلك.

و أما معارضه ما روى فى فاطمه ع بما روى فى أن حبهما إيمان و بغضهما نفاق فالخبر الذى رويناه مجمع عليه و الخير الآخر مطعون فيه فكيف يعارض ذلك بهذا.

و أما قوله إنما قصد من يورد هذه الأخبار تضعيف دلالة الأعلام فى النفوس من حيث أضاف النفاق إلى من شاهدها فتشيع فى غير موضعه و استناد إلى ما لا- يجدى نفعاً لأن من شاهد الأعلام لا يضعفها و لا يوهن دليلها و لا يقدر فى كونها حجه لأن الأعلام ليست ملجئه إلى العلم و لا موجه لحصوله على كل حال و إنما تثمر العلم لمن أمعن النظر فيها من الوجه الذى تدل منه فمن عدل عن ذلك لسوء اختياره لا يكون

ص: ٢٨٢

عدوله مؤثرا في دلالتها فكم قد عدل من العقلاء و ذوى الأحلام الراجحه و الألباب الصحيحه عن تأمل هذه الأعلام و إصابه الحق منها و لم يكن ذلك عندنا و عند صاحب الكتاب قادحا في دلالة الأعلام على أن هذا القول يوجب أن ينفي الشك و النفاق عن كل من صحب النبي ص و عاصره و شاهد أعلامه كأبي سفيان و ابنه و عمرو بن العاص و فلان و فلان ممن قد اشتهر نفاقهم و ظهر شكهم في الدين و ارتيابهم باتفاق بيننا و بينه و إن كانت إضافه النفاق إلى هؤلاء لا تقدح في دلالة الأعلام فكذلك القول في غيرهم.

فأما قوله إن حديث الإحراق لم يصح و لو صح لساغ لعمر مثل ذلك فقد بينا أن خبر الإحراق قد رواه غير الشيعة .

و قوله إنه يسوغ مثل ذلك فكيف يسوغ إحراق بيت علي و فاطمه ع و هل في ذلك عذر يصغى إليه أو يسمع و إنما يكون على أصحابه خارقين للإجماع و مخالفين للمسلمين لو كان الإجماع قد تقرر و ثبت و ليس بمتقرر و لا ثابت مع خلاف علي وحده فضلا عن أن يوافق علي ذلك غيره و بعد فلا فرق بين أن يهدد بالإحراق لهذه العله و بين أن يضرب فاطمه ع لمثلها فإن إحراق المنازل أعظم من ضرب سوط أو سوطين فلا وجه لامتناع المخالف من حديث الضرب إذا كان عنده مثل هذا الاعتذار (1)

قلت أما الكلام في عصمه فاطمه ع فهو بفن الكلام أشبه و للقول فيه موضع غير هذا.

و أما قول المرتضى إذا كانت صادقه لم يبق حاجه إلى من يشهد لها فلقائق أن

ص: ٢٨٣

يقول لم قلت ذلك و لم زعمت أن الحاجه إلى البيه إنما كانت لزياده غلبه الظن و لم لا يجوز أن يكون الله تعالى يعبد بالبيه لمصلحه يعلمها و إن كان المدعى لا يكذب أليس قد تعبد الله تعالى بالعهده فى العجوز التى قد أيست من الحمل و إن كان أصل وضعها لاستبراء الرحم.

و أما قصه خزيمه بن ثابت فيجوز أن يكون الله تعالى قد علم أن مصلحه المكلفين فى تلك الصوره أن يكتفى بدعوى النبى ص وحدها و يستغنى فيها عن الشهاده.

و لا- يمتنع أن يكون غير تلك الصوره مخالفا لها و إن كان المدعى لا يكذب و يبين ذلك أن مذهب المرتضى جواز ظهور خوارق العادات على أيدي الأئمه و الصالحين و لو قدرنا أن واحدا من أهل الصلاح و الخير ادعى دعوى و قال بحضره جماعه من الناس من جملتهم القاضى اللهم إن كنت صادقا فأظهر على معجزه خارقه للعهده فظهرت عليه لعلمنا أنه صادق و مع ذلك لا تقبل دعواه إلا ببينه.

و سألت على بن الفارقى مدرس المدرسه الغربيه ببغداد فقلت له أ كانت فاطمه صادقه قال نعم قلت فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك و هى عنده صادقه فتبسم ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه و حرمة و قله دعابته قال لو أعطها اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت إليه غدا و ادعت لزوجها الخلافه و زحزحته عن مقامه و لم يكن يمكنه الاعتذار و الموافقه بشىء لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنها صادقه فيها تدعى كائنا ما كان من غير حاجه إلى بيته و لا شهود و هذا كلام صحيح و إن كان أخرجه مخرج الدعابه و الهزل.

فأما قول قاضى القضاة لو كان فى يدها لكان الظاهر أنها لها و اعتراض المرتضى عليه بقوله إنه لم يعتمد فى إنكار ذلك على حجه بل قال لو كانت فى يدها لكان الظاهر إنها لها و الأمر على ما قال فمن أين أنها لم تخرج عن يدها على وجه كما أن الظاهر

يقتضى خلافه فإنه لم يجب عما ذكره قاضى القضاء لأن معنى قوله إنها لو كانت فى يدها أى متصرفه فيها لكانت اليد حجه فى الملكيه لأن اليد و التصرف حجه لا- محاله فلو كانت فى يدها تتصرف فيها و فى ارتفاقها كما يتصرف الناس فى ضياعهم و أملاكهم لما احتاجت إلى الاحتجاج بآيه الميراث و لا بدعوى النحل لأن اليد حجه فهلا قالت لأبى بكر هذه الأرض فى يدى و لا يجوز انتزاعها منى إلا بحجه و حينئذ كان يسقط احتجاج أبى بكر

٤٣٨٥

بقوله نحن معاشر الأنبياء لا نورث.

لأنها ما تكون قد ادعتها ميراثا ليحتج عليها بالخبر و خبر أبى سعيد فى قوله فأعطاها فذك يدل على الهبه لا على القبض و التصرف و لأنه يقال أعطاني فلان كذا فلم أقبضه و لو كان الإعطاء هو القبض و التصرف لكان هذا الكلام متناقضا.

فأما تعجب المرتضى من قول أبى على إن دعوى الإرث كانت متقدمه على دعوى النحل و قوله إنا لا نعرف له غرضا فى ذلك فإنه لا يصح له بذلك مذهب و لا يبطل على مخالفه مذهب فإن المرتضى لم يقف على مراد الشيخ أبى على فى ذلك و هذا شىء يرجع إلى أصول الفقه فإن أصحابنا استدلوا على جواز تخصيص الكتاب بخبر الواحد بإجماع الصحابه لأنهم أجمعوا على تخصيص قوله تعالى يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ (١)

٤٣٨٦

بروايه أبى بكر عن النبى ص لا نورث ما تركناه صدقه.

قالوا و الصحيح فى الخبر أن فاطمه ع طالبت بعد ذلك بالنحل لا بالميراث فلماذا قال الشيخ أبو على إن دعوى الميراث تقدمت على دعوى النحل و ذلك لأنه ثبت أن فاطمه انصرفت عن ذلك المجلس غير راضيه و لا موافقه لأبى بكر فلو كانت دعوى الإرث متأخره و انصرفت عن سخط لم يثبت الإجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد أما إذا كانت دعوى الإرث متقدمه فلما روى لها الخبر أمسكت و انتقلت إلى النزاع من جهه أخرى فإنه يصح حينئذ الاستدلال بالإجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد.

ص: ٢٨٥

فأما أنا فإن الأخبار عندي متعارضة يدل بعضها على أن دعوى الإرث متأخره و يدل بعضها على أنها متقدمه و أنا في هذا الموضوع متوقف.

و ما ذكره المرتضى من أن الحال تقتضى أن تكون البدايه بدعوى النحل فصحيح و أما إخفاء القبر و كتمان الموت و عدم الصلاة و كل ما ذكره المرتضى فيه فهو الذى يظهر و يقوى عندي لأن الروايات به أكثر و أصح من غيرها و كذلك القول فى موجدها و غضبها فأما المنقول عن رجال أهل البيت فإنه يختلف فتاره و تاره و على كل حال فميل أهل البيت إلى ما فيه نصره أبيهم و بيتهم.

و قد أحل قاضى القضاء بلفظه حكاها عن الشيعة فلم يتكلم عليها و هى لفظه جيده قال قد كان الأجمل أن يمنعهم التكرم مما ارتكبا منها فضلا عن الدين و هذا الكلام لا جواب عنه و لقد كان التكرم و رعايه حق رسول الله ص و حفظ عهده يقتضى أن تعوض ابنته بشيء يرضيها إن لم يستنزل المسلمون عن فدك و تسلم إليها تطيبا لقلبها و قد يسوغ للإمام أن يفعل ذلك من غير مشاوره المسلمين إذا رأى المصلحه فيه و قد بعد العهد الآن بيننا و بينهم و لا نعلم حقيقه ما كان و إلى الله نرجع الأمور و لَوْ شِئْتُ لَأَهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَيِّفِي هَذَا الْعَسَلِ وَ لُبَابِ هَذَا الْقَمِيحِ وَ نَسَائِجِ هَذَا الْقَرِّ وَ لَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ وَ يَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخْيِيرِ الْمَأْطِعِمِهِ وَ لَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ بِالْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ وَ لَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّبَعِ أَوْ أَبِيتَ مِبْطَانًا وَ حَوْلِي بَطُونٌ غَزَوِيٌّ وَ أَكْبَادٌ حَرِّيٌّ أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ وَ حَسْبُكَ عَارًا أَنْ تَبَيْتَ بِيْطَنِهِ وَ حَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحْنُ إِلَى الْفِدِّ

أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا- أَشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ أَوْ أَكُونَ أَسْوَأَ لَهُمْ فِي جُشُوبِهِ الْعَيْشِ فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلْفُهَا أَوْ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا وَ تَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا أَوْ أُتْرِكَ سُدًى أَوْ أَهْمَلُ عَابِثًا أَوْ أُجَرَّ حَبْلَ الضَّلَالَةِ أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ .

قد روى و لو شئت لاهتديت إلى هذا العسل المصفى و لباب هذا البر المنقى فضربت هذا بذاك حتى ينضج وقودا و يستحکم معقودا .

و روى و لعل بالمدينه يتيما تربا يتصور سغبا أ أبيت مبطانا و حولى بطون غرثى إذن يحضرنى يوم القيامه و هم من ذكر و أنثى .

و روى بطون غرثى بإضافه بطون إلى غرثى.

و القمح الحنطه.

و الجشع أشد الحرص .

و المبطان الذى لا- يزال عظيم البطن من كثره الأكل فأما المبطن فالضامر البطن و أما البطين فالعظيم البطن لا من الأكل و أما البطن فهو الذى لا- يهमे إلا- بطنه و أما المبطن فالعليل البطن و بطون غرثى جائعه و البطنه الكظه و ذلك أن يمتلى الإنسان من الطعام امتلاء شديدا و كان يقال ينبغى للإنسان أن يجعل وعاء بطنه أثلاثا فثلث للطعام و ثلث للشراب و ثلث للنفس .

والتقمم أكل الشاه ما بين يديها بمقمتها أى بشفتها و كل ذى ظلف كالثور و غيره فهو ذو مقمه.

و تكثرش من أعلافها تملأ كرشها من العلف.

قوله أو أجر حبل الضلاله منصوب بالعطف على يشغلنى و كذلك أترك و يقال أجررته رسنه إذا أهملته.

و الاعتساف السلوك فى غير طريق واضح.

و المتاهه الأرض يتاه فيها أى يتحير.

و فى قوله لو شئت لاهتديت شبه من قول عمر لو نشاء لمألنا هذا الرحاب من صلائق و صناب و قد ذكرناه فيما تقدم.

و هذا البيت من أبيات منسوبة إلى حاتم بن عبد الله الطائى الجواد و أولها أيا ابنه عبد الله و ابنه مالك

ص: ٢٨٨

وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ إِذَا كَانَ هَذَا قُوتَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ قَعِدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنِ قِتَالِ الْأَقْرَانِ وَ مُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ أَلَا وَإِنَّ الشَّجْرَةَ
(١) الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُودًا وَ الرَّوَاعِ (٢) الْخَضِرَةَ أَرْقُ جُلُودًا وَ النَّبَاتِ الْعَذِيَّةَ أَقْوَى وَ قُودًا وَ أَبْطَأُ خُمُودًا.

وَ أَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالضُّوْءِ مِنَ الضُّوْءِ وَ الذَّرَاعِ مِنَ الْعُضْدِ وَ اللَّهُ لَوْ تَطَاهَرَتْ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَاءَ وَلَيْتُ عَنْهَا وَ لَوْ أَمْكَنْتِ
الْفُرْصُ (٣) مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا وَ سَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ وَ الْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ حَتَّى تَخْرُجَ
الْمَدْرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ .

الشجرة البريه

التي تنبت في البر الذي لا ماء فيه فهي أصلب عودا من الشجرة التي تنبت في الأرض النديه و إليه وقعت الإشارة بقوله و الرواع
الخضرة أرق جلودا .

ثم قال و النباتات العذيه التي تنبت عذيا و العذى بسكون الذال الزرع لا يسقيه إلا ماء المطر و هو يكون أقل أخذنا من الماء من
النبت سقيا قال ع إنها تكون أقوى وقودا مما يشرب الماء السائح أو ماء الناضح و أبطأ خمودا و ذلك لصلابه جرمها .

ثم قال و أنا من رسول الله ص كالضوء من الضوء و الذراع من العضد

ص : ٢٨٩

١-١) في «التربه».

٢-٢) في «و المراتع».

٣-٣) في «الفرصه».

و ذلك لأن الضوء الأول يكون عله فى الضوء الثانى ألا ترى أن الهواء المقابل للشمس يصير مضيئا من الشمس فهذا الضوء هو الضوء الأول ثم إنه يقابل وجه الأرض فيضىء وجه الأرض منه فالضوء الذى على وجه الأرض هو الضوء الثانى و ما دام الضوء الأول ضعيفا فالضوء الثانى ضعيف فإذا ازداد الجو إضاءة ازداد وجه الأرض إضاءة لأن المعلول يتبع العله فشبهه ع نفسه بالضوء الثانى و شبه رسول الله ص بالضوء الأول و شبه منبع الأضواء و الأنوار سبحانه و جلت أسماؤه بالشمس التى توجب الضوء الأول ثم الضوء الأول يوجب الضوء الثانى و هاهنا نكته و هى أن الضوء الثانى يكون أيضا عله لضوء ثالث و ذلك أن الضوء الحاصل على وجه الأرض و هو الضوء الثانى إذا أشرق على جدار مقابل ذلك الجدار قريبا منه مكان مظلم فإن ذلك المكان يصير مضيئا بعد أن كان مظلما و إن كان لذلك المكان المظلم باب و كان داخل البيت مقابل ذلك الباب جدار كان ذلك الجدار أشد إضاءة من باقى البيت ثم ذلك الجدار إن كان فيه ثقب إلى موضع آخر كان ما يحاذى ذلك البيت أشد إضاءة مما حوالية و هكذا لا تزال الأضواء (١) يوجب بعضها بعضا على وجه الانعكاس بطريق العليه و بشرط المقابله و لا تزال تضعف درجه درجه إلى أن تضمحل و يعود الأمر إلى الظلمه و هكذا عالم العلوم و الحكم المأخوذه من أمير المؤمنين ع لا تزال تضعف كما انتقلت من قوم إلى قوم إلى أن يعود الإسلام غريبا كما بدأ بموجب الخبر النبوى الوارد فى الصحاح.

و أما قوله و الذراع من العضد فلأن الذراع فرع على العضد و العضد أصل ألا ترى أنه لا يمكن أن يكون ذراع إلا إذا كان عضد و يمكن أن يكون عضد لا ذراع له و لهذا قال الراجز لولده يا بكر بكيرين و يا خلب الكبد أصبحت منى كذراع من عضد.

ص : ٢٩٠

١- ١) كذا فى «د»؛ «ب»: «لا يزال الضوء».

فشبه ع بالنسبه إلى رسول الله ص بالذراع الذى العضد أصله و أسه و المراد من هذا التشبيه الإيابه عن شدة الامتراج و الاتحاد و القرب بينهما فإن الضوء الثانى شبيه بالضوء الأول و الذراع متصل بالعضد اتصالا بينا و هذه المنزله قد أعطاه إياها رسول الله ص فى مقامات كثيره نحو

٤٣٨٧

قوله فى قصه براءه قد أمرت أن لا يؤدى عنى إلا أنا أو رجل منى.

٤٣٨٨

و قوله لتنتهن يا بنى وليعه أو لأبعثن إليكم رجلا منى أو قال عدل نفسى.

و قد سماه الكتاب العزيز نفسه فقال **و نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ (١)**

٤٣٨٩

و قد قال له لحمك مختلط بلحمى و دمك مسوط بدمى و شبرك و شبرى واحد.

فإن قلت أما قوله لو تظاهرت العرب على لما وليت عنها فمعلوم فما الفائده فى قوله و لو أمكنت الفرصه من رقابها لسارعت (٢) إليها و هل هذا مما يفخر به الرؤساء و يعدونه منقبه و إنما المنقبه أن لو أمكنته الفرصه تجاوز و عفا.

قلت غرضه أن يقرر فى نفوس أصحابه و غيرهم من العرب أنه يحارب على حق و أن حربته لأهل الشام كالجهاد أيام رسول الله ص و أن من يجاهد الكفار يجب عليه أن يغلظ عليهم و يستأصل شأفتهم ألا ترى أن رسول الله ص لما جاهد بنى قريظه و ظفر لم يبق و لم يعف و حصد فى يوم واحد رقاب ألف إنسان صبوا فى مقام واحد لما علم فى ذلك من إعزاز الدين و إذلال المشركين فالعفو له مقام و الانتقام له مقام .

قوله و سأجهد فى أن أظهر الأرض الإشاره فى هذا إلى معاويه سماه شخصا معكوسا و جسما مركوسا و المراد انعكاس عقيدته و أنها ليست عقيدته هدى بل هى معاكسه للحق و الصواب و سماه مركوسا من قولهم ارتكس فى الضلال و الركس

ص: ٢٩١

(١-١) سورة آل عمران ٦١.

(٢-٢) «الأسرعت».

رد الشيء مقلوبا قال تعالى وَ اللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا (١) أى قلبهم و ردهم إلى كفرهم فلما كان تاركا للفظه التى كل مولود يولد عليها كان مرتكسا فى ضلاله و أصحاب التناسخ يفسرون هذا بتفسير آخر قالوا الحيوان على ضربين منتصب و منحن فالمنتصب الإنسان و المنحنى ما كان رأسه منكوسا إلى جهة الأرض كالبهائم و السباع.

قالوا و إلى ذلك وقعت الإشارة بقوله أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢).

قالوا فأصحاب الشقاوه تنتقل أنفسهم عند الموت إلى الحيوان المكبوب و أصحاب السعاده تنتقل أنفسهم إلى الحيوان المنتصب و لما كان معاويه عنده ع من أهل الشقاوه سماه معكوسا و مركوسا رمزا إلى هذا المعنى.

قوله حتى تخرج المدره من بين حب الحصيد أى حتى يتطهر الدين و أهله منه و ذلك لأن الزراع يجتهدون فى إخراج المدر و الحجر و الشوك و العوسج و نحو ذلك من بين الزرع كى تفسد منابته فيفسد الحب الذى يخرج منه فشبّه معاويه بالمدر و نحوه من مفسدات الحب و شبه الدين بالحب الذى هو ثمره الزرع وَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَ هُوَ آخِرُهُ إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا فَحَبْلُكَ عَلَىٰ غَارِبِكَ قَدْ انْسَلَّتْ مِنْ مَخَالِبِكَ وَ أَفَلْتُ مِنْ حَبَائِلِكَ وَ اجْتَنَّبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكَ

ص: ٢٩٢

١-١) سورة النساء ٨٨.

٢-٢) سورة الملك ٢٢.

أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَزْتَهُمْ بِمِدَاعِيكَ أَيْنَ الْعَامَّةِ الَّذِينَ فَتَنْتَهُمْ بِزَخَارِفِكَ فَهِيَ هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ وَ مَضَامِينُ اللَّحُودِ وَاللَّهُ لَوْ كُنْتَ
شَخْصًا مَزِيئًا وَقَالِبًا حَسِيًّا لَأَقَمْتَ عَلَيْكَ حُدُودَ اللَّهِ فِي عِبَادِ غَرَزْتَهُمْ بِالْأَمَانِيِّ وَ أُمَمَ الْقَيْتِيهِمْ فِي الْمَهَاوِي وَ مُلُوكَ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى
التَّلْفِ وَ أُوْرَدْتَهُمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ إِذْ لَا- وَرَدَ وَ لَا- صَيْدَرِ هَيْهَاتَ مَنْ وَطِئَ دَحْضَكَ زَلَقَ وَ مَنْ رَكِبَ لُجَجِكَ غَرِقَ وَ مَنْ اَزُورَ عَنْ
حَبَائِكَ وَفَقَّ وَ السَّالِمُ مِنْكَ لَا يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مَنَاحُهُ وَ الدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمَ حَانَ انْسِلَاحُهُ .

إليك عنى

أى ابعدى و حبلك على غاربك كناية من كنايات الطلاق أى اذهبى حيث شئت لأن الناقه إذا ألقى حبلها على غاربها فقد فسح
لها أن ترعى حيث شاءت و تذهب أين شاءت لأنه إنما يردّها زمامها فإذا ألقى حبلها على غاربها فقد أهملت.

و الغارب ما بين السنام و العنق و المداحض المزالتق .

و قيل إن فى النسخه التى بخط الرضى رضى الله عنه غررتهم بالياء و كذلك فتنتهم و ألقيتهم و أسلمتيمهم و أوردتيمهم و
الأحسن حذف الياء و إذا كانت الروايه وردت بها فهى من إشباع الكسره كقوله أ لم يأتيك و الأنباء تنمى بما فعلت لبون بنى
زياد و مضامين اللهود أى الذين تضمنتهم

٤٣٩٠

١٤- و فى الحديث نهى عن بيع المضامين و الملاقيح و هى ما فى أصلاب الفحول و بطون الإناث .

ص: ٢٩٣

ثم قال لو كنت أيتها الدنيا إنسانا محسوسا كالواحد من البشر لأقمت عليك الحد كما فعلت بالناس.

ثم شرح أفعالها فقال منهم من غررت و منهم من ألقى في مهاوى الضلال و الكفر و منهم من أتلفت و أهلكت .

ثم قال و من وطئ دحضك زلق مكان دحض أى مزله.

ثم قال لا يبالي من سلم منك إن ضاق مناخه لا يبالي بالفقر و لا بالمرض و لا بالحبوس و السجن و غير ذلك من أنواع المحن لأن هذا كله حقير لا اعتداد به فى جنب السلامه من فتنه الدنيا.

قال و الدنيا عند من قد سلم منها كيوم قرب انقضاؤه و فناؤه أعزبى عنى فوالله لا أدل لك فتسـ تـدلىنى و لا أسلس لك فتقودينى
وَ اِيْمَ اللّٰهِ يَمِيْنًا اَسْتَشِيْ فِيْهَا بِمَشِيَّتِهِ اللّٰهُ لَأَرْوِضَنَّ نَفْسِيْ رِيَاضَةً تَهَشُّ مَعَهَا اِلَى الْقُرْصِ اِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُومًا وَ تَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَا دُوْمًا
وَ لَمَّا دَعَنْ مُقْلَتِيْ كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِيْنَهَا مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا اَتَمْتَلِيْ السَّائِمَةَ مِنْ رِعِيْهَا فَتَبْرُكُ وَ تَشْبَعُ الرَّبِيْضَهُ مِنْ عَشْبِهَا فَتَرِبُضَ وَ
يَأْكُلُ عَلَيَّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعُ قَرَّتْ اِذَا عَيْنُهُ اِذَا اِقْتَدَى بَعْدَ السِّنِّينَ الْمُتَطَاوَلَةِ بِالْبُهَيْمَةِ الْهَامِلَةِ وَ السَّائِمَةِ الْمُرْعِيَةِ طُوبَى لِنَفْسٍ اَدَّتْ اِلَى
رَبِّهَا فَرَضَهَا وَ عَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا وَ هَجَرَتْ فِي

اللَّيْلِ غُمُضَ مَا حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا وَ تَوَسَّدَتْ كَفَّهَا فِي مَعْشَرِ أَشْهَرِ عُيُونِهِمْ خَوْفٌ مَعَادِهِمْ وَ تَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ وَ هَمَّهَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شَفَاهُهُمْ وَ تَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فَاتَّقِ اللَّهَ يَا إِبْنَ حُنَيْفٍ وَ لَتَكْفُفَ أَقْرَاصُكَ لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ .

اعزبى

ابعدى يقال عزب الرجل بالفتح أى بعد و لا أسلس لك بفتح اللام أى لا أنقاد لك سلس الرجل بالكسر يسلس فهو بين السلس أى سهل قياده.

ثم حلف و استثنى بالمشيئة أدبا كما أدب الله تعالى رسوله ص ليروضن نفسه أى يدربها بالجوع و الجوع هو أصل الرياضه عند الحكماء و أرباب الطريقه.

قال حتى أهش إلى القرص أى إلى الرغيف و أفنع من الإدام بالملح .

و نضب معينها فنى ماؤها .

ثم أنكر على نفسه فقال أ تشعب السائمه من رعيها بكسر الراء و هو الكالأ و الربيضه جماعه من الغنم أو البقر تربض فى أماكنها و أنا أيضا مثلها أشعب و أنام.

لقد قرت عيني إذا حيث (١) أشابه البهائم بعد الجهاد و السبق و العباده و العم و الجد فى السنين المتطاوله .

قوله و عركت بجنبها بؤسها أى صبرت على بؤسها و المشقه التى تنالها يقال قد عرك فلان بجنبه الأذى أى أغضى عنه و صبر عليه.

ص: ٢٩٥

١- ١) فى «إذ».

قوله افترشت أرضها أى لم يكن لها فراش إلا الأرض.

و توسدت كفها

لم يكن لها وساده إلا الكف.

و تجافت عن مضاجعهم جنوبهم

لفظ الكتاب العزيز **تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ (١)**.

و همهمت

تكلمت كلاما خفيا.

و تقشعت ذنوبهم

زالت و ذهبت كما يتقشع السحاب .

قوله و لتكفف أقراصك إنما هو نهى لابن حنيف أن يكف عن الأقراص و إن كان اللفظ يقتضى أن تكف الأقراص عن ابن حنيف و قد رواها قوم بالنصب قالوا فاتق الله يا ابن حنيف و لتكفف أقراصك لترجو بها من النار خلاصك و التاء هاهنا للأمر عوض الياء و هى لغه لا بأس بها و قد قيل إن رسول الله ص قرأ فبذلك فلتفرحوا (٢) بالتاء.

تم الجزء السادس عشر من شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد و يليه الجزء السابع عشر

ص: ٢٩٦

١-١) سورة السجده ١٦.

٢-٢) سورة يونس ٥٨.

- ٢٩- من كتاب له عليه السلام إلى أهل البصره ٣
- ٣٠- من كتاب له عليه السلام إلى معاويه ٦
- ٣١- من وصيه له عليه السلام للحسن ابنه، كتبها إليه بحاضرين عند الفراق من صفين ٩-١٢٢
- ٣٢- من كتاب له عليه السلام إلى معاويه ١٣٢
- ٣٣- من كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس و هو عامله على مكه ١٣٨
- ٣٤- من كتاب له عليه السلام إلى محمد بن أبى بكر لما بلغه توجده من عزله بالأشتر على مصر ١٤٢
- ٣٥- من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبى بكر ١٤٥
- ٣٦- من كتاب له عليه السلام إلى أخيه عقيل بن أبى طالب فى ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء ١٤٨
- ٣٧- من كتاب له عليه السلام إلى معاويه ١٥٣
- ٣٨- من كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشتر ١٥٦
- ٣٩- من كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص ١٦٠
- ٤٠- من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله ١٦٤
- ٤١- من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله أيضا ١٦٧
- ٤٢- من كتاب له عليه السلام إلى عمر بن أبى سلمه المخزومى ١٧٣

٤٣- من كتاب له عليه السلام إلى مصقله بن هبيرة الشيباني، و كان عامله على أردشير خزه ١٧٥

٤٤- من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه، و قد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته و استلحاقه ١٧٧

٤٥- من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف عامله على البصره ٢٠٥-٢٩٥

ص: ٢٩٨

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات (١)

ترجمه الحسن بن عليّ و ذكر بعض أخباره ٩-٥٢

بعض ما قيل من الشعر في الدهر و فعله بالإنسان ٥٥،٥٦

أقوال حكيمه في وصف الدنيا و فناء الخلق ٢١-٩٣

بعض ما قيل من الشعر في غيره ١٢٧،١٢٨

اعتزاز الفرزدق بقومه ١٣٠،١٢٩

وفود الوليد بن جابر علي معاويه ١٣١،١٣٠

ذكر بعض ما دار بين عليّ و معاويه من الكتب ١٣٢

قثم بن العباس و بعض أخباره ١٤١،١٤٠

محمد بن أبي بكر و بعض أخباره ١٤٣،١٤٢

اختلاف الرأي حول كتاب كتبه عليّ إلى بعض عماله ١٧٤

عمر بن أبي سلمه و نسبه و بعض أخباره ١٧٤،١٧٣

النعمان بن عجلان و نسبه و بعض أخباره ١٧٤

نسب زياد بن أبيه و ذكر بعض أخباره و كتبه ١٧٩-٢٠٤

عثمان بن حنيف و نسبه ٢٠٥،٢٠٦

ذكر ما ورد من السير و الأخبار في أمر فدك و فيه فصول:

الفصل الأول فيما ورد من الأخبار و السير المنقوله من أفواه أهل الحديث و كتبهم ٢١٠-٢٣٦

الفصل الثاني في النظر في أن النبيّ صلّى الله عليه و سلم هل يورث أم لا؟ ٢٣٧-٢٦٨

الفصل الثالث في أن فدك هل صحّ كونها نحلّه رسول الله صلّى الله عليه و سلم لفاطمه أم لا ٢٦٨-٢٨٦

١-*) و هي الموضوعات التي وردت في شرح نهج البلاغه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩